

رجال المعلقات العشر

كتاب أدب وتاريخ ولغة

وهو مُصدّر بمقدمتين :

الأولى : في خلاصة تاريخ العرب قبل الإسلام .

الثانية : في خلاصة تاريخ أدب اللغة العربية من لدن العصر الجاهلي الى العصر الحاضر .

تأليف

الشيخ مصطفى الغلاييني

المكتبة العصرية
صيدا . بيروت


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رجال

المعلقات العشر

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

جميع الحقوق محفوظة

١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م

شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع

المكتبة العصرية للطباعة والنشر

الدار النموذجية — المطبعة العصرية

بيروت - ص.ب ١١/٨٣٥٥ - تلفاكس ٠٠٩٦١١٦٥٥٠١٥
صيدا - ص.ب ٢٢١ - تلفاكس ٠٠٩٦١٧٧٢٠٣١٧



بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لمن جعل الشعر ديوان العرب، ومستودع الاجتماع والأدب. وصلاةً وسلاماً على رسوله العربي، ونبيه القرشي، القائل: «**إن من الشعر لحكمة**». وكفى بذلك فخراً للشعر، ومجداً للشعراء.

وبعد فهذا كتاب (**شعراء المعلقات العشر**) ذكرنا فيه ما كان مبعثراً في بطون الكتب من تاريخ قائليها وأنسابهم ونفيس أشعارهم، وما يتبع ذلك من تاريخ العرب وأحوالهم الاجتماعية، وأخلاقهم العلية، ومآثرهم الخالدة ومفاخرهم الباقية، وآدابهم العالية، ومناقبهم السامية.

وقد صدَّرناه بمقدمتين: **الأولى** في خلاصة تاريخ العرب قبل الإسلام. **والثانية** في خلاصة تاريخ أدب اللغة العربية في العصر الجاهلي وصدر الإسلام والدولة الأموية والدولة العباسية والدول المتتابعة والعصر الحاضر.

وقد عانينا في جمعه وترتيبه وتنسيقه وتهذيبه ما يقدره قدره من اطلع عليه وعرف ما حواه من الفوائد الجليلة والحسنات الكثيرة.

وقد كنَّا نلقيه دروساً على تلاميذ الصف المنتهي في (**المكتب السلطاني**) في بيروت. ثم عنَّ لنا اليوم أن نمثله للطبع حرصاً على نشر آداب هذه اللغة المباركة الشريفة. واقتصاداً في الوقت الذي يقتضيه الإملاء. ليكون كتاب تدريس لتلاميذ السنتين: الرابعة والخامسة من المكاتب السلطانية والسنتين: السادسة والسابعة من المكاتب الإعدادية. أو ما يضاهي هذه السنين من المدارس الأهلية، والله الموفق للصواب.

بيروت **مصطفى الغلاييني**

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الكتب التي اعتمدنا عليها في تأليف الكتاب

كتاب الأغاني (لأبي الفرج الأصبهاني)
الشعر والشعراء (لابن قتيبة)
خزانة الأدب (للبغدادي)
العقد الفريد (لابن عبد ربه)
شرح ديوان الحماسة (للخطيب التبريزي)
تاريخ أبي الفداء (لأبي الفداء صاحب حماه)
تاريخ مروج الذهب (لأبي الحسن المسعودي)
مقدمة ابن خلدون (لابن خلدون)
شروح المعلقات
ديوان زهير
ديوان النابغة (خط)
ديوان طرفة
ديوان عنترة
شرح شواهد المغني (للسيوطي)
تاريخ آداب اللغة العربية (لجرجي زيدان)
الخلاصة الوفية (لأحمد حسن الزيات)
آداب اللغة العربية (للشيخ محمد حسن المرصفي)
لباب الخيار (للغلاييني مؤلف هذا الكتاب)
علم الأدب العربي (خط) له أيضاً
العمدة (لابن رشيق)
المزهر (للسيوطي)
إعجاز القرآن (للباقلاّني)

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المقدمة الأولى

في العرب والعربية

اجمال عن العرب قبل الاسلام(1)

بلادهم ومواقعها:

جزيرة العرب واقعة في الجنوب الغربي من آسيا، ويحيط بها البحر الأحمر وصحراء التيه المتصلة بترعة (السويس) من غربها والخليج الفارسي من شرقها وبحر عُمان الذي هو قسم من بحر (الهند) من جنوبها والصحارى الممتدة بين بلاد الشام والفرات من شمالها.

ومساحتها ١,١٠٠,٠٠٠ ميل مربع. أو ٣,١٥٦,٥٥٨ كيلو متراً مربعاً. أو ١٢٦,٠٠٠ فرسخ مربع. وقد عملنا حسابها بالميل والكيلو متر والفرسخ فجاء الحساب متقارباً.

ونفوسها اثنا عشر مليوناً، وقيل عشرة ملايين.

(١) عن كتابنا (لباب الخيار في سيرة المختار).

وهي اليوم تقسم إلى ثمانية أقسام:

القسم الأول: الحجاز وهو الواقع في الجنوب الشرقي من أرض (طور سيناء) على ساحل البحر الاحمر، وسُمي حجازاً لأنه حاجز بين تهامة ونجد، وتهامة محصورة بين الحجاز واليمن. و (مكة المكرمة) و (المدينة المنوَّرة) من هذا القسم. وفي وسط (مكة) مسجدها الجامع المسمى بالحرم والكعبة، في وسطه، وبجانبها الحجر الاسود، و (مكة) هي البلد الذي وُلد فيه الرسول ونشأ وفيه أُكرم بالنبوة، وتسمى أيضاً (بكة) وقيل: ان (بكة) هو بطن مكة، وسُمي بهذا لازدحام الناس فيه، لأنه يقال: بكَّه إذا زحمه، وتسمى (أم القرى) وكانت تُسمى في القديم (الباس والباسة والبساسة) ـ وأما المدينة المنورة فكانت تُسمى (يثرب) وهي دار هجرة الرسول وقطب نصرته وفيها قبره الطاهر.

ولكل من (مكة والمدينة) حرم له حدود مذكورة في كتب الفقه.

وأرض (تهامة) تحسب اليوم من الحجاز.

القسم الثاني: اليمن، وهو الواقع في جنوب الحجاز، وفي شماله بلاد (عسير) وفيه عدة مدن مشهورة بتجارة البن وهي (مخا وحديدة وعدن). وفيه مدينة سبأ (مأرب) وصنعاء. وسميت اليمن بهذا الاسم لوقوعها عن يمين الكعبة إذا استقبلتَ المشرق كما أن بلاد الشام عن شمالها.

القسم الثالث: حضرموت، في شرق (اليمن) وعلى ساحل (بحر الهند) ومنه يخرج العود ذو الرائحة الزكية المعروف بالقاقلى.

القسم الرابع: إقليم مهرة في شرق (حضرموت).

القسم الخامس: عُمان، المتصل بالخليج الفارسي من الشمال، ومن الشرق والجنوب بحر الهند. ويوجد فيه قليل من النحاس.

القسم السادس: الحسا، ويجاوره جزائر (البحرين) بالخليج الفارسي، ويمتد على ساحله إلى نهر الفرات. وسكان هذا القسم يستخرجون اللؤلؤ.

القسم السابع: نجد، وأراضيه مرتفعة وهو في وسط الجزيرة بين الحجاز والحسا وصحارى الشام وإقليم اليمامة، وهو يتصل بالشام شمالاً والعراق شرقاً والحجاز غرباً واليمامة جنوباً. وأرضه أطيب أرض في بلاد العرب. وفي نجد أرض (العالية) التي كان يحميها (كليب بن وائل بن ربيعة) حتى أفضى ذلك إلى قتله ونشوب (حرب البسوس) التي دامت أربعين سنة، حتى ضُرب بها المثل: «أشأم من حرب البسوس». وفيها جبل (عكاد) الذي لم تثبت العربية الفصحى بعد فسادها إلا في أهله.

وفي (نجد) كثير من الواحات والخيول الجميلة (المعروفة بالكحيل) وهي مرغوبة في بلاد الدنيا كافة. وفي جنوب نجد أرض اليمامة.

القسم الثامن: إقليم الأحقاف، وهو في أرض منخفضة في بلاد العرب وفي الجنوب الغربي من بلادَ (عُمان)، ويُلحق به أرض (اليمامة) وكان هذا القسم معموراً بأقوام من الجبابرة يقال لهم (عاد)، وقد أهلكهم الله بريح عظيمة وأهال عليهم الرمال.

* * * * * *

أما في القديم فكانت تُقسم إلى ستة أقسام: الحجاز واليمن ونجد وتهامة والإحساء واليمامة.

فاليمامة: بين نجد واليمن وهي في جنوب نجد بين الإحساء شرقاً والحجاز غرباً، ومن مدائنها (اليمامة وهجر)، وتسمى (العروض) أيضاً لأنها معترضة بين نجد واليمن.

وتهامة: تُحسب اليوم من أرض الحجاز كما قدمنا، وهي واقعة بين اليمن جنوباً والحجاز شمالاً.

والإحساء: تمتد على ساحل الخليج من (عُمان) إلى أرض (بُصرى)، وتسمى بالبحرين، ومن مدائنها (الإحساء والظهران والقطيف).

* * * * * *

والحجاز قد دخل فيه تهامة. واليمن انفصل عنه أقاليم حضرموت ومهرة عُمان. ونجد دخل في اليمامة والإحساء.

أنسابهم وطبقاتهم:

طبقات العرب ثلاث وهي:

العاربة الأولى: أو العرباء وتسمى (البائدة) وهم العرب الخُلّص الأولون، وقد ذهبت عنا تفصيلات أخبارهم لتقادم العهد، وقد كانوا شعوباً وقبائل كثيرة، وهم من ولد (إِرَم بن سام بن نوح). وهم تسع قبائل (عاد وثمود وأميم وعبيل وطَسم وجَديس وعِمليق وجُرهم الأولى ووبار)، ومنهم تعلم إسماعيل جد الرسول العربية، وهم أقدم الأمم بعد قوم نوح وأعظمهم قدرة وأشدهم قوة وآثاراً في الأرض، وقد انتقلوا إلى جزيرة العرب من (بابل) لما زاحمهم فيها بنو (حام). ثم كان لكل فرقة منهم ملوك وآطام وقصور إلى أن غلب عليهم بنو (يعرب بن قحطان).

وكانت مساكنهم في اليمامة من جزيرة العرب.

الطبقة الثانية: العرب العاربة الثانية، وبعضهم يسميها بالمتعربة، وهم من ولد (جُرهم بن قحطان بن عابر) وعابر اسم هود عليه السلام، وكانت مساكنهم بالحجاز، ويسمَّون أيضاً بالعرب اليمانية، لأن مواطنهم كانت في اليمن. ومن العرب المتعربة أو العاربة الثانية (بنو سبأ) واسم سبأ (عبد شمس) فلما أكثروا الغزو والسبي سُموا (سبأ) وهو (ابن يشجب بن يعرب بن قحطان)، وكان لسبأ عدة أولاد منهم (حمير وكهلان). وجميع قبائل عرب اليمن وملوكها التبابعة من ولد سبأ المذكور ما عدا (عمران) وأخاه فإنهما ابنا (عامر بن حارثة بن

امرىء القيس). وكان هؤلاء العرب يغلب عليهم الميل إلى الحضارة، فسكنوا المدن وأسسوا الممالك، ومنهم ملوك الحيرة (أي المناذرة) وملوك الشام (أي الغسانيون).

وكانت هذه الطبقة ـ أي العرب المتعربة ـ معاصرة أخيراً لإخوانهم من عرب تلك الطبقة أي العاربة الأولى، موالين لهم ومناصريهم. ولم يزالوا مجتمعين في رحاب البادية بعيدين عن الملك الذي كان لإخوانهم (العاربة الأولى) إلى أن تشعبت في الأرض فصائلهم وتعدَّدت أفخاذهم وعشائرهم ونما عددهم، فزاحموا معاصريهم أبناء الطبقة الأولى، وانتهزوا فرصة اضمحلال دولتهم وانتزعوها منهم ـ على ما يقال ـ في القرن الثامن قبل المسيح عليه السلام، فاستجدوا بالي الدولة بما استأنفوه من عزهم.

وكان (قحطانُ بن عامر) أول من نزل اليمن وغلب عليها حتى ملكها ولبس التاج، وملك بعده ابنه (يعرب) وهو أول من نطق بالعربية وقيل بل أبوه قحطان أول من نطق بها من العرب المتعربة أي العاربة الثانية، وليس المراد أنه أول من نطق بها على الإطلاق لأنه قد كان للعرب جيل آخر وهم العاربة الأولى، ومنهم تعلم قحطان وابنه يعرب العربية.

وقد غلب (يعرب) على قوم (عاد) في اليمن وعلى (العمالقة) في (الحجاز) وولى إخوته جميع أعمالهم فولَّى (جرهماً) على الحجاز وولى (عاد ابن قحطان) على الشِّحْر، وولى (عُمان بن قحطان) على بلاد (عُمان).

وكان من نسل (يعرب بن قحطان) التبابعة ملوك اليمن المشهورة بالحضارة والتمدن، وفي عصرهم حصل سيل العرم فأغرق اليمن وفرَّق السكان وجعلهم طوائف، كانت هذه الحادثة على ما يقال سنة (١٢٠) قبل المسيح عليه السلام، وكان من هذه الطوائف (آل غسان) ملوك الشام من قبل الرومان ويسمون (الغساسنة)، ومنها (آل المنذر) ملوك الحيرة من قبل الفرس ويسمون (المناذرة).

الطبقة الثالثة: العرب المستعربة أي التابعة للعرب، ومنهم الرسول ﷺ ويقال لهم (العدنانيون) نسبة إلى (عدنان) وهو أول شعب اشتهر من ولد إسماعيل، وسموا بالمستعربة لأن أباهم (إسماعيل بن الخليل) عليهما السلام لم يكن عربياً بل جاء به أبوه إبراهيم الخليل مع أمه (هاجر) إلى مكة فتزوج إسماعيل ببنت (مضاض) سيد قبيلة (جُرهم) وتكلم بالعربية وكانت لغته عبرانية. وقد تناسل منه جيل عظيم كانوا شعوباً وقبائل متفرقة بعضها بدوٌ اعتاد المعيشة في البادية تحت الخيام ويقال لهم الأعراب. (ويسمى كل من سكن البادية أعراباً ولو كانوا غير عرب، ومفرد الأعراب أعرابي)، ويعيشون من ألبان الإبل والغنم ولحومها، ويتنقلون من مكان إلى مكان في طلب العشب والماء. وبعضها حضر يسكن المدن كمكة والمدينة وجدة وغيرها ويقال لهم العرب. ولم يخضعوا قط لسلطة خارجة عنهم.

ومن ولد عدنان (معدّ) ومن معد (نزار)، واشتهر من أولاد نزار أربعة شعوب وهي: إياد وأنمار وربيعة ومضر.

وبنو (مُضر) كانوا أهل الكثرة والغلبة في الحجاز، وقد انفردوا

برياسة الحرم. واشتهر من قبائلهم (كنانة) ثم (قريش) التي منها النبي ﷺ.

وقريش كانت أشهر قبائلهم. وقد بلغت في القرن السادس من الميلاد المسيحي مبلغاً عظيماً من الشرف وعلو الهمة، وقد آلت إليها رياسة البيت الحرام، وكان لها نوع من السلطنة والمشورة على جميع قبائل العرب.

وكان التقدم في قريش لبني لؤي وكان سيدهم (قُصيّاً) لما كان له فيهم من الشرف والقرابة والثروة والأولاد، وقد تولى رياسة الكعبة سنة (٤٤٠) بعد المسيح، وكان منه بنو (عبد مناف) وكان القائم بأمرهم (هاشماً) ثم ابنه (المطلب) ثم أخاه (عبد المطلب) جد النبي عليه السلام.

* * * * * *

وهناك طبقة خامسة نشأت بعد حضارة الإسلام إلى يومنا هذا، وهم العرب المستعجمة الذين فسدت لغتهم على تمادي الأيام بسبب مخالطتهم غير العرب، وقد مرّ عليهم أدوار انقرض فيها ما كان لهم من الدولة والسطوة في الجاهلية والإسلام. وهم قبائل عظيمة، وشعوب كثيرة، يسكنون الخيام ويجولون في البراري. وأشهرهم قبيلة (عنزة) و (صخر) و (سباعة) وغيرها.

وقد دخل كثير من العرب المدن، وسكنوا حواضر البلاد بعد الإسلام، واختلطوا بأهل البلاد الشامية والمصرية والمغربية، حتى صار يُعد كل من تكلم العربية من أهل هذه البلاد عربياً.

قال بعض المعاصرين[1]: «وإننا بناء على ما نراه في شرق الأرض وغربها وفي جزائر البحار أيضاً من انتعاش اللغة العربية ونهضتها نأمل أنه سيكون في زمن غير بعيد للذين يكتبون بعدنا في هذا الشأن أن يعدّوا للعرب طبقة يسمونها (العرب العائدة) أي الذين عادوا إلى التكلم بالعربية الفصحى». ونحن نقول: حقق الله ذلك.

* * * * * *

---

(١) هو ظاهر خير الله.

ممالك العرب قبل الإسلام[1]:

كانت ممالك العرب قبل الإسلام منقسمة إلى دول كبيرة وممالك صغيرة، فالدول الكبيرة ثلاث:

أولها اليمن: وكان مقر ملوكها «صنعاء» وأول من ملك منهم «قحطان بن عابر» و«عابر» هو «هود» عليه السلام على بعض الأقوال. وخلفه على ملك اليمن «٢٨» ملكاً ثم انتقل الملك منهم إلى الدولة الثانية.

وأول من ملك منها «تُبَّع الأول ابن الأقرن». وخلفه عشرون ملكاً آخرهم «ذو جَدَن الحميري» الذي تغلب عليه «أرباط» قائد جيش «النجاشي» ملك الحبشة سنة «٥٢٩ م» واستولى على مملكته وضمها إلى مملكة الحبشة. وكان «أرباط» المذكور يزدري الضعفاء ويُكلفهم ما لا يطيقون من المشاق، فجزعوا لذلك وانتموا إلى «أبرهة» أحد رؤساء الجيش فأخذ بناصرهم وتحارب مع «أرباط» وقتله. وقام بالأمر بعده.

وبعد موته ملك ابنه «يكسوم» ثم أخوه «مسروق» فاستخلصها منه «سيف بن ذي يزن» بمساعدة «كسرى أنو شروان» وبعد موته تغلب عليها «كسرى»، وبقيت تحت سلطته إلى سنة «٦٣٤ م» حتى فُتحت بالإسلام. وكان العامل عليها حينئذ «باذن» الذي أسلم في عهد النبي عليه الصلاة والسلام.

(١) البهجة العباسية.

الثانية المناذرة: ملوك العراق، وكان مقر ملكهم «الحيرة» وهي قريبة من «الكوفة». وكانوا عمالاً للأكاسرة على عرب العراق. وأول من ملك على العرب بأرض الحيرة «مالك بن فهم»، وينتهي نسبه إلى قحطان «وكان ملكه في أيام ملوك الطوائف قبل الأكاسرة» ثم ملك بعده أخوه «عمرو بن فهم» ثم ابن أخيه «جَذيمة بن مالك بن فهم» ثم غيره إلى تمام «٢٦» ملكاً ثم انتزعها «خالد بن الوليد» عقب الفتح الإسلامي من آخر ملوكها «المنذر بن النعمان».

الثالثة الغسانية: ملوك الشام، وعددهم «٣٢» ملكاً وكانوا عمّالاً لقياصرة الروم على عرب الشام. وأول ملوكهم «جَفنة بن عمرو بن ثعلبة» وآخرهم «جَبلةُ بن الأيهم» وقد أسلم في خلافة أمير المؤمنين «عمر بن الخطاب» رضي الله عنه سنة «١٦ هـ».

وفي هذه السنة خرج «عمر» إلى الحج فحجَّ «جبلة» معه فبينما «جبلة» طائف إذ وطىء رجل من «فزارة» إزاره، فلطمه «جبلة» فهشم أنفه. فأقبل الفزاري إلى «عمر» وشكاه فأحضره «عمر» وقال: «افتدِ نفسك وإلا أمرته أن يلطمك». فقال «جبلة»: كيف ذلك؟، وأنا ملك وهو «سُوقة». فقال «عمر»: «إن الإسلام جمعكما وسوَّى بين الملك والسُّوقة في الحد» فقال «جبلة»: «أتنصَّر». فقال «عمر»: «إنْ تنصَّرتَ ضربت عنقك» فقال: «أَنظِرْني ليلتي هذه» فأنظره. فلما جاء الليل سار «جبلة» بخيله ورَجله إلى الشام. ثم سار إلى «القسطنطينية». وتبعه خمسمائة رجل من قومه فتنصروا عن آخرهم. وفرح «هِرَقْلُ» بهم وأكرمه.

ثم ندم «جبلة» على فعله ذلك وقال:

تَنصَّرَتِ الأشرافُ مِنْ عارِ لطمةٍ وَمَا كَان فيها لو صَبْرتُ لها ضرَر
تكنَّفَني فيهـا لَجـاجٌ وَنَخـوَةٌ، وَبِعتُ لها العينَ الصحيحةَ بالعَوَر
فيا لَيْتَ أُمِّي لَمْ تلِدْني، وَلَيْتَني رَجعتُ إلَى القَوْلِ الذي قالهُ عُمر

* * * * * *

وَهذه هي الدول الثلاث الكبرى في بلاد العرب. وأما الممالك الصغيرة فكثيرة مثل «كندة» وغيرها وكذا الملوك المتفرقون مثل «كُليب» ملك «بني وائل وتغلب» الذي قتلهُ «جساس بن مُرّة» ومثل «قيس بن زهير العبسي».

* * * * * *

أخلاقهم وعاداتهم، ما حسن منها وما قبح:

من أخلاقهم الحسنة، وعاداتهم الطيبة: الشجاعة، والعفة، والشهامة، والنجدة، وعلوُّ الهمة، والحمية، وحفظ العهود، والإيفاء بالوعود، والمحافظة على الأعراض أشدَّ المحافظة، فقد كان عندهم الموت أسهل من العار «حتى أدّى ذلك ببعضهم إلى دفن بناتهم وهنّ أحياء خشية العار». ومنها المدافعة عن الجار، وحفظ الجوار، والسخاء، والكرم، والضيافة، للغريب والقريب. ومنها الافتخار بشدة البأس، وعزة النفس، وإباءِ الضيم، والولوع بالأشعار، لأنها ديوان العرب، والحكم والأمثال، والحلم والفصاحة، والغلو في حفظ الشرف ومكانة النفس.

وأما لغتهم فكانت من أعز الأشياء لديهم، حتى أنهم كانوا يأنفون من مخالطة غير العرب حفظاً لها من العجمة.

ومن عاداتهم السيئة دفن بعض البنات وهنَّ أحياء خشية العار، وقتل الأولاد خشية الفقر، والغلوُّ في أخذ الثأر، حتى أنهم كانوا يشنُّون الحرب التي تزهق فيها النفوس الكثيرة في سبيل الأخذ بثأر رجل منهم، ومنها المنابزة بالألقاب. والنَّبَز هو اللقب المستهجن القبيح. ومنها التبنّي «وهو أن يُجعل الولد غير الحقيقي الذي يُتخذ كالابن بمنزلة الابن الحقيقي يَرثُ ويُورَث». ومنها عبادة غير الله، وكانت عبادتهم على أنواع مختلفة، ولهم آلهة وأصنام كثيرة: كاللّات والعزَّى وهُبَل ونَسْر وسُواع ويَغوث ويَعوق، وغير ذلك. وكان منهم من يعبد

النجوم كالشمس والقمر وعُطارد والمشتري، وغير ذلك. ومن ذلك أسماؤهم كعبد العزَّى وعبد يَغوث وعبد شمس، ونحوها. وكان في بلادهم كثير من النصارى واليهود والمجوس.

وكانوا قبلاً مُوَحِّدين، يعبدون الله على ملة «إبراهيم الخليل» و«إسماعيل» عليهما السلام. ثم اتخذوا الأصنام لتكون واسطة بينهم وبين الله بزعمهم، إلى أن عبدوها وقدموا لها القرابين، وذبحوا الذبائح على اسمها.

فلما وصلوا إلى هذه الدرجة من الجهل والكفر وعبادة غير الله أرسل لهم رسوله المصطفى ونبيه المرتضى «مُحمداً» ﷺ، فأرجعهم إلى الشريعة الحق: شريعة «إبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ» والأنبياء من قبلهم، فهداهم بعد الضلال، وأرشدهم بعد الحيرة.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المقدمة الثانية

شذرة في اللغة وآدابها[1]

اللغة[2].

اللغة ألفاظ يعبر بها كل قوم عما في ضمائرهم بأساليب خاصة.

وهي ضرورية للنوع الإنساني. وتلازمه من لـدُنْ دروجه إلى احتضاره. وبها يتميز عن سائر الحيوان.

وقد بلغت اللغات حدَّ الكثْرة، حتى قدَّرها بعضهم بثلاثة آلاف.

وقد تشعَّبت هذه اللُّغات حتى اصبح من المستحيل ردُّها إلى أصولها التي اشتُقَّت منها. وانقطع لذلك في (أوروبة وأميريكة) مئات الرجال. فأَنفذوا أعمارهم في دراستها وتحليلها. وغاية ما وصلوا إليه أن أَرجعوا جميع اللغات إلى أصـول ثلاثة:

---

(١) ملخصة عن (أدب اللغة العربية) للمرصفي. وعن (الخلاصة الوفية) لأحمد حسن الزيات. وعن كتابنا (الأدب العربي) وهو خط لم يُطبع. وعن (ابن خلدون). وعن (اللمع النواجم) لظاهر خير الله.

(٢) عن المرصفي.

الأولى: اللغة الآراميَّة (الساميَّة)، نسبةً إلى (الآراميِّين) وهم جيل من الناس كانوا يسكنون ما بين نهريْ (دجلة والفرات) قبل ألوف من السنين. واشتُقَّت منها العربيَّة والسريانية والعبرانية والقبطية والحبشية.

الثانية: اللغة (الطُّورانية) نسبة إلى (طوران) في (التركستان). ومنها اشتُقَّت التَّترِيَّة والتركية والصِّينيَّة والجَرْكسِيَّة والدانيماركية والهِنْكارية.

الثالثة: اللغة (الإيرانية) نسبة إلى (إيران) في (آسيا). ومنها جاءَت الفارسية واليونانية واللاتينيَّة وما تفرَّع عنها من لغات (أوروبة).

* * * * * *

اللغة العربية[1]:

أما اللغة العربية ـ وهي إحدى اللغات السامية ـ فهي تمتاز بسلاسة العبارة، وبلاغة الاستعارة، وغزارة المادة.

وقد اتفق أهل البحث من العلماء على أن اوسع اللغات بحراً، وأطوعها تصريفاً، وأجزلها عبارة، وأنصعها بياناً، هما اللغتان: العربية واليونانية. إلاَّأنَّ موادَّ العربية ـ على كثرتها العجيبة ـ كلها أصلية، وموادَّ اليونانية، الكثير منها حاصل بالنَّحت والتركيب من أصلين فأَكثر. فيكون غِنى العربية من أصلها، وغنى اليونانية بصنع أهلها.

(١) عن (اللمع النواجم) و (الخلاصة الوفية)

وحسب العربية مزية أن ليس في اللغات لغةٌ حفظت أصول شعرها وكتابتها تلك القرون العديدة وبقيت واحدة في أطراف الأرض غيرها. ولقد مرَّ عليها أدوار وعصور تختلف بين صعود وهبوط ووقوف.

«وسنذكر في هذه الشذرة طرفاً من ذلك. ونترك التوسع فيه لكتاب غير هذا نؤَلفه مختصّاً بهذا الموضوع».

تصريفها[1]:

اللغة مأْخوذة من (لغا يلغو) أي تكلم. وأصلها (لُغْوَةٌ) بضمٍّ فسكون: حُذفت (الواو) منها بعد نقل فتحتها إلى (الغين) فصارت (لُغَة). وتُجمع على (لُغات) و (لُغًى).

حصولها[2]:

قد اختُلفَ في حصولها. فقال قوم بالتوقيف. وقال قوم بالاصطلاح. ومعنى التوقيف أن الله سبحانه وتعالى علَّمها الإنسان. ومعنى الاصطلاح أن يجتمع إنسانان فأَكثر فيصطلحوا على أن هذه اللفظة لمعنى كذا، وهذه لمعنى كذا، وأطال كل فريق في الاحتجاج لمذهبه. والقول بالاصطلاح باطل عقلاً وعلماً وشرعاً. أما عقلاً فلأَنَّ الاصطلاح يقتضي سابق اصطلاح، وهذا ايضاً يقتضي سابق اصطلاح، وهكذا إِلَى ما لا نهاية، فهو باطل، لأنه من باب التسلسل. ومن جهة ثانية فإن الله الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم لا يتركه سدى من غير أن يعلمه لغة يعبر بها عما يخالج ضميره من المعاني والأفكار

---

(١) عن (اللمع).

(٢) عنها بتصرف وزيادة.

والحاجيات. وأما علما فلأنه ليس في التاريخ أن قوماً اجتمعوا فابتدعوا لغة. وأما شرعاً فقد جاء في الكتب المنزلة أن الله هو الذي علَّم آدم الأسماء كلها.

تدوينها:

الصرف والنحو[1].

كانت اللغة العربية من نشأتها إلى سنة ستين (٦٠) للهجرة لغة يتلقَّفها الأبناء عن الآباء، كما تأْخذ صبياننا لهذا العهد لغتنا العامية. فلما جاء الإسلام وفارقوا بلادهم للفتح أو غيره، وانتشروا بين الأعاجم أخذ اللحن في اللغة يفشو، ودبَّت عقارب العجمة فيها. فتغيرت تلك الملكة بما أُلقي إليها مما يغايرها. فخشي أهل الإدراك منهم أن تفسد تلك الملكة، رأْساً، ويطول العهد بها، فينغلق القرآن الكريم والحديث الشريف على الفهوم.، فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة تعصم مراعاتها المتكلم عن الخطإ. وقيَّدوا ذلك بالكتابة، وجعلوها صناعة خاصة، واصطلحوا على تسميتها بعلم «النحو». وأول من وضع ذلك «أَبو الأسود الدُّؤَلي» المتوفى سنة سبع وستين (٦٧) للهجرة بإشارة الإمام «علي بن أبي طالب» رضي الله عنهما، لأنه رأَى تغيُّرَ الملكة ففزع إلى ضبطها بالقوانين الحاضرة المستقرأَة. ثم كتب فيها الناس من بعده إلى ان انتهت إلى «الخليل بن أحمد الفراهيدي» أيام «الرشيد». فهذَّب الصناعة وأكمل أبوابها. وأخذها عنه «سيبويه» فأَكمل تفاريعها، واستكثر من أدلَّتها وشواهدها. ووضع فيها كتابه

(١) عن (ابن خلدون) بتلخيص وتصُّرف وزيادات كثيرة.

المشهور الذي صار إماماً لكل من كتب فيها من بعده. ثم كثرت المؤَلفات من بعده حتى ضاقت عنها صدور المكتبات.

وكانت «البصرة» و «الكوفة» من أعمر الأمصار التي اختطَّها العرب. وقد تفرّغ من أهليهما أناس لضبط اللغة وعلومها نقلاً عن عرب البادية بالخروج إليهم، والإقامة بينهم، والسماع منهم، واستكتابهم. وكان رئيس علماء البصرة «سيبويه» ورئيس علماء الكوفة «الكسائي». وكلاهما قد جاهد مع اتباعه حق الجهاد في المناضلة عن اللغة والذب عن حياضها. وكان بين «البصريين» و «الكوفيين» حروب جدال كثيرة كثرت فيها الأدلة، وعظم فيها اللجاج، وتباينت فيها الطرق. حتى أدَّى الأمر إلى موت «سيبويه» رئيس «البصريين» غماً وكمداً من أجل مسألة حكم فيها عرب البادية عند «الرشيد» لإمام الكوفيين «الكسائي» في قصة طويلة مشهورة.

ثم فصل بعض العلماء عن النحو ما يتعلق بالكلمات المفردة. وجعلوها علماً مستقلاً سموه «علم الصرف» أو «التصريف». وأقدم من صنع ذلك «ابن جِنّي» وَ «معاذ الهرَّاء».

وافضل من كتب بعد هؤلاء من المتأخرين هو «ابن هشام». فقد اخرج للناس كتباً هي خير ما رأيناه بعد كتب «سيبويه» وأضرابه.

وقد حدت الهمة بالمعاصرين إلى تأليف كتب تلائم روح العصر. منها كتاب «الدروس النحوية» للجنة من أساتذة المصريين. وكتاب «مبادىء اللغة العربية» للمعلم «رشيد الشرتوني». و «دروس الصرف والنحو» للشيخ «محيي الدين الخياط». وكتاب «الدروس

العربية[1]» للشيخ «مصطفى الغلاييني» مؤلف هذا الكتاب. وقد كتب كثير غيرهم. ولا يزالون يكتبون نفع الله بهم، حتى تنهض هذه اللغة من كبوتها وترجع إلى سالف مجدها.

متن اللغة[2]:

ثم إنه لما فسدت ملكة اللسان العربي في الحركات المسماة عند أهل النحو (بالإعراب)، واستُنبطت القوانين لحفظها ـ كما قدمنا ـ استمرَّ ذلك الفساد بملابسة العجم ومخالطتهم، حتى تأدى الفساد إلى موضوعات الألفاظ. فاستعمل كثير من كلام العرب في غير موضوعه عندهم ميلاً مع هجنة المتعربين في اصطلاحاتهم المخالفة لصريح العربية. فاحتيج إلى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتابة والتدوين، خشية الدروس وما ينشأ عنه من الجهل بالقرآن والحديث ومنثور العرب ومنظومهم. فشمَّر كثير من أئمة اللسان لذلك، وأَمْلَوْا فيه الدواوين. وكان سابق الحلبة في ذلك (الخليل بن أحمد الفراهيدي) ألف فيها كتاب (العين) ثم جاء (أبو بكر الزبيدي) فاختصره مع المحافظة على أصله. وألف (الجوهري) كتاب (الصحاح). ثم اختصره (الرازي) وسماه (مختار الصحاح). وألف (ابن سيده) كتاب (المحكم). ثم

(١) هو كتاب مؤلف في أصول اللغة العربية على أحدث أسلوب، له مقدمة، وهي «سلم الدروس العربية» ثم أربعة كتب في الصرف والنحو، وكل كتاب منها مستقل عن الآخر يرتقي الطالب فيها من كتاب إلى آخر دون أن يشعر بصعوبة أو ملل. والكتاب بأجزائه يطلب من المكتبة العصرية: صيدا ـ بيروت. وقد قررت وزارة المعارف وكثير من المدارس الأهلية في أنحاء مختلفة تدريسه.

(٢) عن (ابن خلدون) بتلخيص وتصرُّف وزيادات كثيرة.

لخصه (محمد ابن أبي الحسين) صاحب (المنتصر) من ملوك (الدولة الحفصية) في (تونس) وكتب فيها (الزمخشري) كتابه (الأساس) في مجاز اللغة. وألف (الثعالبي) كتابه (فقه اللغة). وألف (الفيروزابادي) كتاباً عظيماً. ثم اختصره بكتابه المعروف باسم (القاموس). وألف (ابن منظور) كتابه (لسان العرب) المشهور. وألف كثير غيرهم. ثم ألف المعاصرون كتباً في اللغة منهم المعلم (بطرس البستاني) ألف (محيط المحيط، وقطر المحيط). والمعلم (سعيد الشرتوني) ألف (أقرب الموارد). والمعلم (جرجس همام) ألف (معجم الطالب). والأب (أنطون المعلوف) ألّف (المنجد). وقد بلغني أن الأستاذ (الشيخ طاهراً الجزائري) ألف كتاباً نفيساً فيها وهو يريد أن يمثله بالطبع منذ مدة ليست بالقصيرة. فعسى أن الهمة العالية التي نعرفها فيه تحدوه إلى إظهاره خدمة لهذه اللغة الشريفة.

البيان والأدب[1]:

ثم لما أخذ الفساد يدب في أساليب اللغة والإنشاء حدت الهمة بالعلماء إلى وضع كتب ترشد إلى معرفة الأساليب الصحيحة. وكانت هذه المسائل مبعثرة في كتب العلماء كالإمام (سيبويه) وغيره. وأقدمُ من أقدمَ على تخليص ذلك وابتكار غير الموجود وتدوينه الإمام (عبد القادر الجرجاني) في كتابيه (أسرار البلاغة) و(دلائل الإعجاز). الأول في (البيان) والثاني في (المعاني). ثم تهافت العلماء على التأليف في هذا الموضوع وتلخيص ما كتبه عبد القاهر وترتيبه وتبويبه. غير أن

---

(١) عن كتابنا (علم الادب العربي).

اكثرهم قد جعل ذلك قواعد نظرية، حتى أخرجه عن معنى البلاغة والأساليب الصحيحة. وكتابا (عبد القاهر) لا يُشَقُّ لهما غبار، وهما خير ما أُخرج للناس، لمن أراد أن يكون بليغاً علماً وعملاً.

ولمؤلف هذا الكتاب كتاب جليل سماه (علم الأدب العربي) جمع فيه بين طريقة (عبد القاهر) وطريقة غيره. وأودعه علوم البلاغة، والإنشاء، والخطابة والعروض، وقرض الشعر، وما يتبع ذلك من فنون الأدب. غير أنه لم يُطبع بعد.

ثم لما فترت الهمم عن تلقي منثور العرب ومنظومهم. أخذ العلماء يدونون أخبار العرب وأحاديثهم وأشعارهم. ونُكَتهم وما يتبع ذلك من وجوه الأدب التي لا غنى عنها للمتأدبين.

وقد قالوا: إن أركان الأدب أربعة دواوين وهي (أدب الكاتب) لابن قتيبة، و(الكامل) للمبرد، و(البيان والتبيين) للجاحظ، و(النوادر) لأبي علي القالي البغدادي. ونحن نزيد عليها كتاب (الأغاني) لأبي الفرج الأصبهاني ذلك الكتاب الممتع.

العروض وقرض الشعر[1]:

وقد وضع (الخليل بن أحمد الفراهيدي) موازين للشعر مستقرئاً بذلك ما قاله العرب. وقد استدرك عليه غيره بحراً من بحورها وهو المعروف بالبحر (المتدارك).

---

(١) عن كتابنا (علم الادب العربي).

ثم أخذ العلماء في التأليف في هذا الموضوع وجعلوه علماً نظرياً. وقد ألف مؤلف هذا الكتاب في ذلك كتاباً سهل التناول سماه (الثريَّا المضية، في الدروس العروضية).

ثم حدث علم (قرض الشعر) بعد أن فسدت ملكة أسلوب الشعر العربي. وهو علم ذو قواعد تعرّف من له سليقة بكيفية نظم الشعر ومحاسنه وعيوبه. وأفضل من ألف في ذلك (ابن رشيق) ألف كتاب (العمدة) و (ابن هلال العسكري) ألف كتاب (الصناعتين).



العرب الذين أخذت عنهم اللغة[1]

قال (أبو نصر الفارابي) في أول كتابه المسمى بالألفاظ والحروف: كانت (قريش) أجود العرب انتقاءً للأفصح من الألفاظ، وأسهلها على اللسان عند النطق، وأحسنها مسموعاً، وأبينها إبانة عمّا في النفس. والذين نُقِلَتْ عنهم العربية وبهم اقتديَ وعنهم أُخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم (قيس) و(تميم) و(أَسد) فإنَّ هؤلاء هم الذين عنهم نُقل أكثر ما أخذ وَمُعْظَمُهُ، وعليهم اتُّكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف. ثم (هُذيل) وبعض (كِنانة) وبعض (الطائيِّين). ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم. وبالجملة فإنه لم يُؤخذ عن حضري قط، ولا عن سُكان البراري ممن يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم. فإنه لم يُؤخذ عن (لَخْم) ولا عن (جُذام) لمجاورتهم أهل (مصر) و(القبط)، ولا عن (قُضاعة) و(غَسَّان) و(إياد) لمجاورتهم أهل (الشام) وأكثرهم نصارى يقرأون بالعبرانية، ولا من (تغلب) و(النمر) فإنهم كانوا بـ(الجزيرة) مجاورين لليونان، ولا من (عبد القيس) و(أَزْد عُمان) لأنهم كانوا بـ(البحرين) مخالطين للهند والفرس، ولا من أهل (اليمن) لمخالطتهم للهند والحبشة، ولا من (بني حنيفة) وسكان (اليمامة)، ولا من (ثقيف) وأهل (الطائف) لمخالطتهم تجار (اليمن) المقيمين

---

(١) عن (المزهر) للسيوطي.

عندهم، ولا من حاضرة (الحجاز) لأن الـذين نقلوا اللغة صـادفوهم حين ابتدأوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم.

والذي نقل اللغة واللسان العربي عن هؤلاء وأثبتها في كتـاب فصيَّرها علماً وصناعة هم أهل (البصرة) و (الكوفة) فقط من بين أمصار العرب.

* * * * * *



أدب اللغة[1]

الأدب هو معرفة ما يوصل المرء إلى تجنُّب الزلل في أعماله وأقواله.

وهو قسمان: أدب النفس وأدب الدرس. فالأول يُسمى بالطبيعي. والثاني بالكسبي.

فأدب النفس هو ما فُطر عليه الانسان من الأخلاق الفاضلة، والمزايا النبيلة: كالجود والشجاعة والكرم والحلم، وغيرها.

وأدب الدرس هو ما يحصّله المرء بالمدارسة والمطالعة والمزاولة والنظر في الأكوان.

ولمَّا كان هذا الأدب ـ أدب الدرس ـ لايحصل إلَّا بالدرس والمطالعة يضطرُّ المتأدب إلى الآلة التي يحصل بها ذلك. والآلة هي اللغة وآدابها. فهما الأستاذ الأعظم لمن يريد أن يحصل الأدب بالدرس.

علم الأدب العربي[1]:

علم الأدب العربي هو الأصول التي تُعرف بها أساليب الكلام العربي.

---

(١) عن كتاب (علم الادب العربي) لمؤلف هذا الكتاب.

وأركانه خمسة: (البيان بأقسامه ـ أي المعاني والمجاز والبديع ـ والإنشاء والخطابة والعروض وقرض الشعر).

ومداره على الكلام المنثور والمنظوم من حيث البحث عن بلاغتهما وعدمها.

والغاية منه حملُ المتأدب على أن يتحدَّى بليغ الكلام من نثر ونظم، فينسج على منواله.

ومَطالع علم الأدب من ثلاثة أوجه: قلبٍ مفكِّر، ولسان مُعَبِّر، وبيان مصور.

فمن كان غبياً خامل الذهن، ليس له ذكاء ولا فكر راقٍ، ولا خيال يصوّر ما يريد انشاءه، ولاذوق يميز به بين الغث والثمين، فأولى له أن يدع هذا العلم وينصرف إلى غيره مما هو أكثر فائدة له.

وأما طلاقة اللسان فإنما يحتاج إليها من يريد أن يكون خطيباً، وهي شرط مهمّ فيه.

المطالعة[1]:

وعلى المتأدب أن يكثر من مطالعة الكتب والرسائل الأدبية المشتملة على الجيد من المنظوم والمنثور، ليكون له من وراء ذلك سليقة عربية، ومادَّة وافرة. ويودع حافظته مختار اللفظ، وشريف المعنى، وبليغ الأسلوب، بحيث يستعمل ذلك عند الحاجة، ويحتذي مثاله.

---

(١) عن كتابنا (علم الادب العربي).

أما درس الأدب مجرَّداً عن المطالعة فلا يفيد الطالب فائدة تُشكر، لأن العلم بلا عمل أضرُّ على صاحبه من الجهل. فالمطالعة تطبع في الذهن ملكة البلاغة.

وَلا ينبغي للمطالع أن يقرأ من الكتب إلا ما هو مشتمل على كلام فحول البلغاء، حتى ينطبع في ذهنه أسلوبهم، فينحو منحاهم.

وقد كتبنا في موضوع (أساليب الكلام العربي) والكتب التي يجدر بالمتأدب أن يطالعها مقالاً مهماً نشرناه في كتابنا (أريج الزهر) فليرجع إليه من شاء.

رياضة القلم واللسان والفكر[1]:

ثم بعد ذلك ينبغي له أن يرتاض على الكتابة والنظم، ويعوِّد نفسه الإنشاء والكتابة والتعبير عن كل ما يدور في خَلَدِهِ من المعاني والأغراض، ويروِّض فكره على استنباط المعاني والجولان في حدائق الموضوعات السامية، ويدع لسانه ينطق بما في نفسه بلفظ فصيح، من غير حياء ولا وجل، لتتمكن في نفسه ملكة الخطابة. وكل ذلك يُشترط فيه البداءة بالمعاني الموجزة، والأغراض القريبة. حتى إذا أتقن تصوُّرَها وإنشاءها على أَسَلَي اللسان والقلم، انتقل إلى غيرها. وهكذا حتى تصير ملكة الاختراع وإظهارها على اللسان والقلم خُلُقاً فيه.

---

(١) عن كتابنا (علم الأدب العربي).



تاريخ أدب اللغة[1]

تاريخ أدب اللغة هو علم يُبحث فيه عن أحوال اللغة وأطوارها وما دخلها من وجوه التهذيب والتحسين أو التأخير.

وموضوعه الكلام من حيث الحسن والإجادة والطبقة، والشعراء والخطباء، وما نمّقوه من بنات الأفكار ومبتكرات الخيال.

وفائدته الوقوف على تواريخ الألفاظ وما اعتورها من تغيير المعنى بالاصطلاح والمجاز والكناية وغيرها، واكتساب ملكة النَّقْدِ بالوقوف على ثمرات الأفكار من نوابغ الرجال، ومعرفة المآخذ الصحيحة ممن يُوثَق بعربيَّتهم، وإرجاع الأساليب إلى العصور الراقية بالأدب. حتى تحيا اللغة بالتحدِّي والمماثلة.

تهذيب اللغة[2]

إن اللغة قد ترقّتْ مع الناموس الطبيعي فدخلها التهذيب، ودارت عليها دائرة الصقل والتعريب، شأن كل لغة درجت من مهدها. إلا إنها لم تصل إلى ما هي عليه الآن وقبل الآن من جزالة التركيب وسلاسة الأساليب إلا بعد أن تناولتها أيدي التهذيب غير مرة.

التهذيب الأول:

وذلك قبل (اسماعيل) والإسلام. فقد كان للعرب العاربة عظيم

(١) (٢) عن (ادب اللغة العربية) للمرصفي.

الفضل على اللغة العربية في نشأتها، لأنهم كانوا يأخذون ألفاظ اللغات الأخرى بعد أن يعرضوها على محك التعريب، فيصقلها، ويعطيها المسحة العربية، حتى تصير بهم أجدر.

التهذيب الثاني:

وذلك أنه لما نزل (إسماعيل) عليه السلام أرض (الحجاز)، وتزوج من (جُرهم الثانية)، ونشأ منهم (العرب المستعربة)، دخل العربية كثير من وجوه التحسين بواسطته وواسطة أولاده، حتى وصلوا بالعربية إلى أوج الرقي. ولكن الدهر لم يدعهم صاعدين بها، بل جر عليهم حوادثه، وقلب لهم ظهر المجن، حتى باتت كل قبيلة تأكل لحم أختها كرهاً وعدواناً، إلى أن تشتت الكثير منهم. فأصابها من الضعف ما أصابها.

التهذيب الثالث ـ أو ـ أسواق العرب:

وهو تهذيب قريش فقد كانت العرب تَرِدُ عليهم في مواسم الحج. وتقيم عندهم ثلاثة أيام في (سوق ذي المجاز)، وسبعة في (سوق مَجَنَّة)، وثلاثين في (سوق عُكاظ)، وعشرين يقضون فيها مناسك الحج.

وفي أثناء ذلك كانت العرب تتناشد الأشعار أمام قضاة الأدب، وتترنم بالخطب. حتى اتحدت اللغة. وكانت لغة (قريش) هي المهيمنة عليهم، السائرة على ألسنتهم. وبها نزل القرآن الكريم.

إلا أن الأسواق الأخرى غير (عكاظ) كانت ابتدائية خاصة لا

يحضرها غير فصحاء قبيلتها. ولكن (عكاظ) هذه كانت مؤتمراً عاماً تجتمع فيها قبائل العرب، فيتفاخرون ويتناشدون الأشعار ويتعارفون فيها. وكان الغرض منها اجتماع فحول الشعراء والخطباء والبلغاء لإبداء نتائج أفكارهم، وإظهار محاسن فصاحتهم وبلاغتهم.

وكان يجتمع فيها سادات العرب وملوكهم ورؤساء قبائلهم. ومثل (عكاظ) في ذلك (سوق ذي المجاز).

وكانت (عكاظ) تُقام بين الأول والعشرين من (ذي القَعدة) في كل سنة. ولم تجتمع إلا بعد (عام الفيل) بخمس عشرة سنة. وقد هدمت أركانها أيدي الخوارج سنة تسع وعشرين بعد المئة من ذلك العام.

التهذيب الرابع:

وذلك بعد أن ظهر الإسلام، فقد غير القرآن بعض أساليب الكلام وهذَّبها ورقَّاها، فاكتسبت بذلك رونقاً وبهاء. وسيأتي الكلام على ذلك.

* * * * * *



اللغة في العصر الجاهلي[1]

لما رجعت اللغة من مهدها أخذت تنمو وتنتشر تبعاً لنواميس الكون. وأهلها ـ وإن كانوا أميين ـ قد ساعدوها على النماء والحياة بما جُبلوا عليه من فصيح المنطق وبليغ القول، وما أدخلوه فيها من أسماء النباتات والحيوانات والاصطلاحات من لغات غيرهم.

على أن أميَّتهم وإن لم تقف في تيار نهضتهم فقد نشأ عنها ـ لعدم الرابطة بين القبائل المتنائية ـ اضطرابٌ في اللغة: لتعدُّد الأوضاع، واختلاف اللهجات، وغير ذلك مما دعا أولي الرأي منهم أن يفكروا في توحيد اللسان العام وتهذيبه. فأقاموا لذلك أسواقاً أشبه بالمؤتمرات اللغوية، بثُّوا فيها وحدته ـ كما قدمنا ـ فكانت لغة (قريش) فارس الحلبة، وصاحبة الغَلَب. ولولا (عكاظ) ونظائرهم لم يكن ذلك أمراً ميسوراً.

النظم والنثر فيه[2]

كان للشعر في عصر الجاهلية أسمى المنازل وأشرف الدرجات، لأنه ديوان علومهم وحِكَمهم، وشاهد صوابهم وخطأهم، والضابط لأيامهم وأنسابهم. وقد كان الشاعر صاحب الكلمة، يُعِزُّ من يشاء ويُذِلُّ من يشاء بيده الأمر والنهي، وإليه الحل والعقد.

---

(١) عن (الخلاصة الوفية) و (أدب اللغة).

(٢) عنهما بعض تصرف.

وكانت القبائل يهنىء بعضهم بعضاً إذا نبغ فيهم شاعر. وتُقام لذلك الولائم والأفراح.

وكان الشاعر يقول الشعر طبعاً من غير تكلّف، وسهلاً من غير تعسُّف. إلا إذا تعمَّد ذلك كزهير، فقد كان لا ينشد بعض قصائـده حتى يحول عليها الحول. كما سترى ذلك في الكلام على شعره، إن شاء الله.

وقد طرق الشعراء في هذا العصر أبواباً كثيرة كالمدح والهجاء والفخر والحماسة وضرب الأمثال. فصاغوا ذلك كله في قالب الإجادة والإبـداع.

وكانوا يأبون الإجازة عليه حتى جاء (النابغة الذبياني) و(زهير) و(الأعشى) فقبلوها. وكان أول من سنَّها (النابغة). فأنِفت الناس من قول الشعر بعض الأنفة. إلا أن ذلك لم يحطَّ من قدره لقلة من فعل ذلك من الشعراء في الجاهلية.

ونهضة الشعر في هذا العصر تتناول مئة وخمسين (١٥٠) سنة. يمتاز فيها برسم الحقيقة رسماً ناطقـاً، ووصفِ الشيء على علّاتـه، وبيانه على طبيعته.

وأجود ما قيل فيه المعلقات. وصفوة فحوله شعراؤها.

أما الكلام المنثور فقد كان لهم فيه اليد الطولى كالمنظوم. ما بين مسجع ومرسل. وقد أثر عنهم منه شيء كثير مما يعلق بالضمير لنفاسته كالأمثال والحكم والوصايا والخُطَب.

فالمثل جملة مقتطعة من القول أو مرسلة تُنقل عما وردت فيه إلى مشابهه من غير تغيير. كقولهم: «الصيف ضيَّعتِ اللبن».

والحكمة هي قول موافق للحق مَصون عن الحشو. كقوله: «المرء بأصغريه قلبه ولسانه».

والفرق بينهما أن المثل لا بدّ فيه من واقعة حال قيلت فيه الجملة.

والخطبة جملة من القول يراد بها الترغيب فيما ينفع، والتنفير مما يضر. وربما حوت فخراً أو غيره.

ومثلها الوصية إلا أن الخُطَب تكون في المجامع والمواسم، والوصية لا تكون إلا من مثل شخص لعشيرته أو ولده أو لدى الانتقال من حال إلى حال.

الكتابة فيه[1]:

يجهل التاريخ تحديد الزمن الذي ابتدىء فيه باستعمال الخط العربي. غير أنه يُرَجَّح أن أول من كتب بالعربية اليمنيون أصحاب (هود) عليه السلام. وكان خطّهم يُسمَّى (المُسْنَد) يكتبونه حروفاً منفصلة - كما يكتب الإفرنج لغتهم - ويحظرون على العامة تعلُّمَه. على أن ثلاثة من (طيّء) تمكنوا من ذلك. فاقتطعوا منه خطاً سمَّوه (الجزم) وعلموه أهل (الأنبار). وعن هؤلاء أخذه أهل (الحيرة)

(١) عن الزيات بتصرف.

وتداولوه. فلما قدم (حرب بن أمية) جد (معاوية بن أبي سفيان) إلى (الحيرة) نقله إلى مكة ونشره في (الحجاز).

علوم العرب في جاهليتها[1]:

تقدَّم تقسيم العرب إلى (بائدة) و(غيرها) فغير البائدة هم الذين تفرعوا من (عدنان) و(قحطان). أما (القحطانيون) فهم عرب (اليمن). وقد كانوا على حظ عظيم من العلوم والآداب، وقدم راسخة في المدنية، وأصل عريق في الحضارة، وحكومات شوروية منظمة. وقد استولوا على كثير من البلاد والعباد. وقد ذكر القرآن الكريم شيئاً من سياستهم الدولية كالتي كانت بين مملكة (فلسطين) ومملكة (سبأ). وقد ذكر ما كتب به (سليمان) عليه السلام إلى (بلقيس)، وما اشتغلت به من التدبير والمشورة، وإرسال الهدية لاستطلاع ما عسى أن يكون من الأمر. وذلك قوله تعالى حكاية عنهما: ﴿إذهب بكتابي هذا، فألقه إليهم، ثم تولَّ عنهم، فانظرْ ماذا يرجعون. قالت يا أيها الملأُ أفتوني في أمري، ما كنت قاطعةً أمراً حتى تشهدون﴾. إلى آخر القصة.

وأما العدنانيون، فقد كانوا على شريعة موروثة، وهي ما جاء به (إبراهيم وإسماعيل) عليهما السلام. إلا أن تطاول الدهور عليهم عدل بهم عما كانوا عليه. ولم يبق لهم إلا بنات أفكارهم من كل ما سمحت به قرائحهم من الشعر والخطب والنسب والأخبار والأنواء[2] والفِراسة[3]

---

(١) عن المرصفي بتصرف قليل

(٢) الانواء هي الامطار، ومفردها «نوء».

(٣) الفِراسة بكسر الفاء هي ادراك الاشياء بقوة الذكاء ووفرة الفطنة. واما الفَراسة بفتح الفاء فهي الحذق بركوب الخيل وأمرها.

والكهانة[1] والعرافة[2] والطب والنجوم والحروب وبعض الطبيعيات والقيافة[3] والعيافة[4] والبيطرة وبعض الصناعات وغيرها مما أدركوه بفرط العناية والتجربة والذكاء.

---

(١) الكهانة هي القضاء بالغيب في الشؤون المستقبلة.

(٢) العرافة هي القضاء بالغيب في الشؤون الماضية.

(٣) القيافة قسمان: قيافة البشر وقيافة الأثر، فالأولى هي التأمل في أعضاء الإنسان وهيآته لإثبات نسبه وأخلاقه ومواهبه. والثانية هي تتبُّع آثار الأقدام والأخفاف والحوافز للاستدلال على الضال والفار من الإنسان والحيوان.

(٤) العيافة هي زجر الطير فان ولت الزاجر ميامنها دلت على الخير، وان ولته مياسرها دلت على الشر.



اللغة في صدر الاسلام[1]

كان القرآن له الفضل العظيم على اللغة لاضطرار كل مسلم إلى تفهُّمه والتأدب بآدابه. فزادت العناية بها. ووفرت الهمة في درس القرآن الكريم وحفظه. ومدة هذا الدور أربعون (٤٠) سنة.

النثر والنظم فيه[2]:

لما جاء القرآن الكريم، وظهر بهذا المظهر العجيب: من البلاغة الرائعة، والمعاني السامية، خفتت أصوات الخطباء، وسكتت ألسنة الشعراء، لما عراهم من الهيبة والروعة والدهشة. فصار الخطيب المصقع من يقتبس بعض آياته ليزيد كلامه رونقاً، وخطابته بهجة.

أما الشعر فقد غفا غفوة لم تكن بالطويلة. لدهش الشعراء من أسلوب القرآن من جهة ولاشتغالهم بالقرآن وآداب الدين والجهاد من جهة ثانية.

الكتابة فيه[3]:

كانت الكتابة قبل الإسلام قليلة الانتشار، حتى بُعث النبي - ﷺ - فانتشرت للحاجة إليها في كتابة الوحي والرسائل التي يُنفذها عليه الصلاة والسلام إلى الملوك والأمراء. وقد جاء في السيرة

---

(١) (٢) (٣) عن كتابنا (علم الادب العربي).

النبوية أنه أمر - عليه السلام - الأسرى (الذين كانوا عنده بعد غـزوة بدر) أن يعلّم من لم يكن له فداء منهم عشرة من صبيان المدينة الكتابة فانتشرت بعد ذلك الكتابة خصوصاً أيام الخلفاء الراشدين.



اللغة في العصر الأموي

بعد أن اختلط العرب بغيرهم من الأعاجم بسبب الفتوح فشا اللحن في اللغة خصوصاً في (الدولة الأموية). ولم يكن ذلك قاصراً على العامة والسوقة، بل فشا الأمر بين الخلفاء والأمراء، حتى خِيف على اللغة والقرآن، فكان من ذلك وضعُ القوانين التي تحفظ اللغة، كما قدمنا.

النثر والنظم فيه[1]:

أثَّر القرآن في اللغة وأهلها فنسجوا على مِنواله، وضربوا على مثاله، في الدعوة للدين، والإرشاد للخير، فاصطبغت بصبغته، وسارت في وجهته. ولذلك ترى النثر في الصدر الأول أبعد من الحشو والكلفة، وأنزه عن اللغو والصنعة. وهو في عصر الأمويين أجمل وأكمل لتحدِّيهم للقرآن، وتوسعهم في العمران، وسموهم في الخيال، ورقيهم في التصوُّر، فاكتسبت الألفاظ مسحة البلاغة ورقَّة الحضارة. وحسبك أن تقرأ كتبهم وخطبهم فتعلم ذلك.

وأما الشعر فكان قد غفا قبل هذا العصر غفوة أخمدت من جذوته، وأضعفت من قوته، لاشتغال القوم عنه بأمر الدين، فمن داعٍ إليه ومن رادٍّ عليه. وما لبث أن أفاق، فجمَّل الآفاق، بما هزَّ القلوب،

---

(١) من هنا الى الكلام عن الدول المتتابعة عن (الخلاصة الوفية) بتصرف قليل.

ولذَّ المسامع. وقد ساعد على نهضته أن الدين أباحه والنبي سمعه واستنشده، والخلفاء استمالوا الشعراء ووصلوهم إلى إنشاده وأدنَوْهم منهم على قدر نصيبهم منه. فبلغ بذلك مبلغاً راقياً ومكاناً عالياً. أما مدة هذا العصر فهي من بَدْء الخلافة الأُمويَّة إلى آخر عهدها، أي نحو مئة عام إلا قليلاً. ويمتاز فيها الشعر ببلاغة المعنى ومتانة المبنى. وشعراء هذا العصر والعصر الذي قبله إما مخضرمون، وهم من أدركوا الجاهلية والإسلام، كحسَّان بن ثابت والخنساء وكعب بن زهير والحطيئة. وإما إسلاميون وهم من نشأوا في الإسلام، كجرير والفرزدق والأخطل وبشَّار وكلهم أرق ديباجة وأوفر بلاغة من شعراء الجاهلية.

الخطابة والرسائل فيه:

لا نجد فرقاً بين الخطابة في الجاهلية وبينها في صدر الإسلام إلا في رقة التعبير، ودقَّة التصوير، وقوة التأثير: بما اكتسبته من القرآن. فقد كان جهد الخطيب أن يترسم خطوه، ويحذو حذوه، وأن يرصِّع خطبته ببعض آيه لتكون أحسن في الموقع، وأخفّ على المِسمع.

ولما اتسع السلطان واستبحر العمران كثرت البواعث إلى الخطابة. وتشعَّبت أغراضها، فرقت رقياً كبيراً يعرفه كل مُلِمٍّ بخطب الخلفاء الراشدين وغيرهم كمعاوية وزياد والحجَّاج.

أما الرسائل فكانت في صدر الإسلام موجزة بليغة، بعيدة عن

الصنعة وإعنات القريحة. ولكنها اختلفت كثيراً في أواخر الدولة الأموية إذ أطالوها وتعمدوا التنميق، فظهرت فيها الصنعة والكلفة. والبادىء بذلك هو عبد الحميد الكاتب، زعيم الطبقة الثانية من الكتَّاب.

الخط فيه:

انتشرت الكتابة في هذا العصر وكان الباعث على انتشارها حاجة الدين إليها، وانتقال الدواوين من الفارسية والرومية والقبطية إلى العربية بعد أن استوثق الأمر واستكمل النظام.

وأول ما كتب بالعربية القرآن خالياً من الإعجام، حتى فشا اللحن فوضع له (أبو الاسود الدُّؤلي) علامات الإعراب في أواخر الكلمات. ثم جاء (نصر بن عاصم) وبعده (الخليل بن أحمد) فتمَّما بقية الإعجام.

وكان المستعمل في ذلك العصر من الخط نوعين أحدهما (الحزم) المسمى بعدُ بالكوفي، كان يستعمل كتابة المصاحف وما يُطلب تجويده، وثانيهما أصل خط (النسخ)، وكان يستعمل في الكتابة العادية كالرسائل ونحوها.

العلوم والمعارف فيه:

لقد كان حظ العلوم من هذا العصر حظ الشعر منه، فما كانوا يعرفون منها إلا ما كان ضرورياً موروثاً كالطب. وما كاد يستتب لهم الأمر في أواخر الدولة الأموية حتى صرفوا للعلم وجوههم وفتحوا له صدورهم، فترجموا كثيراً من كتب العلم والصناعة، ودوَّنوا الحديث،

واستنبطوا الأصول، ووضعوا شيئاً في التاريخ وعلم العربية. ولا ينسى التاريخ ما للخلائف من بني أُمية من عظم الطَّول وجزيل الفضل على اللغة وأشعارها وأخبارها فقد حفظوا كيانها وجمَّلوا بيانها بما نفثوه من سحر كلامهم وبدائع أقلامهم.


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

اللغة في عصر الدولة العباسية

بزغ هلال الدولة العباسية، وألوية الممالك العربية خفاقة ما بين الهند والصين، والمسلمون مبثوثون في الأرض، يستعمرون ويستثمرون، واللغة مشاركتهم في الانتشار والنمو. فاتسعت دائرتها باصطلاحات العلوم والفنون، وزهت آدابها بزهو النهضة العلمية، وكثر المتكلمون بها، فكثر فيها الدخيل، وزاد اللحن والتحريف. وما كاد ينتصف عليها القرن الرابع حتى أخذ بدرُها في الأفول، وغصنها في الذبول، لتغلُّب العجم على الممالك العربية. فلولا القرآن وما دُوِّن بها من العلوم لانمحى رسمها، وخفيَ اسمها.

النثر والنظم فيه:

لقد كان رقيُّ النثر في هذا العصر عظيماً، إذ دوَّنوا به ما وضعوه وما نقلوه من العلوم، وصرَّفوه في أنواع الرسائل والتحرير، وكثير ما هي في عصر الحضارة والمدنية. ولم يغضّ منه ما دخله من التكلف، فقد كان مستتراً بحسن السبك وإحكام الصنعة، ولكنه ضَعُفَ بضعف الخلافة. فأكثر الكتَّاب حينئذ من السجع ونحوه، وَلَهَوْا بالألفاظ عن المعاني، حتى ألَّفوا بعض كتبهم مسجعة كتاريخ (العتبي) وغيره. وأشهر كتَّاب هذا العصر (الجاحظ) و (ابن العميد) و (الصابي) و (الخوارزمي) و (البديع) و (الحريري).

أما النظم فقد أثرت حضارة الدولة في خواطر شعرائها، فجالوا في الشعر جولة لم تتوفر أسبابها لأسلافهم. فلقد تفننوا فيه، وتصرّفوا في معانيه بقوة نادرة، ورقة ظاهرة، لِما علق بالنفس وأثر في الحس من آثار الأمم التي تغلبوا عليها، ومظاهر المدنية التي توصلوا إليها. وما زال الشعر آخذاً مأخذه من الصعود حتى تجرَّم القرن الثالث ففقد تأثيرَه، وأخذ عدد الشعراء يقل، حتى انتهوا (بالطغرائي). ثم خلف من بعدهم خلف أجادوه وإن لم يبلغوا شأوهم وكان خاتمتهم (صفيّ الدين الحلي).

وشعراء هذا العصر يسمون بالمولَّدين. وشعرهم يمتاز بالسلاسة والنفاسة وجمعِ الكثير من التشبيه والمجاز والكناية.

ولا سيما المتأخرون منهم فقد أوغلوا في ذلك حتى لا تقرأ لهم إلا ألفاظاً منمقة دونها معنى مرذول، أو غلو مملول.

وأشهر شعراء هذا العصر (أبو نُوَاس) و(أبو تمام) و(البحتري) و(المتنبي) و(الشريف الرضي) و(أبو العتاهية) و(المعري) و(أبو فراس) و(الطغرائي).

الكتابة فيه:

لقد كان للخط نصيب من الرقي في هذا العصر الذهبي، إذ اخترعوا له الأقلام المختلفة، وأخذوا في تحسينه، حتى جاء الوزير (ابن مقلة) فابتدع من (الكوفي) نوعاً منه سماه (بالبديع) وهو (خط النسخ) ثم جاء (ابن هلال) فزاده حسناً حتى حلّ محلَّ الكوفي. ولاقى

عناية من الترك فرقّوْه كثيراً وابتكروا خطّيِ (التعليق) و(الرقعة) كما ترى الآن. وكثير من اللغات يُكتب به كالعربية والتركية والفارسية والأفغانية وغيرها.

العلوم والمعارف فيه:

لا يعلم التاريخ فيما يعلم عصراً اشتهر بالعلوم، وازدهر بالآداب، كهذا العصر الزهي البهي. فلقد اعتنى خلفاؤه وعلماؤه بتدوين العلوم وترجمتها ونشرها. وكان أول ما دونوه علوم الدين والعربية، وما ترجموه علوم الرياضة. بدأ بذلك أبو جعفر المنصور الذي أنشأ المدارس للطب والشريعة، وتُرجم في زمنه كتاب (أقليدس) في الرياضة. وكذلك فعل الرشيد فألحق بكل مسجد مدرسة عامة. وترجم في عهده كثير من الكتب اليونانية في كثير من الفنون. وما تبوَّأ (المأمون) عرش الخلافة حتى استعر أُوار هذه النهضة، برفعه شأن العلماء، وإجزاله صلة المترجمين. فتفجرت ينابيع العلوم، وعكف أهل الفضل على النظر فيها، فاخترعوا، واكتشفوا ما لا يجهله العالم، ولا ينكره التاريخ. من ذلك اكتشافهم قوانينَ لثقل الأجسام مائعها وجامدها، واختراعهم (الخَطَّار)[1] للساعة و(البوصلة البحرية) أي (بيت الابرة). وهم الذين بدأوا باستعمال الساعات الدقّاقة الدالة على أقسام الزمن، ووضعوا علم الكيمياء الحقيقية، وألَّفوا الأرصاد والأزياج الفلكية، وحسبوا الكسوف والخسوف، ورصدوا الاعتدال الربيعي والخريفي، وغير ذلك مما لا يتسع له صدر هذا المختصر.

---

(١) الخطار: هو المعروف بين العامة بالبندول أو الرقّاص.



اللغة في عصر الدول المتتابعة[1]

ليس في هذا العصر ـ عصر التقليد والانحطاط ـ ما يلفت النظر، فإن الدول العربية قد دالت، واللغة قد زالت، إلا قليلاً مسطوراً في كتب العلم والدين، أو مذكوراً على ألسنة علمائها، وقليل ما هم. والشعر قد انطفأ نوره، وقلَّ ظهوره، لقلة المستمعين إلى أهله، والعارفين بفضله، من ملوك العجم المتغلبة بالشرق. فكان كالعلم ذاوياً في (فارس) وما وراء النهر زاهياً قليلاً في بلاد العرب ومصر (بفضل الجامع الأزهر) والشام، تبعاً لمصر. فلم تخلُ الأرض في كل قرن من عالم عربي كبير، أو شاعر خطير (كابن نباتة المصري وابن الوردي وأبي الفداء وابن خلدون وابن منظور صاحب لسان العرب وغيرهم) ممن كانوا نجوماً في هذه السماء الداجية، وأعلاماً في هذه المفازة النائية.

(١) تبتدىء مدة هذا العصر من سقوط الدولة العباسية سنة ٦٥٦ وتنتهي باستيلاء محمد علي باشا على مصر ١٢٢٠ هـ.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

اللغة في العصر الحديث[1]

وإذا رأيتَ مـن الـهـلالِ نُـمُـوَّهُ   أَيقنتَ أَنْ سيكـونُ بـدراً كـامـلاً

تبتديء مدة هذا العصر من استيلاء (محمد علي باشا) على مصر سنة (١٢٢٠) للهجرة أي منذ عشر سنين ومئة (١١٠) من تاريخ عامنا هذا، وهو أواخر (ذي الحجة سنة ١٣٣٠ هـ).

* * * * * *

بعد أن سقطت اللغة وآدابها في عصور الدول المتتابعة في تلك الهوَّة السحيقة، حتى أشفت على الدثور، وأشرفت على الهلاك، أخذت في هذا العصر تنهض من كبوتها، وتقال من عثرتها. فقد شُيد لها في القطرين (المصري والشامي) دُورٌ رفيعة البنيان، سامية المنار. وأقبل على تعلمها وتعليمها كثير من الناس، فأخذت روح حياتها تعاودها شيئاً فشيئاً.

وقد زاد في تعاليها والإقبال عليها ما تُرجم إليها من الكتب العلمية في الفنون المختلفة، بعد أن ولَّى القوم وجوههم شطر الديار الغربية لتلقي العلوم الحديثة. فأقبلوا على التأليف والترجمة، وافتتاح دُور العلم، وبثّ روح النهضة في الأمة، حتى غصَّت ـ خصوصاً في هذه الآونة الاخيرة ـ دُورُ العلم بالطالبين والطالبات، وذلك مما يحمل

(١) عن كتابنا (علم الادب العربي).

المرء على الاعتقاد بأن الحياة قد أشرقت كواكبها بعد تلك الدياجي المتراكمة.

النظم والنثر فيه[1]:

قد أخذ النظم والنثر في هذا العصر بالترقي شيئاً فشيئاً. خصوصاً في هذه الأيام، وما قبلها بنحو ثلاثين سنة. فقد وُجد قوم أرجعوا الإنشاء إلى سالف عهده من المسحة العربية. والأساليب الصحيحة. والمعاني السامية. وكان الفضل في ذلك لشيخنا الأستاذ الإمام (الشيخ محمد عبده) مفتي الديار المصرية وأستاذه الأشهر (السيد جمال الدين الأفغاني) و (الشيخ إبراهيم اليازجي) ثم كثر بعدهم الكتَّاب متخذين أسلوبهما، ناسجين نسجهما. وقد أنجبوا من التلاميذ وتلاميذ التلاميذ ما يعزُّ حصره.

وفي مصر وبر الشام وغيرهما من الأقطار العربية اليوم كثير من المبرَّزين في حَلبة الإنشاء يضيق صدر هذا الموجز دون تعداد القليل منهم.

وأما الشعر فقد سار مع الإنشاء جنباً لجنب، خصوصاً في هده الأيام التي كثر فيها الشعراء المجيدون الذين رجعوا بالشعر إلى عهده المجيد. فنظموا من المعاني الاجتماعية والفلسفية والحماسية والشعرية عقوداً يفتخر بها نحر العصر إلى أبد الدهر، كل ذلك بأسلوب عربي ترتاح إليه النفوس، وتصبو نحوه العقول.

---

(١) عن كتابنا (علم الأدب العربي).

ولا يخلو العصر الحاضر من بعض كتّاب وشعراء يخالف أسلوبهم أسلوب العرب، وينحون بتراكيبهم منحى الإنشاء الإفرنجي (إما عن جهل بالأساليب الصحيحة، وإمَّا عن اعتقاد بأن ذلك أفضل) وإني أرى أنه يُخشى من سريان عدوى هؤلاء إلى الإنشاء العربي والشعر الجزل. فعسى أن يقلعوا عن هذا العمل - إن كانوا عرباً - حرصاً على ديباجة اللغة، ورأفة بأمهم الحنون، ونحن لهم من الشاكرين. فإن أبوا إلا المشاغبة فإني أُحيلهم على المقال الذي كتبته في (أريج الزهر) فإن فيه مقنعاً لهم على ما أظن.

ومما ينعش الآمال، ويُحيي الرجاء أن كثيراً من المدارس أخذت تُعنى باللغة العربية وآدابها، وتبذل الوسع في إنهاضها. وإن لنا في كلية (الجامعة المصرية) آمالاً كباراً. فقد علمنا أنها لا تألو جهداً في إحياء دوارس اللغة، والسعي نحو ترقيها، بإلقاء المحاضرات، وتأليف الكتب، وإرسال الطلاب على نفقتها إلى الجوامع الأوروبية. أخذ الله بيد كل من يعمل لإحياء هذه اللغة، ويسعى لإنعاشها.

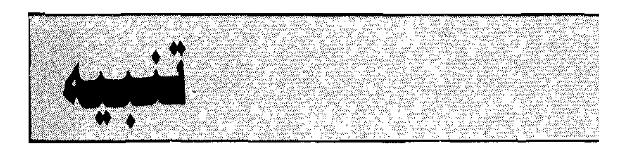
أما ما يسعى إليه بعض الذين استهواهم التفرنج من المسلمين غير العرب، من بذل الجهد وراء ترجمة (القرآن الكريم) إلى لغتهم ليقرأوه بها، فإن هذا - وإن كان لا يضير العرب والعربية شيئاً - فإنَّا نراه مخالفاً للدين، مضيعاً للمقصد الأعظم الذي جاء به النبيّ عليه الصلاة والسلام. ولعمري لا يسعى بذلك إلا من فيه عرق من مجوسية. والمسلم كل المسلم - أية كانت لغته أو جنسيته - هو من يسعى في إحياء اللغة العربية، ويعمل على ترقيتها، وتكثير سواد المتكلمين بها

فإنه بذلك يخدم الإسلام خدمة جُلى. ينال فيها الأجر، وحسن الذكر، في الدنيا والآخرة.

* * * * * *

وقد آن لنا أن نختم هذا الفصل. ونشرع فيما قصدنا إليه. وهو الكلام على رجال (المعلقات). وبالله المستعان.





تنبيه

إن اعتمادنا على ما نذكره من الكلام على المعلقات ورجالها وأشعارهم وما يتبع ذلك من تاريخ العرب هو على (الأُغاني) و(خزانة الأدب) للبغدادي و(العقد الفريد) لابن عبد ربه و(شرح شواهد المغني) للسيوطي وشروح المعلقات ودواوين (زهير) و(طرفة) و(النابغة) و(الشعر أو الشعراء) لابن قُتيبة. و(تاريخ آداب اللغة العربية) لجرجي زيدان و(آداب اللغة العربية) للمرصفي وتاريخ (أبي الفداء) و(تاريخ المسعودي). غير أن جلَّ الاعتماد وكثرة المآخذ إنما هما عن (الأغاني) و(خزانة الأدب) لذلك فلا حاجة للتنبيه على المأخذ. خصوصاً وإننا قد تصرَّفنا في بعض العبائر وأدمجنا عبارة رجلين أو أكثر في موضوع واحد محافظين على روح المقصد.

* * * * * *



المعلقات

المعلقات هي قصائد قد اختارها العرب من شعر فحولهم، وذهَّبوها على الحرير، وناطوها بالكعبة تشريفاً لها، وتعظيماً لمقامها، واعترافاً بحسن سبكها، حتى أصبحت العرب تترنَّم بها في نواديها.

واختلف أصحاب الأخبار في شأن هذه المعلقات. فقال بعضهم: إن العرب قد بلغ من تعظيمهم إياها أنهم علقوها بأستار الكعبة. وأنكر ذلك بعضهم وأكبره. وأقدمُ من أنكره (أبو جعفر النحاس) النحوي. وأكثر العلماء يذهب إلى أنها علقت في الكعبة. قال (ابن عبد ربه): (وكان معاصراً لابن النحاس وتوفي قبله سنة ٣٢٨ هـ) «وقد بلغ من كَلَف العرب به (أي بالشعر) وتفضيلها له أن عمدت إلى سبع قصائد من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب في القباطي المدرجة، وعلقتها بأستار الكعبة. فمنه ما يقال له: «مُذَهَّبة امرىء القيس» و«مُذَهَّبة زُهير». والمذهبات سبع، ويقال لها (المعلَّقات)».

وقد أيد أخبار تعليقها في الكعبة كثير من الناس في أعصر مختلفة. منهم (ابن رشيق) صاحب كتاب (العمدة) وهو من أكبر نَقَدَة الشعرة. ومنهم (ابن خلدون) الأديب المؤرخ المشهور.


www.moswarat.com

أصحاب المعلقات

قـد اختلف الرُّواة في عـدد المعلقات وأصحـابها. فمنهم من يجعلها سبعاً، وأصحابها هم (امرؤ القيس وطَرَفَة بن العبد وزُهير بن أبي سُلمى ولَبيد بن ربيعة وعمرو بن كلثوم وعنترة بن شداد والحارث بن حِلِّزة اليشكري). وبعضهم يجعلها ثمانية، ويضيف إلى أصحابها (النابغة الـذبياني) وبعضهم يجعلهـا عشرة، ويضيف إليهم (الأعشى ميموناً وَعَبِيد بن الأبرص).

وعلى أنهم عشرة درجنا في كتابنا هذا.

* * * * * *

أشعر شعراء المعلقات

ما برح الخلاف بين المتأدبين ـ قديماً وحديثاً ـ فيمن هو أشعر الشعراء في الجاهلية. ولهم في ذلك مذاهب. على أنهم قد اتفقوا أو كادوا على تقديم شعراء (المعلقات). وذكروا أن أشعر هؤلاء ثلاثة، وهم (امرؤ القيس وزُهير بن أبي سُلمى والنابغة الذبياني). قـال أبو عبيـدة: «أشعر النـاس أهل الـوبر خـاصة، وهم امـرؤ القيس وزهير والنابغة. وفي الطبقة الثانية (الأعشى ولبيد وطرفَة)».

وقد اختلفوا فيمن هو أشعر الجميع. فقال (الفـرزدق): «امرؤ القيس أشعر الناس». وقال (جرير): «النابغة أشعر الناس». وقال (ابن مقبل): «طَرَفَة أشعر الناس». وقال (ابن أحمر): «زهير أشعر الناس».

وقال (الكُمَيت): «عمرو بن كُلثوم أشعر الناس» وقال (ذو الرمة): «لبيد أشعر الناس». وقال (الأخطل): «الأعشى أشعر الناس». والراجح ما قال (أبو عُبيدة): «امرؤُ القيس ثم زهير والنابغة والأعشى ولبيد وعمرو بن كلثوم وطرَفَة».

وقد قالوا: «أشعر الشعراء أربعة: زُهير إذا طَرِب، والنابغة إذا رَهِب، والأعشى إذا غضب، وعنترة إذا كَلِب، أي غضب».

وقالوا: «إن (امرأَ القيس) صاحب النصيب الأوفر في الشعر، لأن الشعر في تعبيرهم كان جملاً فَنُحِرَ، فأخذ امرؤُ القيس رأسه. وإن (زهيراً) يمتاز بأنه لا يعاظل بين كلامين، ولا يتتبَّعُ وحشيَّ الكلام، ولا يمدح أحداً بغير ما فيه. ولشعره ديباجة إن شئت قلت: «شهدٌ إن مَسَسْتَهُ ذاب». وإن النابغة أوضح الشعراء معنى؛ وأبعدهم غاية، وأكثرهم فائدة. وإن (الأعشى) أمدحهم للملوك، وأوصفهم للخمر، وأقدرهم شعراً، وأحسنهم قريضاً. وإن (لبيداً) أقلُّهم لغواً. وإن (عمرو بن كلثوم) أعزُّهم نفساً، وأكثرهم امتناعاً، وأجودهم واحدة. وإن (طَرَفَة) أشعرهم: إذ بلغ ـ على حداثة سنه ـ ما بلغه القوم في طول أعمارهم».

قال (ابن عبد ربه) اختلف الناس في أشعر الشعراء. قال النبيُّ (ﷺ) وقد ذُكر عنده (امرؤُ القيس بن حُجر): «هو قائدهم وحامل لوائهم». وقال (عمر بن الخطاب) للوفد الذين قدموا عليه من غَطَفان: من الذي يقول:

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْـرُكْ لِنَفْسِـكَ رِيبَـةً   وَلَـيْسَ وَرَاءَ اللهِ لِلْمَـرْءِ مَـطْلَبُ[1]

قالوا: هو نابغة بني (ذُبيان). قال لهم: فمن الذي يقول:

أَتَيْتُـكَ عَـارِيـاً خَلَقـاً ثِيَـابِـي،   عَلَىٰ وَجَـلٍ، تُـظَنُّ بِيَ الـظُّنُـونُ[2]
فَـأَلْفَيْتُ الأَمَـانَـةَ لَمْ تَـخُنْـهَـا   كَـذَلِـكَ كَـانَ نُـوحٌ لاَ يَـخُـونُ

قَالوا: هو (النابغة). قال: «هو أشعر شعرائكم».

وقال (عمرو بن العلاء): طَرَفَةَ أشعرهم واحدة. يعني قصيدته:

لِخَـوْلَـةَ أَطْـلاَلٌ بِبُـرْقَـةِ ثَهْمَـدِ،   تَلُوحُ كَبَاقِي الوَشْمِ فِي ظَاهِرِ اليَدِ[3]

وفيها يقول:

سَتُبْدِي لَكَ الأَيَّـامُ مَا كُنْتَ جَـاهِلاً   وَيَـأْتِيـكَ بِـالأَخْبَـارِ مَنْ لَمْ تُـزَوِّدِ

وأُنشِدَ للنبيّ (ﷺ) هذا البيت، فقال: «هو من كلام النبوَّة».

(١) الريبة: الشك.
(٢) . الثوب الخَلق: هو البالي. والوجل: الخوف.
(٣) سيأتي تفسيره في معلقته.





امرؤ القيس بن حجر

توفي سنة (٨٠) قبل الهجرة.
وقيل سنة (٥٦٥) لميلاد المسيح
عليه السلام. والفرق بين الروايتين زهاء (٢٠) سنة

هو (أبو وهب أو أبو الحارث أو أبو زيد، امرؤُ القيس بن حُجُر بن الحارث بن عمرو بن حُجرٍ آكلِ المُرار[1] الكندي) الشاعر المشهور من فحول شعراء الطبقة الأُولى. ويتصل نسبه بملوك (كِنْدَة) وهم بطن من (كَهلان) بن (سَبَأْ) بن (يَشْجُب) بن (يَعْرُب) بن (قَحْطَان).

وأمه (فاطمة) بنت (ربيعة بن الحارث بن زُهَير) أخت (كُلَيب) و(مُهلهل) ابنيْ (ربيعة) التغلبِيِّين.

ويقال له الملك (الضِّلِّيل) و(ذو القروح).

شيء عن قومه:

كان قومه يقيمون في (المشقَّر) من أرض (اليمامة). ويقال: بل كانوا ينزلون في حصن (بالبحرين) ثم أُجلوا عنه إلى (حضرمـوت).

---

(١) المرار، بضم الميم: نبات من افضل العشب واضخمه، اذا اكلته الابل قلصت مشافرها. وانما قيل لحجر؛ «آكل المرار» لكشر كان به.

وقـد أَقامـوا هناك دهـراً يتولّـون أعمال الـدولة على عهـد (التبابعـة) الحميريين. وقد ضاع أكثر أخبارهم. وأقدم من عُرفت أخباره (حُجر آكل المُرار) جد (امرىء القيس) صاحب المعلقة. وقد نزح (حُجر) هذا إلى (نجد) ونزل (بطنَ عاقل) في أوائل القرن الخامس لميلاد المسيح عليه السلام.

وذلـك أنه لمـا تسافهت (بكـر بن وائـل) وغلبهـا سفهـاؤهـا، وتقاطعت أرحامها، ارتأى رؤساؤهم، فقالوا: «إن سفهاءنا قد غلبـوا على أمرنا، فأكل القوي الضعيف، ولا نستطيع تغيير ذلك. فنرى أن نملك علينا ملكاً نعطيه الشاة والبعير. فيأخذ للضعيف من القوي، ويردّ على المظلوم من الظالم. ولا يمكن أن يكون من بعض قبائلنا فيأباه الآخر، فتفسد ذات بيننـا. ولكنا نـأتي (تُبَّعاً) فنملِّكـه علينا». فـأتوه فذكروا له أمرهم. فملَّك عليهم (حُجُراً آكل المُرار الكندي). فقدم، فنـزل (بطن عـاقل). ثم غـزا ببني (بكر بن وائـل) ملوك (الحيـرة) اللخميين وهـم المناذرة ملوك العرب وواحدهم (المنذر) وكـانوا قـد ملكوا كثيراً من تلك البلاد، سيما بلاد (بكر بن وائل) حتى انتزع عامة ما في أيدي هؤلاء الملوك وردّهم إلى أقاصي أعمالهم. قيل: وغزا بهم أيضاً ملوك (الشام) وهم (الغسَّانيون).

ولما ملك (حُجُر) سدَّد أُمُورهم وسـاسهم أحسن سياسـة حتى مات في أواسط القرن الخامس الميلادي.

ولما مات خلفه ابنه (عمرو بن حُجر) وهو (المقصور). وسُميَ (المقصور) لأنه اقتُصِرَ على ملك أبيه، أي أقعد فيه كرهاً.

فلما مات خلفه ابنه «الحارث بن عمرو» فكان شديد الملك، بعيد الصيت. وفي أيامه فتح الأحباش «اليمن»، فضعف أمر دولته. فوجَّه عزيمته نحو «اللخميين» لينتزع الملك منهم. وكان يحسدهم لمنزلتهم عند الأكاسرة. وكان «كسرى قَبَّاذ» قد تغير على «المنذر بن ماء السماء» اللخمي ملك العرب، فاغتنم «الحارث» تغيُّرَ «كسرى» عليه، وأخذ يسعى بالتقرُّب منه.

مذهب المزدكية:

وقد ذكروا في سبب تغيُّر «كسرى قَبَّاذ» على «المنذر بن ماء السماء« أنه قد خرج في أيامه رجل يقال له «مَزْدك» فدعا الناس إلى الزندقة وإباحة الحرم وأن لا يمنع أحد أخاه ما يريده من ذلك. وكان «المنذر بن ماء السماء» يومئذ عاملاً على «الحيرة» ونواحيها.. فدعاه «قَبَّاذ» إلى الدخول معه في ذلك فأبى. فدعا «الحارث بن عمرو» فأجابه، فشدَّد له ملكه، واطَّرد المنذر عن مملكته، وغلب على ملكه. فعظم «الحارث» عند القبائل، وجعلوا يتقرَّبون إليه بالطاعة. فلما تفاسدت القبائل من «نزار» أتاه أشرافهم، فقالوا: «إنا نخاف أن نتفانى مما يحدث بيننا، فوجِّهْ معنا بنيك ينزلون فينا، فيكفون بعضنا عن بعض». ففرَّق ولده في قبائل العرب. وكان له خمسة أولاد. فملك ابنه «حُجراً» أبا «امرىء القيس» صاحب المعلقة على بني «أسد» و «غَطَفان» وفرَّق أولاده الأربعة وهم «شُرَحْبِيل» قتيل يوم الكلاب»[1]،

---

(١) يوم الكلاب: هو يوم من ايام العرب، و (يوم الكلاب) يومان: (الكلاب الاول) و (الكلاب الثاني). والمراد به هنا (يوم الكلاب الاول). وكان هذا اليوم (لسلمة بن الحارث بن عمرو =

و «معد يكرب» وهو «غُلفي» «سُمي بذلك لأنه كان يغلف رأسه» و «عبد الله» و «سلمة» على قبائل العرب يحكمون فيهم.

غير أن الحال لم تدم للحارث بن عمرو. بل قد قلب له الدهر ظهر المجن. فقد نُكب ثم قُتل.

وقد ذكروا في سبب نكبته أن أمَّ «أنو شروان» كانت يوماً بين يَدَيْ «كسرى قَبَّاذ» ـ وهي امرأته ـ فدخل عليه «مزدك» الزنديق السالف الذكر، فلما رأى أمَّ «أنو شروان» قال لقبَّاذ: «ادفعها إليَّ لأقضي حاجتي منها». فقال له: «دونكها» فوثب إليه «أنو شروان»، فلم يزل يسأله ويضرع إليه أن يهب له أمَّه، حتى قبَّل رِجله. فتركها له. فكانت تلك في نفس «أنو شروان».

قتل المزدكيين:

فلما هلك «قَبَّاذ» وهو على تلك الحال من الزندقة، وملك بعده «أنو شروان»، وهو الملقَّب بالعادل، جلس في مجلس الملك.

= المقصور) على اخيه (شُرحبيل بن الحارث بن عمرو). وذلك ان (سلمة وشرحبيل) ابني (عمرو بن الحارث المقصور) قد اختلفا بعد موت ابيهما على الملك فتواعدا (الكلاب) وهو اسم ماء في بلادهم.
فأقبل (شُرحبيل) في (ضبة، والرباب، وبني يربوع، وبكر بن وائل). واقبل (سلمة) في (تغلب، والنمر، وبهراء وسعد بن زيد مناة، والصنائع) ومن تبعه من (بني مالك بن حنظلة). فالتقوا على (الكلاب). واستحر القتل في (بني يربوع) وشد (ابو حنش) على (شُرحبيل بن عمرو بن الحارث) فقتله ـ وكان (شرحبيل) قد قتل (حنشاً) ابنه ـ فأراد (ابو حنش) ان يأتي برأسه الى اخيه (سلمة) فخافه فبعثه مع رجل غيره. فلما رآه (سلمة) دمعت عيناه. فلما علم بذلك (ابو حنش) هرب عنه.

وبلغ المنذر هلاك «قبَّاذ»، فأقبل إلى «أَنو شـروان». وقد علم خلافه على أبيه فيما كانوا قد دخلوا فيه. فأذن «أنو شروان» للناس. وكان فيمن دخل عليه «مزدك» الزنديق صاحب أبيه. ثم دخـل عليه «المنذر». فقال «أنو شروان»: «إني كنت قد تمنّيْت أمنيَّتين أرجو أن يكون الله قد جمعهما لي». فقال «مزدك»: «وما هما أيها الملك؟». قال «تمنَّيت أن أملك فأستعمل هذا الرجل الشريف «يعني المنذر»، وأن أقتل هؤلاء الزنادقة». فقال له «مزدك»: «أوَ تستطيع أن تقتل الناس كلهم؟». قال: «إنك لههنا يا ابن الزانية؟». والله ما ذهب «نَتَنُ ريح جوربك من أنفي منذ قبَّلت رجلك إلى يومي هـذا». وأمر بـه فقتل وصُلب. وأمر بقتل الزنادقة، فقتل منهم ما بين «حاذر» إلى «النهروان» إلى «المدائن» في ضحوة واحدة مئة ألف زنديق، وصلبهم، وسُمي يومئذ «أنو شروان».

ثم طلب أنو شروان الحارث بن عمرو «الـذي تابـع أباه على الزندقة حتى ولَّاه مكان المنذر» فبلغ «الحارثَ» ذلك وهو «بالأنبار»[1] ـ وكان بها منزله ـ فخرج هارباً في هجائنه وماله وولده. وتبعه «المنذر»

(١) الانبار: مدينة على الفرات غربي بغداد. وانما سميت بذلك لانها كانت مستودع الطعام. وهي في الاصل جمع (نِبْر) بكسر النون وسكون الباء. ومعنى (النبر) بيت التاجر الذي ينضّـد فيه المتاع والغلال. وجمع (الانبار: انابير وانبارات) فهي جمع الجمع. وقد يُطلق (الأنبار) على الواحد. وهو عربي وقيل: أن (الأنبار) فارسي معرّب. ويقال: انبـر الأنبار أي بناه. واصل معنى النَّبْر: (الرفع)، يقال: «نبر الشيء اذا ـ رفعه، ونبر المغني: رفع صوته. ونبر فلاناً: اذا زجه وانتهره» ولا يكون ذلك إلا برفع الصوت. وسُمي (الانبار) بذلك لان الطعام او الامتعة تكون فيه منضّدة موضوعاً بعضها فوق بعض. ولذلك نرجح ـ وان لم يكن لنا حق الترجيح ـ قول من قال: انها عربية وليست معرّبة.

بالخيل من «تغلب» و«بهراء»[1] و«إياد». فلحق «الحارث» بأرض «كلب» فنجا. وانتهبوا ماله وهجائنه. وأخذت بنو تغلب ثمانية وأربعين نفساً من «بني حُجر آكل المُرار» جدّ «الحارث» المذكور. فقدم بهم على المنذر، فضرب رقابهم. وفيهم يقول «عمرو بن كثلوم»:

فَآبُوا بِالنِّهَابِ وَبِالسَّبَايَا، وَأُبْنَا بِالمُلُوكِ مُصَفَّدِينَا[2]

قالوا: ومضى الحارث فأقام بأرض «كلب». فكلبٌ يزعمون أنهم قتلوه. وعلماء «كندة» تزعم أنه خرج إلى الصيد فألظَّ[3] بتيس من الظباء فأعجزه، فآلى أَلِيَّة[4] أن لا يأكل أولاً إلا من كبده، فطلبته الخيل ثلاثاً، فأتي به بعد ثالثة وقد هلك جوعاً. فشوى له بطنه، فتناول فلذة من كبده فأكلها حارَّةً فمات.

خبر أبي امرىء القيس:

أبوه هو «حُجر بن الحارث بن عمرو». وكان «الحارث» أبوه قد ولَّاه على بني أسد وَغَطَفان. ـ كما تقدَّم ـ فضرب عليهم إتاوة[5] كانوا يؤدونها إليه كل سنة. وبقي على ذلك حيناً حتى أثقلهم. فلما علموا بنكبة أبيه ثم بموته طمعوا فيه وأظهروا العصيان وامتنعوا من أداء الأتاوة. وذلك أنه بعث إليهم جابيه الذي كان يجبيهم فمنعوه ذلك ـ

---

(١) النسبة الى بهراء «بهرائي» على غير قياس.
(٢) سيأتي تفسيره في معلقته.
(٣) الظَّ الشيء: لازمه.
(٤) افسم يميناً.
(٥) الاتاوة: الخراج الذي يؤدّى للسلطان ونحوه ممن يخاف بأسه.

وحُجر يومئذ بتهامة ـ وضربوا رُسُلَه وضرَّجوهم[1] ضرجاً شديداً قبيحاً. فبلغ ذلك (حُجراً) فسار إليهم بجندٍ من (ربيعة) وجُنْدٍ من جند أخيه من (قيس) و(كنانة). فأتاهم وأخذ سراتهم، فجعل يقتلهم بالعصا، فسُمُّوا عبيدَ العصا، وأباح الأموال، وصيَّرهم إلى (تهامة).. وآلى بالله أن لا يساكنوهم في بلد أبداً. وحبس منهم (عمرو بن مسعود بن كندة ابن فَزارة الأسدي) ـ وكان سيداً ـ و(عبيد بن الأبرص) الشاعر. فسارت (بنو أسد) ثلاثاً. ثم إن (عبيد بن الأبرص) قام فقال: «أيها الملك اسمع مقالتي» وأنشده قصيدة منها:

يا عَيْنُ، فَابكي ما بَني ... أَسَدٍ، فَهُمْ أَهْلُ النَّدَامَهْ[2]
أَهْلَ القِبابِ الحُمْرِ ـ ... وَالنَّعَمِ المُؤَبَّلِ وَالمُدَامَهْ[3]
وَذَوِي الجِيَادِ الجُرْدِ ـ ... وَالأَسَلِ المُثَقَّفَةِ المُقَامَهْ[4]
إِمَّا تَرَكْتَ تَرَكْتَ عَفْواً ـ ... أَوْ قَتَلْتَ فَلاَ مَلاَمَهْ
أَنْتَ المَليكُ عَلَيْهِمْ ـ ... وَهُمُ العَبِيدُ إِلى القِيَامَهْ
ذَلّوا لِسَوْطِكَ مِثْلَمَا ... ذَلَّ الأُشَيْقِرُ ذُو الخِزَامَهْ[5]

فرقّ لهم (حُجر) وصفح عن جريرتهم حين سمع قوله. فبعث

---

(١) ادموهم.
(٢) ما في (ما بني اسد) زائدة، اي (ابكي بني اسد).
(٣) انما نصب (اهل) لانه بدل من (بني النعم) الابل (المؤبّل) المقتناة. يقال: «ابّل الابل» اي اقتناه. و«ابَّل الرجلُ» كثرت ابله «المدامة» الخمر.
(٤) الجياد: الخيل (الجرد) جمع (اجرد) او هو من الخيل ما كان قصير الشعر رقيقهوهو ممدوح عندهم (الاسل) الرماح (المثقّفة) المقوّمة المسوّاة.
(٥) السوط: ما يضرب «الاشيقر» مصغر «الاشقر» والمراد به الجمل «الخزامة» حلقة تُجعل في أنف البعير.

في أثرهم، فأقبلوا. حتى إذا كانوا على مسيرة يوم من (تهامة) تكهّنَ لهم كاهنهم (وهو عوف بن ربيعة) أنهم سيقتلون حُجراً وينهبون أمواله. فركبوا كل صعب وذلول، فما أشرق لهم النهار حتى أتوا عسكر (حُجر). فهجموا على قبَّته. فلما نظروا حُجَّابه (وكانوا من بني الحارث بن سعد يقال لهم (بنو خدان)، وكان حجر قد أعتق أباهم من القتل) إلى القوم يريدون قتله خيَّموا عليه ليمنعوه ويجيروه. فأقبل عليهم (علباء بن الحارث الكاهلي) وكان حُجر قد قتل أباه، فطعنه من خِلَلهم فأصاب نَسَاه[١] فقتله. فلما قتلوه قالت بنو أسد: «يا معشر كنانة وقيس، أنتم إخواننا وبنو عمنا، والرجل بعيد النسب منا ومنكم، وقد رأيتم ما كان يصنع بكم هو وقومه، فانتهبوهم». فشدُّوا على هجائنه فمزّقوها. ولفُّوه في رَيْطَةٍ[٢] بيضاء، وطرحوه على ظهر الطريق. فلما رأته (قيس وكنانة) انتهبوا أسلابه. وقيل: بل قتله غلام من بني كاهل (وكان ابن أخت (علباء بن الحارث) وكان «حُجر» قد قتل أبا الغلام) وكان المحرِّض على قتله «علباء» المذكور.

وقد ذكر الرُّواة في قتله روايات مختلفة أقربها إلى الصحة ما ذكرناه.

قالوا: ووثب (عمرو بن مسعود) فضمَّ عيال (حُجر). وقال: «أنا لهم جار». وقيل: إن الذي أجار عياله هو (عُوَير بن شَجَنة). فقال له قومه: «كُلْ أموالهم فإنهم مأكولون» فأبى. فلما كان الليل حملهم حتى

(١) النسَّا: عَرقٌ من الورك إلى الكعب. ومثنّاه «نسَوان» ونسيان، وجمعه انساء.
(٢) الريّطة: الملاءة ذات نسج واحد أي كلها قطعة واحدة وليست بذات لفقين. وهي أيضاً كل ثوب رقيق يشبه الملحفة. وجمعها «رَيط ورِياط».

أوصلهم إلى (نجران)، فقال لابنته: «لستُ أغني عنكِ شيئاً وراء هذا الموضع، وهؤلاء قومكِ، وقد برئتِ من خفارتي». فمدحه امرؤ القيس بعدة قصائد. منها قوله:

عُـوَيْرٌ؛ وَمَنْ مِثْـلُ العُـوَيْـرِ وَرَهْـطِهِ   أَبَــرَّ بِـمِيثـاقٍ وَأَوْفَى بِـجِيــرَانِ؟
هُمُ أَبْلَغــوا الحَيَّ المُضَيَّـعَ أَهْلُهُ،   وَسَـارُوا بِهِمْ بَيْنَ العِـرَاقِ وَنَجْــرَانِ

خبر امرىء القيس:

لما طُعن (حُجر) والـد (امرىء القيس) لم يُجْهَـزْ عليه. وقـد أوصى قبل موته. ودفع وصيته إلى رجل. وقال له: «انطلقْ إلى ابني (نافع) «وكان أكبر أولاده» فإن بكى وجزع فَٱلْهُ عنه. واستقرهِم واحداً واحداً حتى تأتيَ (امـرأ القيس) «وكان أصغـرهم». فأيُّهم لـم يجـزع فادفع إليه سلاحي وخيلي ووصيتي». وكان قد بيَّن في وصيَّته مَنْ قتله وكيف كان خبرُهُ. فانطلق الرجل بوصيته إلى (نافعٍ) ابنه. فأخذ التراب فوضعه على رأسه. ثم استقراهم واحداً واحداً. فكلهم فعل ذلك حتى أتى (امرأ القيس). فوجده مع نديمٍ له يشرب الخمر ويلاعبه بالنَّرد. فقال له: «قُتـل حُجر». فلم يلتفت إلى قـوله. وأمسـك نديمُـهُ عن اللعب. فقال له (امرؤ القيس): اضرب، فضرب. حتى إذا فرغ قال: «ما كنت لأفسدَ عليك دَسْتك»(١). ثم سأل الرسول عن أمر أبيه كله. فأخبره. فقال: «الخمرُ عليَّ والنساء حرامٌ، حتى اقتلَ من بني أسدِ مئة وأجُزَّ نواصيَ مئة. وفي ذلك يقول:

---

(١) الدست هو الذي يكون فيه الغَلَبَ في الشطرنج ونحوه. تقول: الدست لي والدست لك. وهي فارسية معربة.

أَرِقْتُ، وَلَمْ يَـأْرَقْ لِمَـا بِيَ نَـافِـعٌ، وَهَاجَ لِيَ الشَّوْقَ الهمـومُ الرَّوَاجِـعُ

قال ابن الكلبي: إن (حُجراً) كان قد طرد (امرأ القيس) وآلى أن لا يقيم معه أَنَفَةً من قوله الشعر «وكانت الملوك تأنف من ذلك» فكان يسير في أحياء العـرب، ومعه اخـلاطٌ من شُذَّاذ العـرب من (طيٰء) و(كلب) و(بكر بن وائل). فإذا وجد غديراً أو روضة أو موضع صيد أقام وذبح لمن معه في كل يوم، وخرج إلى الصيد فتصيد، ثم عاد فأكل وأكلوا معه وشرب الخمر وساقهم وغنَّتْهُ قِيَانُهُ[1]. ولا يزال كذلك حتى ينفذ ماء ذلك الغدير، فينتقل عنه إلى غيره. فأتاه خبر أبيه وهو في (دَمُّون) من أرض اليمن. فلما أتاه الخبر قال:

تَـطَاوَلَ اللَّيْـلُ عَلَيْـنَـا دَمُّـونْ دَمُّـونُ، إِنَّـا مَعْشَـرٌ يَمَـانُـونْ
وَإِنَّنا لِأَهْلِهَا مُحبّونْ

ثمَّ قال: «ضيَّعني صغيراً، وحمَّلني دَمَهُ كبيراً. لا صحوَ اليومَ ولا سُكْر غداً. اليومَ خمرٌ، وغداً أَمْر» فذهبت مثلاً. ثم قال:

خَلِيلَيَّ ما في اليَوْمِ مَصْحًى لِشارِبٍ؛ وَلَا فِي غَـدٍ إِذْ ذاكَ مَا كَـانَ يَشْـرَبُ

ثم شرب سبعاً فلما صحا آلى أن لا يأكل لحمـاً، ولا يشرب خمراً، ولا يدَّهِنْ بدُهن، ولا يُصيبَ امرأة، ولا يغسلَ رأسه من جنابة، حتى يُدركَ بثأره.

(١) القِيان: جمع قَينة وهي المغنِّية.

فلمَّا جنَّه الليل رأى برقاً، فقال:

أَرِقْــتُ لِـبَــرْقٍ بِــلَيْــلٍ أَهَــلْ؛ يُضِيءُ سَنَـاهُ بِـأَعْلَى الجَبَـلْ[1]
أَتَـانِـي حَـدِيثٌ ـ فَكـذَّبْتُـهُ ـ بِـأَمْـرٍ تُـزَعْـزَعُ مِنْـهُ القُـلَلْ[2]
بِـقَـتْـلِ بَـنِـي أَسَـدٍ رَبَّـهُـمْ أَلا كُـلُّ شَـيءٍ سِـوَاهُ جَـلَلْ[3]
فَـأَيْـنَ رَبِـيـعَـةُ مِنْ رَبِّـهَـا؟، وَأَيْـنَ تَمِيمٌ؟، وَأَيْـنَ الخَـوَلْ[4]؟
أَلَا يَــحْـضُــرُونَ لَــدَى بَــابِــهِ، كَـمَـا يَـحْـضُـرُونَ إذَا مَـا أَكَـلْ

طرد أبيه إياه:

قالوا: وكان (امرؤ القيس) كثير التشبيب بالنساء والتغزُّل بهنَّ. وكان أبوه (حُجر) يسوءه ذلك منه. فلما كان يوم (دارةُ جلجل) واجتمع بفاطمة، وكان له معها ما كان ممَّا قصَّه في معلَّقته، وأنشد فيها قصيدته هذه، غضب أبوه عليه وأرسله مع مولى له. فقال له: خذ «امرأ القيس» واذبحه وائتني بعينيه». فأخذ الغلام وانطلق به. فلما صارا في الصحراء خاف الغلام[5]: إن هو أنفذ أمر أبيه فيه عاودته الشفقة عليه بعد حين فيقتله به. فأطلقه وأخذ

(١) السنا: ضوء البرق خاصة.
(٢) القلل: جمع قلة وهي اعلى كل شيء.
(٣) ربهم: سيدهم «الجلل» الامر العظيم الخطير والامر الهين اليسير. وهو من الاضداد. والمراد به هنا الامر اليسير.
(٤) الخول: الخدم، والمفرد «خَوْليّ» ومعناه الخادم الحسن الخدمة.
(٥) الغلام في اللغة هو من طرّ شاربه. ويُطلق على الكهل أيضاً وهو من الاضداد. أو هو الولد من حين يولد الى ان يشبّ. والغلام أيضاً الاجير والخادم صغيراً او كبيراً. وهو المراد هنا. ونرى ان كلمة «غارسون» الافرنجية ـ Garçon ـ مُفرنجة عنها ان لم تكن مترجمة منها لِما بينها من تقارب مخارج الاحرف.

جُؤْذَراً[1] وامتلخ عينيه[2] وأتى بهما (حُجراً) أباه. فحين رآهما ندم على ما كان منه. فقال الغلام «أبيتَ اللعن، إني لم أقتله». قال: «فائتني به» فانطلقَ، فإذا هو قد قال شعراً في رأس جبل، وهو:

فَلاَ تَتْرُكَنّي يَا رَبِيعُ لِهَذِهِ، وكُنْتُ أَرَانِي قَبْلَهَا بِكَ وَاثِقَا

فردَّه إلى أبيه. فنهاه عن قول الشعر. فمكث زمناً لا يقوله. ثم إنه قال قصيدته التي مطلعها:

أَلا عِمْ صَباحاً أيُّها الطَّلَلُ البالي
وَهَلْ يَعِمَنْ مَنْ كَانَ فِي العُصُرِ الخالي؟[3]

ومنها:

لَقَدْ زَعَمَتْ بَسْبَاسَةُ اليَوْمَ أنَّني كَبِرْتُ؛ وَإِنْ لاَ يُحْسِنَ اللَّهْوَ أمْثالي[4]
وَيَا رُبَّ يَوْمٍ قَدْ لَهَوْتُ وَلَيْلَةٍ بِآنِسَةٍ كَأَنَّهَا خَطُّ تِمْثَالِ[5]
تَنَوَّرْتُهَا مِنْ أذْرِعاتٍ؛ وَاهْلُهَا بِيَثْرِبَ؛ أدْنَى دَارِهَا نَظَرٌ عالِ[6]

---

(١) الجؤذر بضم الذال وفتحها: ولد البقرة الوحشية.
(٢) اي انتزعهما.
(٣) عم صباحاً: كلمة كان يتكلم بها العرب في الجاهلية وقت الغداة. وفي المساء يقولون: «عم مساء». «الطلل» ما شخص من آثار الديار «العصر» الدهر، وهو مثلث العين. وضمّت صاده هنا تَبعاً لعينه. وانما اراد ان يقول: العُصْر».
(٤) بسباسة: اسم امرأة من بني اسد. والبسباسة في اللغة هي قشور جوزة الهند.
(٥) الآنسة المرأة يؤنسك حديثها والمرأة الطيبة النفس «خط تمثال» اي تمثال منقوش. والتمثال الصورة.
(٦) تنورتها: نظرت إلى نارها «اذرعات» بلد في الشام. «يثرب» هي المدينة مدينة الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ وكانت تسمى بذلك. وقد ورد النهي عن تسميتها بهذا الاسم. أما قوله تعالى: «يا أهل يثرب» فهو حكاية كلام المنافقين. «ادنى» أقرب، أي أن الأقرب إليه من ديارها يحتاج إلى نظر عال عظيم لشدة بعدها عن اذرعات.

نَظَرْتُ إِلَيْهَا ـ وَالنُّجُوم كَأَنَّهَا مَصَابِيحُ رُهْبَانٍ ـ تُشَبُّ لِقُفَّالِ (١)
سَمَوْتُ إِلَيْهَا بَعْدَ مَا نَامَ أَهْلُهَا سُمُوَّ حَبَابِ الماءِ؛حالاً عَلَىٰ حَالِ (٢)
فَقَالَتْ سَبَاكَ الله ، إِنَّكَ فَاضِحِي : أَلَسْتَ تَرَىٰ السُّمَّارَ وَالنَّاس أَحْوَالِي (٣)
فَقُلْتُ : يَمِينُ الله أَبْرَحُ قَاعِداً وَلَوْ قَطَعُوا رَأْسِي لَدَيْكِ وأَوْصَالِي (٤)
حَلَفْتُ لَهَا بِالله حِلْفَةَ فَاجِرٍ لَناموا فما إنْ مِنْ حَدِيثٍ ولاصالي (٥)
فَأَصْبَحْتُ مَعْشُوقاً، وَأَصْبَحَ بَعْلُهَا عَلَيْهِ القَتامُ ، سَيِّءُ الظَّنِّ وَالبالِ (٦)
يَغِطُّ غَطِيطَ البَكْرِ ـ شُدَّ خِنَاقُهُ لِيَقْتُلَنِي ، والمَرْءُ لَيْسَ بِقَتَّالِ (٧)

---

(١) اليها الضمير يعود الى النار المفهومة من قوله: «تنورّتها» لأن التنوُّر هو النظر الى النار «تُشَبُّ» توقد، من شب النار إذا أوقدها. وضمير تشب يعود الى النار المعلومة من المقام لا الى المصابيح. فكأنه قال. نظرت اليها تُشب للقُفّال والنجوم كأنها مصابيح رهبان. و«القُفَّال» الراجعون من السفر.

(٢) سموت: عَلوت ونهضت «حباب الماء» فقاقيعه التي تطفو عليه. «حالاً على حال» شيئاً بعد شيء.

(٣) السَّمار: جمع سامر، وهم من يجلسون للسمر للتحدث ليلاً. يقال منه: سَمَر يَسْمُرُ وتسامر القوم: و«السامر» ايضاً مجلس السّمار، ومثله «السامرة». «احوالي» اي حولي. وهو جمع حَولْ، يقال منه «احولَ القومُ فلاناً» اي صاروا حوله.

(٤) ابرح: الاصل لا ابرح. على تقدير اداة النفي لانه «برح» الناقصة لا تعمل عمل «كان» الا بعد نفي أو شبهة ـ كما هو معروف في النحو ـ . «الأوصال» جمع وصل هو كل عظم يفصل عن آخر.

(٥) الفاجر: الكاذب: «الصالي» وهو من يصطلي النار أي يستدفىء بها. والفعل صلِيَ يَصلى».

(٦) البعل: الزوج: «القتام» الغبار «البال» القلب والنفس، ورخاء العيش، والحال.

(٧) الغطيط: صوت يردِّده الانسان في صدره، يقال: غطَّ النائم يغطُّ غطيطاً «البكر» بفتح الباء: الفتيُّ من الابل، بمنزلة الشاب من الناس، والانثى «بَكْرة» ـ «الخِناق» بكسر الخاء: هو ما يُخنّق به من حبل أو وتر او نحوهما. أما «الخُناق» بضم الخاء وفتح النون بلا تشديد فهو داء يمتنع معه نفوذ النفس الى الرئة والقلب. والعامة تغلط فتلفظه بتشديد النون.

أَيَقْتُلُنِي ، والمَشْـرِفِيُّ مُضـاجِعِي وَمَسْنُـونَةٌ زُرْقٌ كَـأَنْيَـابِ أَغْـوَالِ[1]
وَلَيْسَ بِـذِي رُمْـحٍ فَيَــطْعُنَنِي بِـهِ، وَلَيْسَ بِـذِي سَيْفٍ؛ وَلَيْسَ بِنَبَّالِ[2]

ومنها :

كَـأَنَّ قُلُوبَ الـطَّيْـرِ رَطْبـاً وَيَـابِسـاً
- لَدَى وَكْرِها - العُنَّابُ والحَشَفُ البالي[3]
فَلَوْ أَنَّ مَـا أَسْعَى لأَدْنى مَـعِيشَــةٍ كَفَانِي- وَلَمْ أَطْلُبْ- قَليلٌ مِنَ المَالِ[4]
وَلَكِنَّـمَــا أَسْعَـى لِمَـجْـدٍ مُؤَثَّــلٍ وَقَدْ يُدْرِكُ المَجْدَ المُؤَثَّلَ أَمْثَـالِي[5]
وَما المَرْءُ - ما دَامَتْ حشاشَةُ نَفْسِهِ - بِمُدْرِكِ أَطْرَافِ الخُطُوبِ وَلا آلي[6]

فَبلغ ذلك أباه فطرده. فما زال هائماً على وجهه حتى بلغه مقتل أبيه وهو بدمُّون. كما قدمنا.

ومما قاله بعد ما بلغه قتل أبيه :

تــالله لا يَـذْهَبُ شَيْخِي بَـاطِـلاً، حَتَّى أُبِيــدَ عــامِــراً وَكَــاهِــلا[7]

(١) المشـرفي : السيف المصنوع في قـرى يقال لهـا «المشارف» في أرض العـرب تقارب بـلاد الروم «المسنونة الزرق» هي النبال.
(٢) طعنه بالرمح يطعنه، من باب نصر وفتح .
(٣) الخشف: ما يبس من التمر ولم يكون له طعم ولا نوى.
(٤) قليل: رُفع لأنه فاعل (كفى). ومعنى البيت: (لو كان ما اسعى اليه هو ادنى المعيشة واقلها لكفاني قليل من المال ولم اطلب الملك) فمفعول اطلب محذوف وهو مفهوم من البيت بعده.
(٥) المؤثل؛ الذي له اصل ثابت.
(٦) الحشاشة: بقية النفس (الخطوب) الامور، واحدها (خَطْب) - (الآلي) المقصِّر، والفعل منه (آلى يألو) والمعنى: (ان الانسان ما دام حياً لا يدرك كل ما يريد من الامور وان لم يقصِّر في الطلب).
(٧) اراد بشيخه اباه، والمراد: لا يذهب دمه هدراً (أبيد) أُهلك. ويُروى ايضاً أُبير وهي بمعناها (عامر وكاهل) هما حيَّان من بني اسد.

(أَلْقَـاتِلِينَ المَـلِكَ الحُـلاَحِـلا) خَيْـرَ مَعَـدٍ حَسَبـاً وَنَـائِـلا[1]

نَحْنُ جَلَبْنَـا القُـرَّحَ القَـوَافِـلاَ، يَحْمِلْنَنَـا وَالأَسَـلَ النَّـواهِـلاَ[2]

وَحَيَّ صَعْبٍ، وَالـوَشِيـحَ الـذَّابِـلاَ يَـا لَهْفَ نَفْسِي إِذْ خَطِئْنَ كَـاهِـلاَ[3]

ما كان من أمره بعد مقتل أبيه :

حدَّث (سيبويه) النحويُّ أن (الخليل بن أحمد) أخبره، قال :

قدم على (امريء القيس بن حُجـر) بعد مقتـل أبيه رجـال من قبائـل (بني أسـد) كهولٌ وشبـان. فيهم (المهـاجـر بن خِـداش) و (قَبيصـة[4] بن نعيم). فلما علم بمكانهم أمر بإنزالهم وتقدَّم بإكرامهم والإفضـال عليهم. واحتجبَ عنهم ثلاثاً. فسألوا من حضرهم من رجال (كنـدة). فقال : «هـو في شُغْـلٍ شاغـلٍ بإخـراج ما في خـزائن حُجر من الحَلْقَـةِ[5] والسـلاح».

---

(١) الحلال: السيد الشريف والزكي الرضي (خيرَ معد) بدل من عامراً وكاهلاً، وهـو بدل البعض من الكل، لا صفة للملك، لأن الملك ـ وهو ابوه ـ ليس من (معد) وانما هو من (كندة) وكندة من اليمن، يريد ان يقول: انه لا يقتل لابيه إلا اشـراف معد وخيـرهم ليكونوا شفاء من ثأره. (الحسب) ما يعدُّه الانسان من مفاخر آبائه (النائل) العطاء.

(٢) القرّح: أراد بها الخيل. ومفردها «قارح» وهو في اللغة كل ذي حافر شق نابه وطلع، ولا يكون ذلك إلا في الخامسة من سنيه «القوافل» الضوامـر من الخيل «الاسـل» الرمـاح «النواهل» العطاش. والنهل يطلق على العطش وعلى أول السقي فهو من الاضداد.

(٣) الوشيج: المراد به هنا الرماح «الذابل» من صفات الرمح والجمع «ذوابل» وهي التي تكون لاصقة بقشرتها بعد جفافها «خطئن» بمعنى اخطأن. واكثر ما يستعمل خطىء فيما يوجب الاثم.

(٤) اصل معنى القبيصة هو التراب المجموع والشيء الذي تناولتَه بأطراف اصابعك يقال: «قبص الشيء» أي بأطراف الاصابع. ويقال في غير هذا المعنى: «قبص فلاناً» أي قطع عليه شربه قبل أن يروى.

(٥) الحلقة: هي الدروع خاصة او هي كل سلاح.

فقالوا: اللهمَّ غُفراً. إنما جئنا في أمرٍ نتناسى به ذِكر ما سلف، ونستـدركُ به مـا فَرطَ. فَلْيُبَلَّغْ ذلـك عنا. فخـرج عليهم امرؤ القيس في قَبـاءٍ[١] وعِمامـةٍ سـوداء (وكانت العـرب لا تعتمُّ بالسـواد إلا في التِّرات[٢] فلمـا نظروا إليـه قاموا لَهُ. وبَدَرَ إليه قَبيصة (وقال):

«إنَّـكَ في المَحَلِّ والقَـدْرِ، والمَعْرِفَـةِ بِتَصَرُّفِ الـدَّهْرِ، ومـا تُحْدِثُـهُ أَيَّـامُهُ، وَتَنْتَقِـلُ بِهِ أَحْـوَالُهُ؛ بِحَيْثُ لَا تَحْتَـاجُ إِلَىٰ تَبْصِرَةِ وَاعِظٍ، وَلَا تَـذْكِرَةِ مُجَـرَّبٍ. وَلَـكَ مِنْ سُؤْدُدِ مَنْصِبِـكَ، وَشَـرَفِ أَعْـرَاقِـكَ، وَكَـرَمِ أَصْلِكَ، مَحْتَدٌ[٣] يَحْتَمِلُ مَا حُمِلَ عَلَيْهِ مِنْ إِقَالَـةِ العَثْرَةِ[٤]، وَرُجُـوعٍ عَنِ الهَفْوَةِ. وَلَا تَتَجَـاوَزُ الهِمَمُ إِلَى غَـايَـةٍ إِلَّا رَجَعَتْ إِلَيْـكَ، فَـوَجَـدَتْ عِنْـدَكَ مِنْ فَضِيلَةِ الرَّأْيِ، وَبَصِيرَةِ الفَهْمِ، وَكَرَمِ الصَّفْحِ، مَـا يَطُولُ رَغَبَـاتِهَا[٥]، وَيَسْتَغْـرِقُ طَلَبَاتِهَا. وَقَدْ كَانَ مَـا كَانَ مِنَ الخَـطْبِ الجَلِيلِ الَّـذِي عَمَّتْ رَزِيَّتُهُ (نِـزاراً) و (اليَمَنَ)، وَلَمْ تُخْصَصْ بِذَلِكَ (كِنْدَةَ) دُونَنَا، لِلشَّـرَفِ البارِعِ الـذي كَانَ لِحُجْرٍ: التَّاجُ والعِمَّةُ فَوْقَ الجَبِيـنِ، وَإِخَاءُ الحَمْدِ، وطِيبُ الشِّيَمِ[٦]. وَلَـوْ كَانَ يُفْدى هَالِكٌ بِالأَنْفُسِ الباقِيَةِ بَعْدَهُ لَمَـا بَخِلَتْ كَرَائِمُنَـا عَلَىٰ مِثْلِهِ بِبَذْلِ ذَلِكَ، ولَفَدَيْنَاهُ بِمِثْلِهِ. وَلَكِنْ مَضَىٰ بِهِ سَبِيلٌ لَا يَرْجِـعُ أُخْرَاهُ عَلَىٰ أُولاهُ، وَلَا يَلْحَقُ أَقْصَاهُ أَدْنَاهُ. فَأَحْمَدُ الحالاتِ في ذَلِكَ أَنْ تَعْـرِفَ الوَاجِبَ عَلَيْـكَ فِي

---

(١) القبَاء: ثوب يُلبس فوق الثياب أو فوق القميص ويُتمنطق عليه.
(٢) الترات: جمع «تِرَة» وهي الثأر والعداوة والحقد.
(٣) المحتد: الاصل الكريم الخالص، والجمع محاتد.
(٤) عثر فلان فأقلته: أي زلّت رجله وكبت. فانهضته واقالة العثرة: مجاز عن العفو والصفح عن الذنب.
(٥) يطول رغباتها: أي يعلو ويزيد ويرتفع على ما ترغب فيه.
(٦) الشيم: جمع (شيمة) وهي الطبيعة والخُلُقُ.

إِحْدَىٰ خِلَالٍ ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنِ اخْتَرْتَ مِنْ (بَنِي أَسَدٍ) أَشْرَفَهَا بَيْتاً، وَأَعْلَاهَا فِي بناءِ المَكْرُمَاتِ صَوْتاً، فَقُدْنَاهُ إِلَيْكَ بِنِسْعِهِ[1] يَذْهَبُ مَعَ شَفَرَاتِ حُسَامِكَ بِبَاقِي قَصَرتِهِ[2]، فَنَقُولُ: «رَجُلٌ امْتُحِنَ بِهُلْكِ عَزِيزٍ، فَلَمْ تُسْتَلَّ سَخيمَتُهُ[3] إِلَّا بِتَمْكِينِهِ مِنَ الانْتِقَامْ. وَإِمَّا فِدَاءٍ[4] بِمَا يَرُوحُ مِنْ بَنِي أَسَدٍ مِنْ نَعَمِها[5]، فَهِيَ أُلُوفٌ تُجَاوِزُ الحِسْبَةَ[6]، فَيَكُونُ ذَلِكَ فِدَاءً رَجَعَتْ بِهِ القُضُبُ إِلَىٰ أَجْفَانِهَا[7]. وَإِمَّا أَنْ تُواعِدَنَا حَتَّى تَضَعَ الحَوَامِلُ، فَنَسْدِلَ الأُزُرَ[8]، وَنَعْقِدَ الخُمُرَ فَوْقَ الرَّايَاتِ».

قَالَ فَبَكَىٰ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ:

«لَقَدْ عَلِمَتِ العَرَبُ أَنْ لَا كُفُؤَ لِحُجْرٍ فِي دَمٍ. وَأَنِّي لَنْ أَعْتَاضَ بِهِ جَمَلاً أَوْ نَاقَةً، فَأَكْتَسِبَ بِذَلِكَ سُبَّةَ الأَبَدِ[9]، وَفَتَّ العَضُدِ[10].

---

(١) النسع: ما يُزم به النعل أو يُشد به الرّحل.

(٢) القَصَرة: تطلق على معان، منها ما يبقى في المنخل بعد الانتخال. وما يبقى في السنبل من الحب بعد الدوسة الاولى، والقشرة العليا من الحبة ويقال للقشرة السفلى ـ وهي التي تلي الحبة ـ الحَشَرة. واصل العنق إذا غلظت. وأراد هنا المعنى الأخير بمقابلته مع النسع.

(٣) تُستل: تنتزع (السخيمة) الضغينة والحقد.

(٤) فداء: مجرور لانه معطوف على المصدر المجرور المؤوّل في قوله: «ان اخترت» وانما كان المصدر المؤول مجروراً لانه بدل من «خلال».

(٥) النعم: الجمال.

(٦) الحسبة: الحساب.

(٧) القضب: جمع قضيب وهو السيف الدقيق القاطع «الاجفان» اغماد السيوف، جمع جفن وهو القراب.

(٨) نسدل: نرخي ونرسل (الأزر) جمع ازار وهو الملحفة ونحوها مما يلتحف به ويُؤتزر.

(٩) السبة: العار. والسبة أيضاً من يكثر الناس سبَّه.

(١٠) فت العضد: أي ضعف الشكيمة وكسر القوة وتفرق الاعوان. يقال «ان هذا الامر قد فت=

وأَمَّا النَّظِرَةُ[1] فَقَدْ أَوْجَبَتْهَا الأَجِنَّةُ[2] في بُطونِ أُمَّهَاتِهَا، ولَنْ أَكُونَ لِعَطَبِهَا سَبَباً. وَسَتَعْرِفُونَ طَلائِعَ كِنْدَةَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ، تَحْمِلُ فِي القُلُوبِ حَنَقاً، وَفَوْقَ الأَسِنَّةِ عَلَقاً[3]:

إذا جَالَتِ الخَيْلُ فِي مَأْزِقٍ   تُصَافِحُ فِيهِ المَنَايَا النُّفُوسَا

أَتُقِيمُونَ أَمْ تَنْصَرِفُونَ؟».

قالوا:

«بَلْ نَنْصَرِفُ بِأَسْوَإِ الاخْتِيَارِ، وَأَبْلَى الاجْتِرَارِ[4]: بِمَكْرُوهٍ وأَذِيَّةٍ، وَجَرْبٍ وَبَلِيَّةٍ».

ثم نهضوا؛ و (قَبِيصة) يقول متمثِّلاً:

لَعَلَّكَ أَنْ تَسْتَوْخِمَ الوِرْدَ إِنْ عَدَتْ   كَتَائِبُنا في مَأْزِقِ المَوْتِ تَمْطُرُ[5]

فَقال امرؤُ القيس:

= عضدي وساعدي» أي أضعفني وكسر قوتي. وأصل معنى «الفت» دق الشيء وكسره بالاصابع واصل معنى «العضد» الساعد، وهو من المرفق الى الكتف، ويأتي مجازاً بمعنى الناصر والمعين. يقال: (هم اعضادي وعضدي) أي نُصرائي ومعينيَّ.

(١) النظرة: الانتظار.

(٢) الاجنة: جمع جنين وهو الولد ما دام في بطن امه.

(٣) العلق: الدم.

(٤) الاجترار: الانسحاب. يقال: (جررتُ الشيء فانجرَّ واجترّ) اي انسحب.

(٥) استوخم الشيء: لم يجده موافقاً فكرهه (الورد) الماء الذي يُوردَ (عدتْ) جرت (الكتائب) جمع (كتيبة) وهو الجيش، او القطعة منه، او الخيل المغيرة من المئة الى الالف (المأزق) المضيق، وموضوع الحرب (تمطر) تجري وتسرع وتعدو بشدة كصوب المطر.

«لَا، وَاللهِ لَا أَسْتَوْخِمُهُ؛ بَلْ أَسْتَعْذِبُهُ. فَرُوَيْداً يَنْكَشِفْ لَكَ دُجاها[1] عَنْ فُرْسَانِ (كِنْدَةَ) وَكَتَائِبِ (حِمْيَرَ). وَلَقَدْ كَانَ ذِكْرُ غَيْرِ هَذَا أَوْلَى بِي، إِذْ كُنْتَ نَازِلاً بِرَبْعِي. ولَكِنَّكَ قُلْتَ فَأَجبْتُ».

فقال (قبيصة):

«إنَّ ما نَتَوَقَّعُ فَوْقَ قَدْرِ المعاتَبَةِ والإِعتابِ[2]».

قال امرؤ القيس:

«هُوَ ذَاكَ».

ثمَّ انصرفوا.

شيء عن حروبه ثائراً لأبيه:

ثمّ إنَّ (امرأ القيس) ارتحل يستجيش القبائل. وطاف بين العرب يستنجدهم. حتى نزل (بكراً) و(تغلب). فسألهم النصر على (بني أسدٍ) قاتلي أبيه، فأجابوا. فبعث العيون على (بني أسد). فعلموا بذلك. ولجأوا إلى (بني كنانة) ولما خافوا أن يُدركهم فيهم ارتحلوا بليل. وكان الذي أنذرهم أن يرحلوا (عِلباء بن الحارث الكاهلي).

ثمّ أقبل (امرؤ القيس) بمن معه من (بكر) و(تغلب) حتى انتهى إلى (بني كنانة) ـ وهو يحسبهم (بني أسد) ـ فوضع السلاح فيهم، وقال: «يا لِثارات الملك، يا لِثارات الهُمام». فخرجت إليه عجوز من

(١) الدجا: الظلمة.
(٢) الاعتاب: ازالة العتب. يقال: «اعتبه» أي أرضاه وأزال ما كان يعتب لاجله فهمزته للازالة والسلب. كما يقال: «اشكاه» أي أزال شكواه ورفع ما كان يشكو منه.

(بني كنـانة) فقـالت: «أبيتَ اللعن. لسنا لـك بثأر. نحن من (بني كنانة). فدونك ثأرك فاطلبهم، فإن القوم قـد ساروا بـالأمس». فتبع (بني أسد)، ففاتوه ليلتهم تلك. فقال في ذلك:

ألا يـا لَـهْـفَ هِـنْـدٍ إثْـرَ قَـوْمٍ هُمُ كـانوا الشِّفـاءَ؛ فَلَمْ يُصـابـوا[1]
وقـاهُـمْ جَـدُّهُمْ بِـبَنِـي أَبِيـهِـمْ؛ وبـالأَشْقَيْنَ مَـا كَـانَ العِقَـابُ[2]
وأَفْـلَتُـهُـنَّ عِـلْبَـاءٌ جَـريـضـاً، وَلَـوْ أَدْرَكْتُـهُ صَفِـرَ الـوِطَـابِ[3]

يعني ببني أبيهم (بني كنانة) لأن (أسداً) و(كنانة) ابْنَيْ (خُزَيمة) أَخَوان.

ثم لحقهم وقـد تقطَّعت خيله وقـطع أعناقهم العـطش. و(بنو أسد) حامون على الماء. فنهـد إليهم. فقاتلهم حتى كثـرت القتلى والجرحى فيهم. وحجز الليل بينهم. وهرب (بنو أسد). فلما أصبح من معه من (بكر) و(تغلب) أَبَوْا أن يتبعوهم. وقالوا: «لقـد أصبتَ ثأرك». قال: «والله ما فعلتُ ولا أصبتُ من (بني كاهل) ولا من غيرهم من (بني أسدٍ) أحداً» قالوا: (بلى ولكنك رجل مشؤوم). ثم انصرفوا عنه. ومضى هارباً لوجهه حتى لحق (بحمير) فـاستنصر (ازدشنؤة)[4]

(١) هند: هي اخت «امرىء القيس».
(٢) الجدّ، بفتح الجيم: الحظ والبخت، واما الجِدّ بكسرها فمعناه الاجتهاد.
(٣) الجريض: الغاصُّ بريقه. والجَرض هو الغصص بالريق وابتلاعه على همّ وحزن وجهد. والفعل منه «جرِض يجرَضُ» أي غصَّ بريقه. والجريض ايضاً: الغصة. والريق الذي يُغصُّ ومنه المثل: «حال الجريض دون القريض» «صفر الوطاب» يقال: «صفر وطاب فلان» أي خلا بدنه من روحه. وفي الاصل يقال: «صفر الوطاب» اي خلا من اللبن و«الوطاب» جمع «وطب» وهو وعاء يكون فيه اللبن. ويجمع أيضاً على «أوْطُب وأوطاب» وهي جمع قلة. ويقال: صَفِر الاناء يَصفر صَفَراً وصُفوراً» إذا خلا وفرغ ما فيه.
(٤) قبيلة من عرب اليمن.

فـأبوا أن ينصـروه. فنزل بقَيـل يُدعى (مـرثـد الخيـر بن ذي جَـدن الحميري) وكان بينهما قرابة، فاستنصره واستمدّه على (بني أســد). فأمدَّه بخمس مئة رجلٍ من (حَمير). وتبعه شُذّاذ من العرب. واستأجر من قبائل العرب رجالاً. فسار بهم إلى (بني أسد). وظفر بهم.

مطاردة المنذر لامرىء القيس:

ثم إن المنذر وجَّه الجيوش في طلب (امرىء القيس). وأمدّه (كسـرى أنو شـروان) بجيش من (الأساورة)[1]. فسـرَّحهم في طلبه. فتفرَّقت (حميـر) ومن معه. فنجا (امرؤ القيس) في عصبة من رهطه. فما زال في حل وترحال، ينتقل من قبيلة إلى قبيلة، حتى نزل برجل من (بني فَزارة) يقال له (عمرو بن جابر بن مازن). فطلب منه الجوار. فقال له الفزاري: «يا ابن حُجر، إني أراك في خَللٍ[2] من قومك، وأنا أنفسُ[3] بمثلك من أهل الشرف، وقد كدتَ بـالأمس تُؤكل في ديـار (طيء) (وكان امرؤ القيس قد نزل بهم بعد (فزارة) فانتهب قوم إبله). وأهل البادية أهل وَبَر[4]، لا أهل حصون تمنعهم. وبينك وبين أهل (اليمن) ذُؤبانْ[5] من (قيس). أفَلا أدلُّك على بلدٍ؟، فقد جئت قيصـر وجئت النعمان، فلم أرَ لضيفٍ نازلٍ ولا لمجتد[6] مثله ومثل صاحبه».

---

(١) الاساورة: قوم من العجم كانوا نزلوا «البصرة» قديماً. ومفردها «أُسوار» بضم الهمـزة وكسرها وهو القائد من قواد العجم.

(٢) الخلل: الوهن والضعف.

(٣) نَفِس بَالشيء ينْفَسُ نَفَساً: ضَنَّ وبخل.

(٤) اهل الوبر هم البدو سكان البادية، أما سكان الحواضر فهم اهل المدر.

(٥) ذؤبان جمع «ذئب» ويجمع ايضاً عن «ذئاب واذؤب». ويقال: «ذؤَبَ الرجل» إذا صار كالذئب خبثاً ودهاءً أو خاف من الذئب.

(٦) المجتدي: طالب الجدوى وهي العطية. والفعل منه «اجتدى يجتدي اجتداء».

قال امرؤ القيس: «فمن هو؟ وأين منزله؟». قال: «هو (السموأل)، ومنزله (بتيماء). وسوف أضرب لك مثله: هو يمنع ضعفك حتى ترى ذات غيبك. وهو في حصن حصين، وحسَبٍ كبير» فقال: «وكيف لي به؟». قال: «أوصلك إلى من يوصلك إليه».

نزوله على السمؤال:

ثم أصحبه (عمرُو بن جابر) رجلاً من (فَزارة) يقال له (الربيع بن ضبع) (وكان ممن يأتي (السموأل) فيحمله ويعطيه) فلما صار إلى (السموأل) أكرمه، وأنزل من معه من النساء في قبة أدَم[١]، وأنزل القوم في مجلس له بَراح[٢]. فكان عنده ما شاء.

سفره إلى (فروق)[٣] مستنجداً بقيصر:

ثم إنه طلب إلى (السموأل) أن يكتب له إلى (الحارث بن أبي شَمَّرَ الغسَّاني) بالشام ليوصله إلى (قيصر). فأجابه إلى ذلك وترك (امرؤ القيس) عنده بنيه والدروع وابن عمه (يزيد بن الحارث). ومضى إلى (قيصر) في (قسطنطينية) ومعه (عمرو بن قَبْصة) الشاعر. فلما انتهوا إلى الحد الفاصل بين بلاد العرب وبلاد الروم (وهو يفصل بلاد حلب عن الأناضول) جزع (قبصة) وبكى. وفي ذلك يقول امرؤ القيس:

بَكَىٰ صاحِبي لَمَّا رَأَىٰ الـدَّرْبَ دُونَهُ وَأَيْقَنَ أَنَّـا لاحِـقَـانِ بِقَـيْصَـرَا[٤]

(١) الادَم: جمع «اديم»وهو الجلد المدبوغ.
(٢) البراح: المكان الذي لا سترة فيه من شجر او غيره مما يستر.
(٣) هي قسطنطينية.
(٤) الدرب: باب السكة الواسع. وكل مدخل إلى بلاد الروم، أي الحد الفاصل بين بلاد =

فَقُلْتُ لَـهُ: لا تَبْـكِ عَيْنُــكَ، إِنَّمـا نُحـاوِلُ مُلْكـاً؛ أَوْ نَمُــوتَ فَنُعْـذَرَا

وهذان البيتان من قصيدة له يقول فيها:

فَـلَمَّــا بَــدَا حَــوْرَانُ وَالآلُ دُونَــهُ نَـظَرْتَ فَلَمْ تَنْظُرْ بِعَيْنَيْـكَ مَنْـظَرَا[1]
تَقَـطَّعُ أَسْبَـابُ اللُّبَــانَـةِ وَالهَــوَىٰ عَشِيَّـةَ جَـاوَزْنَــا حَمَـاةَ وَشَيْــزَرَا[2]
فَـدَعْ ذَا، وَسَلِّ الهَمَّ عَنْـكَ بِجَسْرَةٍ ذَمـولٍ، إذا صَامَ النَّهَـارُ وَهَجَّـرَا[3]
عَلَيْهَـا فَتًى لَمْ تَحْمِلِ الأَرْضُ مِثْلَهُ أَبَــرَّ بِمِيثَــاقٍ، وَأَوْفَىٰ، وَأَصْبَـرَا
وَلَوْ شَاءَ كَانَ الغَزْوُ مِنْ آلِ حِمْيَـرٍ، وَلَكِنَّـهُ عَمْـداً إِلَى الــرُّومِ أَنْفَـرَا[4]
لَقَــدْ أَنْكَـرَتْنِي بَعْلَبَــكُّ وَأَهْلُهَــا، وَلَابْنُ جُرَيْجٍ فِي قُرَى حِمْصَ أَنْكَرَا[5]
إذا قُلْتُ: هَـذَا صاحِبٌ قَـدْ رَضيتُهُ وَقَـرَّتْ بِـهِ العَيْنَـانِ، بَـدَّلْتُ آخَـرَا
كَذَلِكَ جَـدِّي ما أُصَـاحِبُ صَاحِبـاً مِنَ النَّـاسِ، إِلَّا خَـانَنِي وَتَغَيَّــرَا[6]

= العرب وبلاد الروم. وهو هنا الحد الفاصل بين بلاد حلب عن بلاد الاناضول حسب التخطيط الجغرافي اليوم.

(١) حوران: جبل بالشام.

(٢) تَقَطّع: أصلها تتقّطع (اللبانـة) لحاجـة (حماة) بلد بـالشام (شيـزر) كانت قلعـة ببلاد الشـام تشتمل على كورة قرب (المعرَّة) بينها وبين (حماة) يوم. وفي وسطها نهر (الأردن).

(٣) الجسرة: الناقة الطويلة، أو هي التي تجسر على الهول والسير (الذمول) السريعة (صام النهار) قام قائم الظهيرة وهي شدة الحـر (هجّر النهـار) انتصف أي صار في وقت الهـاجرة، وذلك عند نصف النهار.

(٤) العمد: القصد، يقال: عمد فلاناً إذا قصد إليه (أنفر) أي أنفر أصحابه. يقـول: لو شـاء أن يغـزوهم من (آل حمير) لفعـل ولكنه أراد أن يستعمـل مَن بالـروم. وذلك مبـالغة في طلب ثأره.

(٥) بعلبك وحمص: بلدان بالشام. وفي (بعلبك) القلعة الشهيرة التي كانت معبداً للشمس (ابن جُريجٍ) صديق كان له.

(٦) جَدي: حظّي وبختي.

وقال في آخرها:

وَنَشْرَبُ حَتَّى نَحْسَبَ الخَيْلَ حَـوْلَنا نِقاداً، وَحَتَّى نَحْسَبَ الجَوْنَ أَشْقَرَا[1]

فلما كان عند قيصر قَبِلَهُ وأكرمهُ، وصارت له عنده منزلة.

قيل: وقد رأى امرؤ القيس بنت قيصر فشغفها وشغفته حباً، دون أن يعلم أبوها بالأمر.

رجوعه من عند قيصر:

ثمَّ إنّ (قيصر) ضمَّ إليه جيشاً كثيفاً، وفيه جماعة من أبناء الملوك فاندسَّ رجل من بني أسد يقال له (الطمَّاح) (وكان امرؤ القيس قد قتل أخاً له). فجاء (الطماح) هذا إلى بلاد الروم مستخفياً فوشى به إلى قيصر، بعد أن فصل بالجيش. فقال له: «إن امرأ القيس غويٌّ عاهر، وإنه لما انصرف عنك بالجيش ذكر أنه كان يراسل ابنتك وتراسله، وهو قائل فيها في ذلك أشعاراً يشهرها بها في العرب فيفضحها ويفضحك». فلما سمع ذلك (قيصر) بعث إلى (امرىء القيس) بحُلَّة مسمومة منسوجة بالذهب. وقال له: «قد أرسلت إليك بحلّتي التي كنت ألبسها، تكرمةً لك. فإذا وصلت إليك فالبسها باليُمْن والبركة. واكتب إليَّ بخبرك من منزلٍ منزل. فلما وصلت إليه لبسها، واشتد بها

---

(١) النقاد: نوع من الغنم قبيح الشكل صغير الارجل، يكون بالبحرين مفرده «نَقَد» للذكر والانثى. ومنه المثل: «أذلّ من النَّقَد». والنَّقد مجازاً هم السُّفَّل من الناس «الجون» هو الاسود والابيض، وهو من الاضداد. والمراد به هنا الاسود. والجون أيضاً هو النبات الذي يضرب لونه الى السواد من شدة الخضرة.

سروره. وكان يوماً صائفاً شديدَ الحر؛ فأسرع فيه السم، وسقط جلده فلذلك سُميَ (ذا القروح). وفي حالته هذه يقول:

وبُـدِّلْتُ قَـرْحـاً دامِيـاً بَعْــدَ صِحَّـةٍ ... فَيَـا لَـكِ مِنْ نُعْمَى تَحـولَنَّ أَبْؤُسـا
لَقَـدْ طَمَحَ الـطَّمَّاحُ مِنْ بُعْـدِ أَرْضِهِ ... لِـيُلْبِسَنِـي مِنْ دَائِــهِ مَــا تَـلَبَّسَــا

ومن هذه القصيدة قوله:

فَــإِمَّـا تَــرَيْنِي لا أُغَمِّضُ سَـاعَــةً ... مِنَ اللَّيْـلِ ، إِلَّا أَنْ أُكِبَّ فَأَنْعَسَـا[١]
فَيَـا رُبَّ مَكْـرُوبٍ كَــرَرْتُ وَرَاءَهُ، ... وَطَـاعَنْتُ عَنْهُ الخَيْـلَ حَتَّى تَنَفَّسَا[٢]
وَمَا خِلْتُ تَبْرِيـحَ الحَيَاةِ كَمَـا أَرَى، ... تَضِيقُ ذِرَاعِي أَنْ أَقُــومَ فَـأَلْبَسَــا[٣]
فَلَوْ أَنَّهَــا نَفْسٌ تَمُــوتُ جَميعَــةً، ... وَلَكِنَّهَــا نَفْسٌ تَسَــاقَطُ أَنْفُسَــا[٤]

وكان يحمله «جابر بن حُنيّ» التغلبيّ. وفي ذلك يقول امرؤ القيس:

فَـإِمَّـا تَــرَيْني في رِحَـالَــةِ جـابِــرٍ ... عَلَىٰ حَرَجٍ كالقَرِّ تَخْفُقُ أَكْفَانِي[٥]

---

(١) أكب: أنكس رأسي، أو أنحني. وماضيه «أكبّ». ويكون متعدياً ولازماً، تقول: أكبَّ الله العدوَّ على وجهه فأكبَّ. وجاء في بيت «امرىء القيس» لازماً.

(٢) تنفس: استراح.

(٣) خلت: ظننت «التبريح» شدة البلاء. يقال: برَّحَ به الامرأي جَهـدَه وآذاه أذًى شديـداً «ألبس» أي ألبس ثيابي.

(٤) تساقط: أصلها تتساقط: والمعنى لو أن نفسي تنتزع من جسمي دفْعة واحدة، ولكنها تنتزع فتتساقط شيئاً فشيئاً. ويروى «تُساقِطُ أنفساً» والمعنى حينئذ هي نفس إذا سقطت وماتت يموت بموتها خلق كثير، كما قال «عبدة بن الطبيب»:

فمـا كــان قيسٌ هـلكـهُ هلكَ واحـدٍ ... ولـكـنـه بـنـيـانُ قـوم تـهـدَّمـاً

والرواية الأولى أولى وأحسن لمكان المناسبة معنى بين الشطر الأول والشطر الثاني من البيت.

(٥) أراد بالرحالة خشبات صنعها له (جابر) حين مرض. و (الرحالة) هي مركب من مراكب =

فَيَا رُبَّ مَكْرُوبٍ كَرَرْتُ وَرَاءَهُ؛ وَعَانٍ فَكَكْتُ الغُلَّ عَنْهُ فَفَدَّانِي[1]

وفي هذه القصيدة يقول:

إِذَا المَرْءُ لَمْ يَخْزُنْ عَلَيْهِ لِسَانُهُ فَلَيْسَ عَلَىٰ شَيْءٍ سِوَاهُ بِخَزَّانِ
وَخَرْقٍ بَعِيدٍ قَدْ قَطَعْتُ نِيَاطَهُ عَلَىٰ ذَاتِ لَوْثٍ سَهْوَةِ المَشْي مِذْعَانِ[2]
وَغَيْثٍ كَأَلْوَانِ الفَنَا قَدْ هَبَطْتُهُ، تَعَاوَرَ فِيهِ كُلُّ أَوْطَفَ حَنَّانِ[3]

= النساء يوضع على البعير. والرحالة السرج أيضاً «الحرج» سرير توضع عليه الموتى. وهو أيضاً المكان الضيق الكثير الشجر. والحَرَج أيضاً الإثم. والمعنى الأول هو المراد هنا «القر» الهودج وهو مركب من مراكب النساء «اكفاني» ثيابي سمَّاها أكفاناً لأنه علم أنه ميت وأنه لا أكفان له غيرها، فسماها بما تصير إليه مجازاً، وهو مجاز مرسل علاقته اعتبار ما يكون.

(١) العاني: الأسير «الغل» القيد ومن معانيه العطش الشديد «فداني» أي قال لي: نفسي فداؤك.

(٢) الخرق والخرقاء: المفازة وهي الفلاة المهلكة التي لا ماء فيها. وجمعها مفازات ومفاوز. سميت بذلك تفاؤلاً بأن يفوز سالكها. «النياط» بعد المفازة فكأنها نيطت بمفازة أخرى فلا تكاد تنقطع. ومعنى هذه المادة في الأصل التعليق. يقال: ناط الشيء ينوطه نوطاً ونياطاً أي علقة. ومثله أناطه ونوَّطه. ويقال انتاط الشيء أي تعلَّق و(النيّاط) هو معلق كل شيء. وعرق غليظ نيط به القلب إلى الوتين فإذا انقطع مات صاحبه والجمع أنوطة ونُوط. ويقال: ناط الشيء أي إقتضبه برأيه من غير مشورة (اللَّوث واللَّوثة) بفتح اللام: القوة. واللُّوث بضم اللام معناه فراخ النحل. واللَّوثة بالضم معناها الاسترخاء والبطء والحمق والحبسة في اللسان (السهوة) السهلة المشي (المذعان) المطاوعة المذلّلة.

(٣) الغيث معناه المطر، وأراد به هنا الكلأ الذي يُرعى. وسمّاه غيثاً لأنه مسبب عنه، فهو مجاز مرسل علاقته السببية. فقد أطلق السبب وأراد المسبَّب (الفنا) عنب الثعلب. أو هو شجر ذوحبّ يُتّخذمنه قراريطيوزن بها. ومفرده (فناة) (هبطته) نزلته (تعاور فيه) تداوله. يقال: تعاورته المصائب، إذا تداولته بحيث إذا ذهبت مصيبة حلت به غيرها (الأوطف) السحاب الداني من الأرض المسترخي الذي تدلت ذيوله. ومؤنثه (وطفاء) والجمع (وُطف). ويقال: وطف المطر أي انهمر (الحنَّان) الذي فيه صوت الرعد. وأصله: السهم الذي إذا نقرته بين إصبعيك صوّت. ومن معانيه: ذو الرحمة. ومن يحن إلى الشيء. وهو اسم من اسماء الله الحسنى.

عَلَى هَيْكَـلٍ يُعْطِيـكَ قَبْـلَ سُـؤالِـهِ أفـانينَ جَرْيٍ ، غَيْـرِ كَزٍّ وَلا واني[١]
يُـدَافـعُ أَعْـطَافَ المَـطَايَـا بِـرُكْنِـهِ كَمَا مَالَ غُصْنٌ نَـاعِمٌ بَيْنَ أَغْصَانِ[٢]
وَمَجْـرٍ كَغُـلَّانِ الأُنَيْعِمِ بَـالِـغٍ دِيَـارَ العَـدُوِّ، ذي زُهَـاءٍ وأَرْكَـانِ[٣]
مَـطَوْتُ بِهِمْ حَتَّىٰ تَكِـلَّ مَـطِيُّهُمْ، وَحَتَّىٰ الجِيَـادُ ما يُقَـدْنَ بِـأَرْسَـانِ[٤]

موت امرىء القيس :

فلمَّا صار في بلدة من بلاد الروم تُدعى (أَنْقِرَة) احتُضِرَ بها. فقال :

«ربَّ خُطبةٍ مُحَبَّرةْ، وطعنةٍ مُسْحَنْفِـرةْ[٦]، وجَفنةٍ مُثْعَنْجِـرةْ[٧]، تبقى غداً بأَنْقِرَة».

(١) الهيكل: الضخم «أفانين الشيء» ضروبه وأنواعه «الكـز» المنقبض، والضيق «الوافي» الفاتر. والفعل منه ونى يني.
(٢) الأعطاف: النواحي والجوانب «بركنه» بمنكبه.
(٣) المجر: الجيش الكبير الثقيل السير لكثرته. ومن معانيه: ما في بطون الحوامل من الإبل والغنم. ومن هذا المعنى يقال: أمجرت الشاة، إذا عظم ما في بطنها. من الحمل وهي مهزولة لا تقدر على النهوض و«شاة» مَجرَة مهزولة من عظم ما في بـطنها «الغـلّان» الأودية الغامضة في الأرض الكثيرة الشجر، ومفردها (غالٌ وغليـل). «الأنيعم» مصغَّر الأنعم وهو جبل ببطن عاقل بين المدينة واليمامة «الزهاء» الكثرة «أركان الشيء» نواحيه التي تطيف به. وقد شبه التفاف الجيش واشتباك الرماح فيه وارتفاعها بواد كثير الشجر.
(٤) مطوت بهم: مددت بهم في السير وأسرعت. «المطي» الجمال، مفردها «مطيّة» «الجياد» الخيل (ما يقدن بأرسان) أي أنها أعيت وتعبت فلا تحتاج إلى أن تقاد بالأرسان.
(٥) أي محسَّنة مزيَّنة. ومن غير هذا المعنى يقال: حُبِّر الرجل فهو محبّر أي قرصت البراغيث جلده وبقي فيه أثر.
(٦) أي واسعة.
(٧) الجفنة: القصعة الكبيرة. يقال (أعـظم القِصاع الجفنـة، ثم القصعة وهي التي تشبـع العشرة، ثم الصفحة وهي التي تشبع الخمسة) «مثعنجرة» ممتلئة. وأصل معنى المثعنجر هو المنصبُّ، وفعله اثعنجر بمعنى انصبَّ.

قالوا: ورأى امرؤ القيس قبرَ امرأة من بنات الملوك ماتت هناك، فدُفنت في سفح جبل يقال له (عسيب). فسأل عنها فأخبر بقصتها. فقال:

أجارَتَنا، إنَّ الخُطوبَ تَنُوبُ؛ وإنّي مُقِيمٌ ما أَقَامَ عَسِيبُ[1]
أجارَتَنا؛ إنَّا غَرِيبانِ هَهُنا، وكُلُّ غَرِيبٍ لِلْغَرِيبِ نَسِيبُ

وهذا آخر شيء تكلم به. ثم مات، فدُفن إلى جنب المرأة. فقبره هناك.

مما يؤثر عنه قبل وفاته بسفح جبل (عسيب) قوله:

أَلَا أَبْلِغْ بَنِي حُجُرِ بْنِ عَمْرٍو؛ وأَبْلِغْ ذَلِكَ الحَيَّ الحَدِيدَا[2]
بِأَنِّي قَدْ هَلَكْتُ بِأَرْضِ قَوْمٍ، سَحيقاً مِنْ دِيَارِكُمْ بَعِيدَا[3]

الكلام على شعره:

كان امرؤ القيس فصيح الألفاظ، جيد السبك، كثير المعاني، مقدَّماً على شعراء الجاهلية. وهو أول من سبق إلى أشياء ابتدعها، فاستحسنتها العرب، واتبعته عليها الشعراء. وذلك كتلطيفه المعاني، ورقَّة النسيب، وقرب المأخذ، واستيقاف الأطلال، ووصف النساء بالظباء[4] والمها[5]،

---

(١) تنوب: تُصيب. من نابه الأمر، بمعنى أصابه.
(٢) الحديد: القوي.
(٣) سحيقاً: بعيداً. والفعل منه سَحِقَ يَسحَق.
(٤) الظباء جمع ظبي: وهو الغزال، ومؤنثه ومذكره سواء. وقيل الأنثى ظبية، ويجمع أيضاً على أظب وظبيات وظُبي.
(٥) المها: جمع مهاة وهي البقرة الوحشية. وتشبه بها المرأة في سمنها وجمالها وحسن عينيها. وتجمع أيضاً على مَهَوات ومَهيات.

وتشبيه الخيل بالعِقبان[1]، والتفريق بين النسيب[2] وما سواه في القصيدة، وإحكام التشبيه، وتجويد الاستعارة. وقد شهد له بذلك كثير من الشعراء كلبيد وغيره.

وروى (الجُمحي) أن سائلاً سأل (الفرزدق): من أشعرُ الناس؟. قال: ذو القروح حيث يقول:

وَقَاهُمْ جَدُّهُمْ بِبَنِي أبِيهِمْ، وبِالأَشْقَيْنَ مَا كَانَ العِقَابُ[3]

ومَرَّ (لبيد) بالكوفة في بني (نهد) فسألوه: من أشعر الناس؟. قال: «الملك الضَّليل» (يعني امرأ القيس). قيل: ثم من؟. قال: «الغلام القتيل» (يعني طَرَفَة بن العبد). قيل «ثم من؟»: قال: «الشيخ أبو عقيلٍ الجليل» (يعني نفسه).

وكان (امرؤ القيس) مُقلاًّ من الشعر، كثير المعاني والتصرُّف. ولا يصح له إلا عشرون شعراً ونيِّف[4] بين طويل وقطعة.

---

(١) العِقبان،بكسر العين: طيور من الجوارح أشد من النسر، ومفردها عُقاب بضم العين. وقد قيل: العُقاب سيد الطيور والنسر عريفها. ويجمع أيضاً على أعقب وتجمع العِقبان على عقابين.

(٢) النسيب: ذكر محاسن النساء في الشعر. والفعل منه نَسب يَنسبُ، والمضارع بوزن يضرب وينصُرُ. ومثل النسيب في المعنى التشبيب والتشبُّب. والفعل منهما شبَّب وتشبَّب. وأما (الغزل) فهو محادثة النساء واللهو معهنَّ والفعل منه غَزِل يغزَل، من باب علم. وكثير من الناس لا يفرق بين الغزل والنسيب ظاناً أنهما واحد.

(٣) الجد بفتح الجيم. هو الحظ. وقد تقدم تفسيره.

(٤) النيِّف بفتح النون وتشديد الياء المكسورة ويجوز تخفيفها: معناه الزيادة. ويستعمل بعد العدد، فيقال: عشرة ونيف ومن الخطأ استعماله قبله، فلا يقال: «نيف وعشرة» كما هو الشائع على الألسنة وأقلام الكتاب.

وسأل العباس بن عبد المطلب عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهما ـ عن الشعراء. فقال: «امرؤ القيس سابقهم: خسف لهم عينَ الشعر[1]، فافتقرَ عَن معانٍ عُورٍ أصحَّ بصر»[2].

وامرؤ القيس يماني النسب، نزاري الدار والمنشأ. وفضله (عليٌّ) ـ رضي الله عنه ـ بأن قال: «رأيته أحسنهم نادرة، وأسبقهم بادرة، وإنه لم يقل لرغبة أو رهبة».

وكان كثير الإجادة في وصف الفرس حتى لا تكاد تجد قصيدة من قصائده تخلو من وصفه. ومن أحسن ما وصفه به قوله:

وَقَدْ أَغْتَدَي، والطَّيْرُ فِي وَكَنَاتِهَا بِمُنْجَرِدٍ، قَيْدِ الأَوَابِدِ، هَيْكَلِ[3]
مِكَرٍّ، مِفَرٍّ، مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعَاً، كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ
لَهُ أَيْطَلاَ ظَبْيٍ، وَسَاقَا نَعَامَةٍ، وَإِرْخَاءُ سِرْحَانٍ، وَتَقْرِيبُ تَتْفُلِ

فقوله: «قيد الأوابد» في البيت الأول هو من الألفاظ الشريفة البالغة نهاية الحسن. وعنى بذلك أنه إذا أُرسل فرسه على الصيد صار قيداً له وكان الصيد بحالة المقيَّد، وذلك من شدة عدو هذا الفرس. وقد اقتدى به الناس واتَّبعه الشعراء، فقيل: «قَيْدَ النواظر» و «قيد

(١) أي فجرها بحيث لا تنقطع. يقال: خسف فلان البئر أي حفرها في صخر فنبعت بماء كثير لا ينقطع. و «الخسيف والخَسوف» البئر التي تحفر في صخر فلا ينقطع ماؤها لكثرته. والجمع «خُسُف» والمعنى أنه هو الذي أرشدهم باختراعه وحسن أسلوبه إلى تجويد الشعر معنًى ولفظاً.

(٢) افتقر: فتح وفتق ومنه «الفقير» وهو فم القناة (عور) جمع أعور. يريد بهذه العبارة «ان امرأ القيس من اليمن وإن أهل اليمن ليست لهم فصاحة نزار فكأن ألفاظهم ومعانيهم عُور، فجاء امرؤ القيس ففتق عن هذه المعاني العُور أصح بصر.

(٣) سيأتي شرح هذه الأبيات في معلقته.

الألحـاظ» و«قيد الكـلام» و«قيد الحـديث» و«قيد الـرّهان». وذكـر الاصمعي وأبو عبيدة أنه أحسن في هذه اللفظة، وأنه اتُّبـع فيها فلم يلحق. وذكرها أهل البيان في باب (التشبيه البليغ). وجعلها بعضهم من باب (الارداف) وهو أن يريد الشاعر دلالـة على معنى فلا يـأتي باللفظ الدال على ذلك المعنى، بل بلفظٍ تابع له ورِدْفٌ. وذلك هو الكناية. قالوا: ومنه قوله أيضاً:

وَيُضحي فَتيتُ المِسْكِ فَوْقَ فِرَاشِهَا، نَؤُومُ الضُّحى، لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفَضُّلِ [1]

أَرَاد بقوله: «نؤوم الضحى» أنها مترفِّهة، عندها من يقضي لها حاجات بيتها: فلا تحتاج إلى النهوض ضحًى. ومنه قول الآخر:

بَعيـدَةُ مَهْوَى القُـرْطِ. إمَّا لِنَـوْفَـلٍ أَبُوها، وَإِمَّا عَبْدِ شَمْسٍ وَهَاشِمِ [2]

أَرَادَ أَن يصف طول جيدها[3] فأتى بردفه.

وقوله) «له أيطلا ظبي» في البيت الثالث هو من التشبيه البديع، وذلك أنه شبه أربعة أشياء بأربعة أشياء، أحسن فيها ما شاء.

وقد امتاز امرؤ القيس عن شعراء الجـاهلية ـ إلا أقلَّهم ـ بـرقَّة الألفاظ وحسن التشبيه ورقَّتـه. قال (بشَّـار بن بُرْدٍ): لـم أزل أجهـد الخيال منذ سمعت قوله:

---

(١) لم تنتطق: لم تلبس النطاق وهو يُشَدّ به الوسط «التفضّل» أن تلبس المرأة ثوب مهنتها. و(عن) في قوله: عن تفضّله، بمعنى لام التعليل. والمعنى أنها لم تلبس النطاق بسبب ثوب المهنة، لأنها في غنى عمّا يلبس للمهنة، وذلك أن عندها من يكفيها العمل في بيتها.

(٢) مهوى القرط أراد به العنق. و«القرط» هو ما يلبس في الأذن.

(٣) الجيد: العنق.

كَـأَنَّ قُلُوبَ الـطَّيْـرِ رَطْبـاً وَيَـابِسـاً
ـ لَدَى وَكْرِهَا ـ العُنَّابُ وَالحَشَفُ البالي[1]

حتى قلت:

كَـأَنَّ مُثارَ النَّقْـعِ ـ فَـوْقَ رُؤُوسِنَـا ـ وَأَسْيَـافَنَـا لَيْـلٌ تَهَـاوَى كَـوَاكِبُـهْ[2]

وفي بَيْتي امرىء القيس وبشار تشبيه شيئين بشيئين. غير أن امرأ القيس قد سبق إلى صحة التقسيم في التشبيه، ولم يتمكن بشار إلا من تشبيه إحدى الجملتين بالأخرى، دون صحة التقسيم والتفصيل.

ومما استُحسن من تشبيهه قوله:

كَـأَنِّي غَـدَاةَ البَيْنِ حِينَ تَـرَحَّلوا ـ لَدَى سَمُرَاتِ الحَيِّ ـ نَاقِفُ حَنْظَلِ[3]

وقوله:

كَأَنَّ عُيُونَ الـوَحْشِ ـ حَوْلَ خِبَـائِنا وَأَرْحُلِنا ـ الجَزْعُ الَّـذي لَمْ يُثَقَّبِ[4]

وقوله في وصف اللَّيل:

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ البَحْـرِ أَرْخَىٰ سُدُولَـهُ عَلَيَّ بِـأَنْـوَاعِ الهُمُـومِ لِيَبْتَلِي[5]

---

(١) تقدم تفسيره في حاشية الصفحة (٧٥).
(٢) النقع والنقعاء الغبار «المثار» اسم مفعول من أثار الغبار إذا هيجه وأطاره.
(٣) سيأتي تفسيره في معلقته.
(٤) الخِباء: خيمة تكون على عمودين أو ثلاثة «الأرحل» جمع «رحل» وهو المركب الذي يوضع على البعير. ويجمع أيضاً على رحال «الجَزع» الخرز اليماني والصيني، وهو الذي فيه سواد وبياض، وتشبَّه به الأعين «ثُقَب الشيء يثقُبه» من باب نصر و (ثقَّبه يثقبه) أي خرقه بالمِثقب وهو أداة يخرق بها.
(٥) سيأتي تفسير هذه الأبيات في معلقته.

فَقُلْتُ لَـهُ لَمَّـا تَمَطَّى بِصُلْبِـهِ، وَأَرْدَفَ أَعْجَـازاً، وَنَـاءَ بِكَلْكَـلِ :
أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الـطَّوِيلُ، أَلَا انْجَـلِ بِصُبْحٍ . وَمَا الأَصْبَاحُ مِنْكَ بِـأَمْثَلِ

وَكَان بعضهم يعارض هذا بقول النابغة:

كِلِينِي لِهَمٍّ ـ يَـا أُمَيْمَـةُ ـ نَـاصِبٍ وَلَيْلٍ أُقَاسِيـهِ، بَطِيءِ الكَـوَاكِبِ[1]
وَصَـدْرٍ أَرَاحَ اللَّيْـلُ عَـازِب هَمِّـهِ، تَضَاعَفَ فِيهِ الحُزْنُ مِنْ كُلِّ جَـانِبِ
تَقَاعَسَ، حَتَّى قُلْتُ: لَيْسَ بِمُنْقَضٍ ، وَلَيْسَ الَّـذِي يَـرْعَى النُّجُومَ بِـآيِبِ

وقد جرى ذلك بين يَدَيْ بعض الخلفاء، فَقُدِّمت أبيات امرىء القيس، واستحسنت استعارتها: فقد جعل لليل صدراً يثقـل تَنَحّيه، ويبطيءُ تَقَضِّيه. وجعل له أردافاً كثيرة. وجعل له صلباً يمتدُّ ويتطاول. ورأوا هذا بخلاف ما يستعيره أبو تمَّام من الاستعارات الوحشية البعيدة المستنكرة. ورأوا أنَّ الألفاظ جميلة.

وقد طرق كثيراً من المعاني فأجاد، حتى عُدَّ من فحول الطبقة الأولى. فأحسنُ مطالع الجاهليين مطالعهُ، وأجـودُ التشابيـه تشبيهه، وأحسنُ الغزل غزله. ومما بلغ حدَّ النهاية في الرقَّة واللطف قوله:

أَفَـاطِمَ، مَهْـلاً بَعْضَ هَـذَا التَّـدَلُّـلِ وَإِنْ كُنْتِ قَدْ أَزْمَعْتِ صَرْمِي فَأَجْمِلِي[2]
أَغَــرَّكِ مِنِّي أَنَّ حُبَّــكِ قَــاتِلِي، وَأَنَّـكِ مَهْمَا تَـأْمُرِي القَلْبَ يَفْعَـلِ
وَمَــا ذَرَفَتْ عَيْنَــاكِ إِلَّا لِتَـضْــرِبِي بِسَهْمَيْـكِ فِي أَعْشَـارِ قَلْبٍ مُقَتَّــلِ

وله أبيات كثيرة جرت مجرى المثل. منها قوله:

---

(١) سيأتي تفسير هذه الأبيات في ترجمته.
(٢) سيأتي شرح هذه الأبيات في معلقته.

وَقَــدْ طَــوَّفْتُ فِي الآفَــاقِ، حَتَّىٰ رَضِيتُ مِنَ الغَنِيمَــةِ بِــالإِيَــابِ[1]

وقوله:

إِذَاالمَـرْءُ لَمْ يَخْـزُنْ عَلَيْـهِ لِسَـانَــهُ فَـلَيْسَ عَلَى شَـيْءٍ سِـوَاهُ بِخَــزَّانِ

وكان واسع الخيال، يجيد الوصف يدلّك على ذلك قوله:

دِيـمَــةٌ هَــطْلاءُ ـ فِيــهَــا وَطَـفٌ طَبَّقَ الأَرْضَ ـ تَـحَــرَّى وَتُــدِرّْ[2]
وَتَــرَىٰ الضَّبَّ خَفِيفــاً مَــاهِــراً، ثَــانِيــاً بُــرْثُنَــهُ مَــا يَـنْـعَـفِــرْ[3]
وَتَــرَىٰ الـشَّـجْــرَاءَ فِي رَيِّـقِـهَــا كَـرُؤُوسٍ قُطِّعَتْ، فِيهَـا الخُمُـرْ[4]

(١) طوِّف يطوِّف تطويفاً وتَطوافاً: أكثر من الطواف (الإياب) الرجوع وفعله (آب يؤوب).

(٢) الديمة: مطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق. وقيل المطر الذي يدوم يوماً وليلة «الوطف» ذيول دانية من الأرض. وأصل معنى الوطف كثرة شعر الحاجبين. وقد شُبهت الغمامة ذات الذيول به ويقال «رجل أوطف» إذا كان كثير شعر العينين والأذنين «طبق الأرض» أي عمها «تحَرَّى» الأصل تتحرى بمعنى تعتمد وتقصد ما هو الأولى والأحرى بالإصابة. أو بمعنى تصيب حراهم. و (الحرا) معناه الناحية والساحة (تدر) تصب بكثرة.

(٣) الضبّ: حيوان، ويقال: هو من أمهر الحيوان في السباحة. وله ذنب كثير العقد، وفي المثل: «أعقد من ذنب الضب» للأمر الكثير المشكلات. ومن أمثالهم فيه: أضل من ضب، وأحير من ضب. قيل: لأنه إذا فارق جحره تحيَّر فلم يهتد إليه. وقولهم: أحيل من ضب، واجبن من ضب. «ماهراً» أراد أنه ماهر بالسباحة (ثانياً) قابضاً لاوياً (البرثن) من السباع والطير بمنزلة الاصبع من الإنسان. وجمعه براثن (ما ينعفر) ما يصيب العفر وهو التراب. وذلك أن عظم السيل قد أربى الماء على وجه الأرض فلا يصل برثنه إلى التراب وهو يسبح.

(٤) الشجراء للواحد والجمع على رأي سيبويه. وقال غيره هي جمع شجرة «ريقها» أولها، والضمير يعود إلى الديمة. والريق ـ بتشديد الياء المكسورة ـ في غير هذا المقام معناه: من كان على الريق بحيث لم يتناول طعاماً ولا شراباً (الخمر) جمع خمار والمراد بالخمر هنا العمائم. وأصل معنى الخمار ما تغطي به المرأة رأسها. وكل ما ستر شيئاً فهوخمار ومعنى البيت أن السيل قد فاض حتى بلغ أعالي الشجر. فلما تناقص ظهرت رؤوسها وعليها ما تركه السيل من الغثاء (وهو على وجه السيل من فتات الأشجار وأوراقها ونحو ذلك) فكانت رؤوسها كرؤوس رجال مقطعة وعليها العمائم.

ســاعَــةً، ثُمَّ انْتَحَــاهَــا وَابِــلٌ، ســاقِطُ الأكْنَـافِ، واهٍ، مُنْهَمِــرْ[١]
رَاحَ تَمْـرِيــهِ الصَّبــا. ثُمَّ انْتَحَى فِيــهِ شُؤْبـوب جَنُــوبٍ مُنْفَجِــرْ[٢]
ثَــجَّ، حَــتَّى ضَــاقَ عَــنْ آذِيِّــهِ عَــرْضُ خِيْمٍ فَخُفَـافٍ فَيُسُــرْ[٣]
قَــدْ غَــدَا يَـحْمِلُني فِي أَنْفِــهِ لاحِقُ الاطْلَيْنِ مَحْبُــوكٌ مُمَــرّ[٤]

ومن ذلك وصفه زيارة حبيبته خلسة بحيث لا يشعر بـه أحد. قال:

سَمَـوْتُ إِلَيْهَـا بَعْـدَ مَـا نَـامَ أَهْلُهَـا سُمُوَّ حَبَابِ المَاءِ،حَالاً عَلَى حَالِ[٥]

وله من أمثال ما قدمناه كثير من الشعر. وسترى كثيـراً منه في معلقته. وإنا نختم هذا الفصل بشيء من قصيدة له أبدع فيها ما شاءت شاعريته. قال:

---

(١) ساعة: أي أصابتها ساعة من الزمن. (انتحاها) اعتمدها وقصدها فأصابها (الوابل) أشد المطر وعنه يكون السيل (الأكناف) النواحي، وكنف كل شيء ناحيته (واه) متشقق. ومنه (وهي الثوب يهي) إذا تخرَّق وتشقق «ومنهمر» منصب بشدة وكثرة.

(٢) راح عاد في وقت الرواح وهو آخر النهار، كأن المطر كان أول النهار ثم عاد في آخره (تمريه) تستدره، يقال: «مرى ضرع الشاة» أي مسحه بيده ليدر (الصبا) ريح مهبها من مطلع الثريَّا إلى بنات نعش، وهي مؤنثه، ومثناها «صبوان وصبيان» وجمعها «صبوات وأصباء». ويقابل هذه الريح ريح تسمى «الدَّبور» بفتح الدال (الشؤبوب) الدفعة الشديدة من المطر والجمع شآبيب. أراد أن الصبا كانت أول ما أنشأت السحاب وأنزلته، ثم اعتمدتها ريح الجنوب فانهمرت شآبيبها. وريح الجنوب عندهم من أندى الرياح وأغزرها مطراً.

(٣) ثجَّ: صبَّ بكثرة (الأذي) الموج، وجمعه الأواذي (خيم وخفاف ويسر) اسماء مواضع.

(٤) أنف الشيء: أوله (لاحق) ضامر (الأطلان) الخاصرتان (المحبوك) الشديد المدمج الخلق (ممر) أراد أنه مفتول الأعضاء، يقال: «أمرَّ الحبل» إذا فتله فتلاً شديداً محكماً. وهذه الصفات هي لحصانه.

(٥) تقدم تفسيره في حاشية الصفحة (٧٤).

أَحَـارُ بْنَ عَمْـرٍو، كَـأَنِّي خَمِـرْ، وَيَعْـدُو عَلَى المَـرْءِ مَـا يَـأْتَمِـرْ[1]
فَـلَا - وَأَبِيـكِ ابْنَـةَ العَـامِـرِيِّ - لَا يَـدَّعِـي الـقَـوْمُ أَنِّـي أَفِـرّْ
تَـمِيـمُ بْـنُ مُـرٍّ وَأَشْـيَـاعُـهَـا، وَكِنْـدَةُ حَـوْلِي جَمِيعـاً صُبُـرْ[2]
إذا رَكِبُـوا الخَيْـلَ واسْتَـلْأَمُـوا تَحَـرَّقَتِ الأَرْضُ، وَاليَـوْمُ قَـرّْ[3]

ومنها:

رَمَـتْنِـي بِسَـهْمٍ أَصَـابَ الـفُـؤَادَ غَـدَاةَ الـرَّحِيـلِ، فَلَمْ أَنْـتَصِـرْ
فَـأَسْبَـلَ دَمْعِي كَفَضِّ الـجُمَـانِ أَوِ الـدُّرِّ رَقْـرَاقُـهُ الـمُنْحَـدِرْ[4]

---

(١) أحار: الهمزة للنداء و(حار) منادى مرخم بحذف آخره والأصل (أحارث) ولك في المنادى المرخم أن تبقي آخره على ما كان عليه من الحركة قبل الترخيم وأن تضمه للبناء على الضم (الخمر) من خامره داء أو وجع، أو هو من أصابه (الخُمار) بضم الخاء وهو صداع الخمرة وأذاها (يعدو على المرء) أي يصيبه وينزل به (يأتمر) يهم به ويعزم عليه، يقال: «امرته فأتمر» أي عزم أن يفعل ما أمرته به، والمعنى أن المرء إذا ائتمر أمراً غير رشيد وعزم عليه عاد عليه فأهلكه. - فائدة -: يقال: (عزم الشيء وعزم عليه) يتعدى بنفسه وبحرف الجر.

(٢) صبر: جمع «صبور» ويخطىء من يجمع «صبوراً» وأمثاله بالواو والنون أو الياء والنون - جمع المذكر السالم - لأن الصفات التي يستوي فيها المذكر والمؤنث لا تجمع هذا الجمع، فمثل «صبور وغيور وكفور وأكول وقتيل وجريح» ونحوهما لا يقال في جمعها: صبورون وغيورون وقتيلون. يقال: غُيُر وكُفر وأكُل وقتلى وجرحى: فليتنبه لذلك كثير من كتاب هذا العصر خصوصاً بعض كتبة الجرائد. كما أنه لا يجوز أن يلحق مثل هذه الصفات تاء التأنيث بل يكون مؤنثها كمذكرها بلا تاء. يقال: (امرأة صبور وجريح) الخ. واعراب تميم على أنه بدل من القوم. والمعنى (لا يدعي القوم من تميم واشياعها أني افر والحال أن كندة حولي جميعاً صابرون على مصادمة الأهوال).

(٣) استلأموا: لبسوا اللأمة وهي الدرع «قرّ» بفتح القاف أي بارد شديد البرودة. والقُر بالضم معناه البرد الشديد. يقال: «قرَّ يومنا يقر» من باب ضرب أي برد. و«قرَّ القدر» أي صب فيها ماء بارداً. وقرّ فلان بالمجهول أي اصابه القر. ورجل مقرور أصابه البرد.

(٤) اسبل: سال «كفض الجمان» أي كتفرق الجمان وهو اللؤلؤ الصغار «رقراق الدمع» هو الذي يترقرق أي يتحرك في العين قبل أن يسيل، ورفع رقراقه على أنه بدل من الدمع، =

فَبِتُّ أُكَـابِـدُ لَيْـلَ التِّـمـامِ ـ وَالقَلْبُ مِنْ خَشْيَـةٍ مُقْشَعِـرّْ[1]
فَـلَمَّـا دَنَـوْتُ تَسَـدَّيْـتُهَـا، فَثَـوْبـاً لَبِسْتُ، وَثَـوْبـاً أَجُـرّْ[2]
وَلَـمْ يَـرَنَـا كَـالِيءٌ كَـاشِـحٌ، وَلَمْ يُفْشَ مِنَّـا لَـدَى البَيْتِ سِـرّْ[3]

ومنها في وصف فرسه:

لَـهَـا غُـدُرٌ كَـقُـرُونِ الـنِّسَـاءِ رُكِّبْنَ فِي يَـوْمِ رِيـحٍ وَصِـرّْ[4]
لَـهَـا جَبْـهَـةٌ كَسَـرَاةِ الـمِجَـنِّ ـ حَـذَّقَـهُ الصَّـانِـعُ المُـقْتَـدِرْ[5]
لَهَـا مِنْخَـرٌ كَـوِجَـارِ السِّبَـاعِ، فَـمِـنْـهُ تُـرِيـحُ إذَا تَـنْبَـهِـرْ[6]

= أي «أن رقراق دمعي المنحدر المتساقط يشبه حبات عقد اللؤلؤ الذي انقطع نظامه فتفرق».

(١) أكابد: أقاسي «ليل التمام» هو ما كان من اثنتي عشرة ساعة إلى خمس عشرة «مقشعر» واجل خائف من أهلها، فكأنه اصابته قشعريرة وهي ما تقشعر منه الأبدان وترتعد.

(٢) دنوت: قربت «تسديتها» أي تناولتها وأخذتها يقال: تسدى الشيءَ أي علاه وركبه وأخذه من فوقه «ثوباً» مفعول مقدم للفعل بعده في الموضعين. والمعنى أن له ثوبين قد لبس أحدهما وجر الآخر حتى يمحو آثارهما كيلا يهتدي اليهما أحد. ويروى فثوباً نسيت والمعنى أنه لفرط اشتغاله ولهوه معها نسي أحد ثوبيه.

(٣) الكالىء: الرقيب والحافظ. يقال: كلأك الله بعين عنايته أي حفظك. «الكاشح» الموّلي عنك بوده والمراد به العدو.

(٤) الغدر فسرها الوزير «أبو بكر عاصم بن ايوب» بالشعرات التي تكون قدام القربوس. فهي الشعر الذي عند منتهى عرف الدابة مما يلي القربوس. والقربوس مقدم سرج الدابة «القرون» الذوائب «الصرة»: شدة البرد. أو الريح الباردة. أراد أن شعر عرفها منتشر، وضرب لذلك مثلاً ضفائر النساء في يوم بارد شديد الريح فإن شعرها يكون منتشراً غير مُسوّى.

(٥) السراة: الظهر «المجن» الترس «حذقه» أتقنه وسواه تسوية حسنة.

(٦) الوجار: جحر الضبع وغيرها. والضبع مؤنثة ومذكرها ضبعان بكسر الضاد وسكون الباء «تريح» تتنفس «تنبهر» ينقطع نفسها من التعب والاعياء.

إذا أَقْبَلَتْ قُلْتَ دَبَّاءَةٌ مِنَ الخُضْرِ، مَغْمُوسَةٌ فِي الغُدُرْ[1]
وَإِنْ أَدْبَرَتْ قُلْتَ أُثْفِيَّةٌ مُلَمْلَمَةٌ، لَيْسَ فِيهَا أُثُرْ[2]
وإِنْ أَعْرَضَتْ قُلْتَ سُرْعُوفَةٌ، لَهَا ذَنَبٌ خَلْفَهَا مُسْبَطِرْ[3]
لَهَا وَثَبَاتٌ كَصَوْبِ السَّحَابِ: فَوَادٍ خَطِيطٌ، وَوَادٍ مَطِرْ[4]

معلقته وسبب نظمها:

أَمَا معلقته فهي أَحسن شعره بلا ريب. وقد ذكروا أن سبب نظمها واقعته مع معشوقته بنت عمه (عُنَيْزة) بنت (شُرَحْبيل). وكان قد مُنع من الاجتماع بها على عادة العرب من عدم تمكين العاشق من الاجتماع بمن يعشق وعدم تزويجه بها. وقد كان (امرؤ القيس) يتحيَّن الفرص لملاقاتها. وقد اتفق أن لاحت له فرصة. وذلك أنَّ الحيَّ قد ظعنوا (وكان من عاداتهم إذا ظعنوا أن الرجال تمشي أول ثم النساء) فتخلَّف (امرؤ القيس) عن الرجال، وتربَّص يترقَّب النساء. فلما ظعنَّ مشى خلفهنَّ بحيث لا يشعرن

(١) الدباءة: واحدة الدباء وهو القرع، يريد أنها منطوية ملساء أولها طويل رقيق وآخرها غليظ. وذلك صفة مستحبة في أنثى الخيل «الغدر» جمع غدير ويجمع أيضاً على غدران. والغدير القطعة من الماء يغادرها السيل. يريد بذلك أنها مرتوية ليست بذابلة، لا أنها مغموسة حقيقة في الماء كما تقول: فلان مغموس بالخير.

(٢) الأثفية: الصخرة المدورة، وجحر يوضع عليه القدر، والجمع أثافيّ بتشديد الياء. شبه استدارة مؤخرها وعظمه بالصخرة المدورة الملساء. «ململمة» مجتمعة «الأثر» أثر الجرح يبقى بعد البرء وجمعه آثار وأثؤر بضم همزة الثاني. وأصل «الأثر» بسكون الثاء وضمها هنا للضرورة.

(٣) أعرضت أخذت عرضاً «السرعوفة» الجرادة، والمرأة الطويلة الناعمة. يريد أنها إذا ذهبت عرضاً فإن لك طولها وشكلها فهي كالمرأة الطويلة الناعمة «مسبطر» طويل ممتد.

(٤) الصوب: المطر «خطيط» غير ممطور والخطيطة: الأرض التي لم تُمطر بين أرضين ممطورتين «مطر» ذو مطر. يريد أن فرسه واسعة الخطو تصيب حوافرها موضعها ولا تصيب غيره. وقد شبه ما بين خطواتها بواد غير ممطور وموضع حوافرها بواد ممطور.

به. وكان في الطريق غدير، وهو غدير (دارةُ جُلْجُل) في منازل (كندة) بنجد. فسبقهنَّ إليه. فلما وصلن إلى الغدير نزعنَ ثيابهنَّ ونزلن إلى الماء - وكان فيهن عنيزة - فبرز (امرؤ القيس) من مكمنه، وجمع ثيابهنَّ وجلس عليها. فلما شعرن بمكيدته تلطَّفن في المقال، وضرعنَ إليه أن يعطيهنَّ الثياب، فآلى أن لا يعطي واحدة منهنَّ ثوبها حتى تخرج إليه عارية فتأخذه. فخرجن إليه إلا (عُنيزة) معشوقته. وأقسمتْ عليه أن يعدل عن شرطه؛ فأبى. وما زال بها حتى خرجت. فدفع إليها ثوبها فلبسته.

ثم اجتمع عليه النساء وأنَّبنه على فِعلته الشنعاء. ثم عقر لهنَّ ناقته وأطعمهنَّ من لحمها حتى شبعن. وكان معه ركوة خمر فسقاهن.

ثم حمل أمتعته وكور ناقته على رواحلهنَّ. وفي ذلك يقول في معلَّقته:

أَلا رُبَّ يَوْمٍ لَكَ مِنْهُنَّ صالحٍ ، وَلاَ سِيَّما يَوْمٍ بِدَارَةِ جُلْجُلِ
وَيَوْمَ عَقَرْتُ لِلْعَذَارَى مَطِيَّتي ، فَواعَجَباً مِنْ كُورِها المُتَحَمَّلِ ![1]
فَظَلَّ العَذَارى يَرتَمينَ بِلَحْمِهَا وَشَحْمٍ كَهُدَّابِ الدِّمَقْسِ المُفَتَّلِ [2]

ثمَّ أنه طلب من (عُنيزة) أن تحمله على راحلتها، فأبت. فضرع

---

(١) عقرت: نحرت وذبحت «العذارى» جمع عذراء وهي البكر «فواعجباً» تعظيم لهذا الحادث وهو عقر ناقته، وذلك أن العرب إذا أرادت أن تعظم أمراً قالت: يا عجباً؛ والمعنى أنه يعجب من سفهه في نحره ناقته وتقسيم النساء أداة رحله. (الكور) الرحل وهو ما يوضع على البعير.

(٢) ظل فلان يفعل كذا: إذا فعله نهاراً. وبات يفعل كذاإذا فعله ليلاً «هدَّاب الثوب وهُدبه وهُدبته» الخيوط التي تبقى في طرفيه. ومن معاني «الهدَّاب» الرجل الغبي الثقيل، كأنه أطراف الثوب المرخاة.

إليها وساعدتهُ صواحبها، فحملته على مُقدَّم هودجها. فجعل يدخل رأسه في الهودج ويغازلها ويُقبّلها. وفي ذلك يقول في معلَّقته:

وَيَـوْمَ دَخَلْتُ الخِدْرَ: خِـدْرَ عُنَيْـزَةٍ، فَقَالَتْ: لَكَ الوَيْلَاتُ، إِنَّكَ مُرْجِلِي[1]

تَقُـولُ ـ وَقَدْ مَـالَ الغَبِيطُ بِنَـا مَعـاً ـ: عَقَرْتَ بعيري يا امْرأَ القَيْسِ. فَانْزِلِ ـ

فَقُلْتُ لَهَا: سِيري، وَأَرْخي زِمَامَهُ، وَلَا تَحْـرِمِينِي مِنْ جَنَـاكِ المُعَلَّلِ

* * * * * *

(١) سيأتي تفسير هذه الأبيات في معلقته.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

نخبة من معلقته

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ   بِسِقْطِ اللِّوى، بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ (١)
فَتُوضِح فَالمِقْرَاةِ، لَمْ يَعْفُ رَسْمُهَا،   لِما نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمْأَلِ (٢)
كَأَنِّي غَدَاةَ البَيْنِ حِينَ تَرَحَّلُوا   ـ لَدَى سَمُرَاتِ الحَيِّ ـ نَاقِفُ حَنْظَلِ (٣)

---

(١) قفا، قال الفراء: إن العرب تخاطب الواحد والجماعة مخاطبة الاثنين، فتقول للرجل: قوما عني. وأنشد على ذلك:

فإن تزجراني يا ابن عفان انزجر،   وإن تتركاني أحم عرضاً ممنّعاً

ويُروى ذلك عنهم، لأن أقل أعوان الرجل في أهله اثنان، وكذلك الرفقة أدنى ما تكون ثلاثة فيجري كلام الرجل على صاحبيه. وقيل: إنه يخاطب صاحبيه حقيقة. «الذكرى» التذكر «سقط اللوى» مكان وأصل معنى «السقط» منقطع الرمل حيث يسترق طرفه. وما يتساقط من الندى. والولد قبل تمام الحمل يسقط حياً أو ميتاً على شرط أن يكون مستبين الخلقة. ويجوز في سينه الضم والفتح والكسر. وأصل معنى «اللوى» ما التوى من الرمل وتقوّس. يقال: ألوى إذا أتى اللوى، كما يقال: أشأم إذا أتى الشام، وأنجد واتهم إذا أتى نجداً وتهامة. «الدخول وحومل» موضعان.

(٢) توضح والمقراة: موضعان لم يعفُ لم يندرس ولم ينمح «الرسم» ما لصق بالأرض من آثار الديار كالرماد وغيره «النسج» معلوم. وأراد بالنسج هنا اختلاف مَهابّ الرياح كما تختلف كبَّة النساج على الثوب ذهاباً وإياباً. وفاعل نسجت يجوز أن يكون ضميراً «عائداً إلى الريح المعلومة من القرينة والمفسرة بالجنوب والشمال». ويجوز أن يعود على «ما» باعتبار أنها مؤنثة معنى، كما تقول: إن ما حملْتَه على هذا هي شراهته.

(٣) غداة: صبيحة «البين» الفراق «تحملوا» حملوا رحالهم عن إبلهم وارتحلوا «سمرات» =

وُقـوفـاً بِهَـا صَحْبِي عَلَيَّ مَـطِيَّهُمْ، يَقُولُونَ: لَا تَهْلِكْ أَسَىً وَتَجَمَّـلِ[1]
وإِنَّ شِـفَـائـي عَـبْـرَةٌ مُـهْـرَاقَـةٌ فَهَلْ عِنْدَ رَسْمٍ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلِ؟[2]
كَـدَأْبِـكَ مِنْ أُمِّ الحُـوَيْـرِثِ قَلْبَهَـا وَجَـارَتِهَا أُمِّ الـرَّبَابِ، بِمَـأْسَـلِ[3]
إِذَا قَـامَتَـا تَضَـوَّعَ المِسْـكُ مِنْهُمَـا نَسِيمَ الصَّبا جَاءَتْ بِرَيَّا القَـرَنْفُلِ[4]

= جمع «سَمُرة» وهي شجرة أم غيلان، تكون عظيمة ولها شوك «ناقف» اسم فاعل من نقف الحنظل وغيره إذا شقّه ليستخرج ما فيه «الحنظل» نبتٌ يمتدّ على الأرض كالبطيخ واسم ثمره الهبيد وهو كثمر البطيخ إلا أنه صغير جداً، وهو مرّ، ويضرب بمرارته المثل. قال الشاعر:

لا تكن سكّراً فيأكلك الناس ولا حنظلاً تُذاق فتُرمى

ومن نقف الحنظل تدمع عينه لحدته. فشبه نفسه حين بكى بناقف الحنظل.

(١) وقوفاً، يجوز أن يكون جمع واقف؛ فيكون منصوباً على الحال. ويجوز أن يكون مصدراً مبيناً للنوع والعامل فيه قوله (قفا) أي قفا وقوفاً مثل وقوف صحبي مطيهم. ووقف يكون متعدياً ولازماً، تقول: وقفتُ ناقتي، ووقفت هي. وقد استعمله هنا متعدياً ومفعوله هو المطي «الصحب» جمع صاحب «المطي» الإبل، وهي جمع مطية. سُميت بذلك لأنه يركب مطاها أي ظهرها «الأسى» الحزن، وإعرابه أنه مفعول لأجله. يقال: «أَسِي يأسى أَسًى فهو آسٍ وأسيان وهي آسية وإسيانة. وجمع التكسير منهما أسايا» «تجمل» تجلد وتصبر.

(٢) العَبرة: الدمعة، وهي بفتح العين. وأما «العِبرة» بكسر العين فمعناها العِظة «مهراقة» مسفوحةمصبوبة .يقال:هرقالماءَيهرقهوأهرقهُيهرقه وهراقه يُهريقه وهرَّقه يهرّقه وأراقه يُريقه» والأمر من الأول«إهرق»ومن الثاني «أهرق» ومن الثالث «هَرِق» ومن الرابع «هَرِّق» ومنه المثل: «هَرِّق» على حجر يخاطب به الغضبان، ومعناه إصبب على نار غضبك ماء. ومن الخامس «أرق». المعوَّل إما مصدر ميمي من «عول» بمعنى «أعول» أي أبكي، فيكون الاستفهام بمعنى التحضيض، فهو يحض صاحبيه على البكاء معه عند هذا الرسم، أو هو مصدر ميمي من «عولت على فلان» أي اعتمدت عليه فيكون الاستفهام بمعنى النفي، أي ليس من يعتمد عليه عند هذا الرسم الدارس فلم أتكل عليه أنا.

(٣) الدأب: العادة. وأصل معناه التتابع في العمل والاستمرار عليه. يقال: دأب في العمل يدأب دأباً ودأباً ودؤوباً، أي جدَّ وتعب واستمرّ «مأسل» جبل أو موضع.

(٤) تضوَّع: فاحت رائحته «الريَّا» الرائحة.

فَفَاضَتْ دُمُوعُ العَيْنِ مِنِّي صَبَابَةً ... عَلَى النَّحْرِ، حَتَّى بَلَّ دَمْعِي مِحْمَلِي (١)
أَلَا رُبَّ يَوْمٍ لَكَ مِنْهُنَّ صَالِحٍ، ... وَلَا سِيَّمَا يَوْمٍ بِدَارَةِ جُلْجُلِ (٢)
وَيَوْمَ دَخَلْتُ الخِدْرَ ـ خِدْرَ عُنَيْزَةٍ ـ ... فَقَالَتْ: لَكَ الوَيْلَاتُ؛ إِنَّكَ مُرْجِلِي (٣)
تَقُولُ ـ وَقَدْ مَالَ الغَبِيطُ بِنَا مَعاً ـ: ... عَقَرْتَ بَعِيرِي يَا امْرَأَ القَيْسِ، فَانْزِلِ (٤)
فَقُلْتُ لَهَا: سِيرِي، وَأَرْخِي زِمَامَهُ، ... وَلَا تُبْعِدِينِي مِنْ جَنَاكِ المُعَلَّلِ (٥)
أَفَاطِمَ، مَهْلاً بَعْضَ هَذَا التَّدَلُّلِ، ... وَإِنْ كُنْتِ قَدْ أَزْمَعْتِ صَرْمِي فَأَجْمِلِي (٦)
أَغَرَّكِ مِنِّي أَنَّ حُبَّكِ قَاتِلِي، ... وَأَنَّكِ مَهْمَا تَأْمُرِي القَلْبَ يَفْعَلِ (٧)

---

(١) فاضت: سالت سيلاناً عظيماً الصبابة رقة الشوق (النحر) أعلى الصدر (المحمل) حِمالة السيف.

(٢) رب: حرف جر للتقليل وقد تكون للتكثير (سيما) يجوز في اللغة تشديد يائها وتخفيفها، وهي بمعنى (مثل) يقال: هما سيّان أي مثلان. (وما) في سيما زائدة و(يوم) مجرور بالإضافة إلى سيّ. (دارة جلجل) موضع فيه غدير ماء.

(٣) أصل معنى (الخدر) سترٌ يُمد للجارية في ناحية البيت، وأراد به هنا الهودج (الويلات) جمع ويلة، والويلة والويل: شدة العذاب (المرجل) اسم فاعل من (ارجلتهُ) إذا أحوجته أن يمشي راجلاً.

(٤) الغبيط: القَتب الذي يوضع عليه الهودج. (عقرت بعيري) جرحت ظهره. والبعير يطلق على الذكر والأنثى من الجمال. والبعير هنا مذكر لأنهم لم يكونوا يحملون النساء في الهوادج إلا على الذكور لأنها أقوى.

(٥) أرخي زمامه: أي طوّ لي له منه، و(الزمام) سير اللجام الذي تمسك به الدابة (الجني) كل ما يجتنى ويقطف، وأراد به هنا تلك القبل التي كان يسترقها منها (المعلل) المكرَّر مرة بعد مرة، وهو مأخوذ من العَلَل وهو الشرب مرة بعد أخرى هذا إذا كان بفتح اللام أي كان اسم مفعول وإن كان المعلّل اسم فاعلٍ أي بكسر اللام فمعناه الذي يعلّلني ويجعلني اتلهى به عن غيره. مأخوذ من قولك: علّلت الصبي إذا أعطيته فاكهة أو نحوها ليلهو بها.

(٦) فاطمة: منادى مرخّم بحذف آخره أزمعت عزمت. يقال: أزمعت الأمر وأزمعت عليه وعزمته وعزمت عليه. فهما لازمان ومتعديان (الصرم) القطيعة (اجملي) أي أحسني واعتدلي ولا تفرطي فيه.

(٧) أغرك: الهمزة للاستفهام. و(الغرور) الخداع.

وَمَـا ذَرَفَتْ عَيْنَـاكِ إلَّا لِتَـضْـرِبي بِسَهْمَيْـكِ فِي أَعْشَارِ قَلْبٍ مُقَتَّـلِ (١)
وَبَيْضَـةَ خِـدْرٍ ـ لا يُـرَامُ خِبَـاؤُهَـا ـ تَمَتَّعْتُ مِنْ لَهْـوٍ بِهَا غَيْـرَ مُعْجَـلِ (٢)
تصُـدُّ وَتُبْـدي عَنْ أَسِيـلٍ ، وَتَتَّقي بناظِرَةٍ مِنْ وَحْشِ وَجْـرَةَ مُطْفِـلِ (٣)
وتُضْحِي فَتيتُ المِسْكِ فَوْقَ فِرَاشِهَا نَؤُومُ الضُّحَى لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفَضُّلِ (٤)
تَسَلَّتْ عَمايَاتُ الرِّجَالِ عَنِ الصِّبَا، وَلَيْسَ فُؤَادِي عَنْ هَـواكِ بِمُنْسَـلِ (٥)
وَلَيْلٍ كَمَوْجِ ٱلْبَحْـرِ أَرْخى سُدولَـهُ عَلَيَّ بِـأَنْـواعِ ٱلْهُمـومِ لِيَبْتَلي (٦)
فَقُلْتُ لَـهُ «لَمَّـا تَمَـطَّى بِصُلْبِـهِ، وأَرْدَفَ أَعْجـازاً، ونَاءَ بِكَلْكَـلِ» (٧)

---

(١) ذَرَفت العين تذرفُ ذروفاً: سال دمعها (السهمان) أراد بهما العينين (أعشار قلب) أي قلب أعشار فهو من إضافة الصفة للموصوف، وأراد بالأعشار أنه مكسور مُفتت. يقال: قدح أعشار إذا كان مكسوراً أو مقطعاً. والأعشار معناها الكسور، وهي جمع لا مفرد له (مقتل) مذلل غاية التذليل حتى كأنه مقتول.

(٢) الخدر تقدم معناه. وأراد بيضة الخدر محبوبته، وقد شبهها بها لبياضها وصفائها وصيانتها عن الابتذال لأنه لا يتوصل إليها بنكاح ولا سفاح (غير معجل) أي لا يعجلني أحد فأنا آمن.

(٣) تصدُّ: تعرض، من الصدود وهو الإعراض (تبدي) تظهر (الخد) الأسيل الذي في طوله امتداد، أو هو الخد السهل الذي ليس هو بمنقبض (تتقي) الاتقاء: هو الحجز بين شيئين بشيء، يقال: اتقيته بالترس إذا جعلته حاجزاً بينك وبينه، أراد أنها تحفظ نفسها بنبال عينيها (الناظرة) العين (الوحش) جمع وحشي مثل روم ورومّي (وجرة) موضع بين مكة والبصرة مسافته أربعون ميلاً ليس فيها منزل فهي مساكن للوحوش (المطفل) التي لها طفل، وإنما وصفها بأنها ذات طفل لأنها إذا كانت كذلك لحظت أطفالها بعين الرقة وحرصت عليها من أن تصاب بسوء.

(٤) تقدم تفسيره في الصفحة (٩٢) وحاشيتها.

(٥) تسلّت: تلهّت ونسيت، مأخوذ من السلو بمعنى تعمّد النسيان (العمايات) جمع عماية وهي الغواية والجهل (الصبا) اللهو واللعب والتصابي (المنسلي) الناسي.

(٦) السدول: جمع سدل بضم السين وكسرها وهو الستر (يبتلي) يختبر.

(٧) تمطى: امتد واستطال (الصلب) عظم الظهر من لدن الكاهل إلى العَجْب. أردف إعجازاً أي أعاد مآخره عليَّ، يريد أنه رجع حين رجا أن يكون قد ذهب. و(الارداف) معناه اتباع شيء بشيء. و(الاعجاز) جمع عَجُز وهو مؤخر كل شيء. (ناء بكلكل) نهض به =

أَلا أَيُّهـا ٱللَّيْلُ ٱلـطَّويـلُ ، أَلا ٱنْجَـلِ — بِصُبْحٍ ، ومَا ٱلأَصباحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ (١)
فَيـا لَـكَ مِنْ لَيْـلٍ ! كَـأَنَّ نُجـومَـهُ — بِكُـلِّ مُغارِ ٱلْفَتْـلِ شُدَّتْ بِيَـذْبُـلِ (٢)
كَـأَنَّ ٱلثُّـرَيَّـا عُلِّقَتْ في مَصـامِهـا — بِـأَمْراسِ كَتَّـانٍ إلى صُمِّ جَنْـدَلِ (٣)
وقَـدْ أَغْتَدي ، وٱلـطَّيْرُ في وُكُنـاتِهـا — بِمُنْجَـرِدٍ ، قَيْدِ ٱلأَوابِـدِ ، هَيْكَـلِ (٤)
مِكَـرٍّ ، مِفَـرٍّ ، مُقْبِـلٍ مُـدْبِـرٍ مَعـاً ، — كَجُلْمودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ (٥)

مثقلاً. و (الكلكل) الصدر شبه الليل بجمل بارك له صلب وإعجاز كثيرة وقد تمطى بصلبه وأتعبته اعجازه وأثقله صدره فلم يستطع النهوض. يشير بذلك إلى طول الليل.

(١) انجلِ : انكشفْ (الاصباح) الصبح والفجر أو أوله (امثل) أفضل.

(٢) مغار الفتل: مُحكَمَه، يقال: أغرت الحبل إذا أحكمت فتله (يذبل) اسم جبل.

(٣) الثريًا: كواكب سبعة في عنق الثور، سميت بذلك لكثرة كواكبها مع ضيق المحل. والثريا في الأصل مصغَّر (الثرواء) وهي المرأة المتمولة أي الكثيرة المال، ومذكرها الأثري وهو مأخوذ من الثراء أي كثرة المال (المصام) المكان الذي يقام فيه، ومنه مصام الفرس ومصامته أي موقفه الذي يربط فيه. و (مصام الثريا) مكانها. ومنه سمي الصائم لثباته وامتناعه عن تناول ما يضر بالصوم (الأمراس) الحبال (الصم) الصلاب، وهي جمع أصم (الجندل) الحجارة الصلبة والجمع جنادل وإضافة الصم إلى الجندل من إضافة الصفة للموصوف.

(٤) أغتدي: أذهب وقت الغدوة، وهو ما بين طلوع الفجر والشمس (الطير) جمع طائر (الوكنات) بضم الواو وفتح الكاف أو ضمها: المواضع التي تأوي إليها الطير وهي جمع وكنة بسكون الكاف وتثليث الواو. ومثلها الوكرات (المنجرد) القصير شعر الجسم وهو من صفات الخيل العتاق. وقيل وهو الماضي في سيره (القيد) ما يوضع في رجل الفرس وأراد أنه القيد للأوابد بسبب سرعة جريه ولحوقه بها بحيث لا نفلت منه (الأوابد) الوحوش، ومفردها آبدة سميت بذلك لتوحشها ونفرتها عن الناس. يقال: تأبد المكان إذا توحش وخلا من السكان (الهيكل) الضخم العظيم. والهيكل في الأصل هو البناء المرتفع المشرف. والشجرة العظيمة. والنبات الذي طال وعظم وبلغ.

(٥) مكر مفر: يصلح للكر والفر، وهما صيغتا مبالغة (المقبل) هو المكر لأنه إذا كر على الأعداء فقد أقبل عليهم (المدبر) هو المفر لأنه إذا فرّ فقد أدبر (معاً) أي هو يصلح للإقبال والإدبار فهو طوع الراكب يميله حيث شاء. وهذا من صفات الخيل الممدوحة. وليس المراد أنه مقبل مدبر في آنٍ واحد لأن هذا مُحال (الجلمود) الصخرة العظيمة الصلبة والجمع جلاميد (حطه) ألقاه (من عل) من عال.

دَرِيرٍ، كَخُذْروفِ ٱلْوَليدِ أَمَرَّه تَتابُعُ كَفَّيْهِ بِخَيْطٍ مُوَصَّلِ [1]
لَهُ أَيْطَلا ظَبْيٍ، وَساقا نَعامَةٍ، وَإِرْخاءُ سِرْحانٍ، وتَقْريبُ تَنْفُلِ [2]
أَصاحِ، تَرى بَرْقاً ـ أُريكَ وَميضَهُ ـ كَلَمْعِ ٱلْيَدَيْنِ في حَبِيٍّ مُكَلَّلِ [3]
يُضيءُ سَناهُ، أَوْ مَصابيحُ راهِبٍ أَمالَ ٱلسَّليطَ بِٱلذُّبالِ ٱلْمُفَتَّلِ [4]
وتَيْماءَ لَمْ يَتْرُكْ بِها جِذْعَ نَخْلَةٍ، وَلا أُطُماً، إِلَّا مَشِيداً بِجَنْدَلِ [5]

---

(١) درير: سريع الجري كأنه يدرُّ الجريَ دراً (الخذروف) شيء يدوره الصبي بخيط في يده فيسمع له دوي والجمع خذاريف وهي الدوَّارة أو الخرّارة ويسميه صبياننا اليوم البلبل فكأنهم شبهوا صوته وهو يدور بصوت البلبل وهو يغني ويصوت (الوليد) الصبي (أمره) فتله ودوره (خيط موصل) أي أنه قطع مرات فوصل.

(٢) الأيطلان: مثنى أيطل وهو الخاصرة (الظبي) الغزال (النعامة) طائر عظيم سريع الجري. يقال: ركب جناحي نعامة إذا أسرع في مشيه (الإرخاء) نوع من السير السريع السهل مأخوذ من الرخاء وهي الريح السهلة (السرحان) الذئب وجمعه سراحين (التنفل) ولد الثعلب ـ وقد خصّ الظبي بالذكر لأن خاصرتيه ضامرتان وخصّ النعامة لأن ساقيها طويلتان صليبتان. وخصّ الذئب لأنه سريع الجري سهله وقد سُمي السرحان لانسراحه في العَدْو والسير. وخصّ الثعلب لأنه حسن التقريب و (التقريب) نوع من السير. يقال منه: قرَّب الفرسُ إذا مشى تقريباً.

(٣) أُصاحِ: الهمزة للنداء و (صاحِ) منادى مرخم بحذف آخره. والأصل صاحب (الوميض) لمعان البرق (لمع اليدين) حركتهما (الحبي) السحاب المعترض قبل أن يرتفع إلى عنان السماء، فهو دان من المرتفعات مأخوذ من حبا يحبو إذا دنا، يقال: حبوت إلى الخمسين أي دنوت منها (مكلل) مبتسم، يقال: تكلل السحاب إذا تبسم بالبرق. وقيل: المكلل الذي بعضه فوق بعضه. وقيل: المكلل هو الذي عليه الإكليل، فشبه أعلاه بالإكليل.

(٤) السنا ضوء البرق خاصة، وهو مقصور وأما السناء بالمد فمعناه الرفعة (المصابيح) جمع مصباح وهو السراج (السليط) هو الزيت وعند أهل اليمن هو السيرج أو الشيرج ـ بالسين والشين ـ وهو دهن السمسم (الذبال) جمع ذبالة وهي فتيلة السراج (المفتل) الكثير الفتل ـ ويجوز في المصابيح الجر عطفاً على لمع والرفع على أنها خبر لمبتدأ محذوف.

(٥) تيماء: اسم مدينة كثيرة النخل والتين والعنب بين حوران ومدينة الرسول ـ ﷺ ـ وهي منصوبة على تقدير فعل مفسرٍ بما بعده. أي ولم يدع تيماء من التخريب فإنه لم يترك بها =

كَـأَنَّ ثَبيـراً ـ في عَـرانِيـنِ وَبْلِه ـ كَبيـرُ أُنـاسٍ في بِجـادٍ مُـزَمَّـلِ (١)
كَـأَنَّ مَكـاكِيَّ ٱلْجِـواء غُـدَيَّـةً صُبِحْنَ سُلافاً مِنْ رَحيقٍ مُفَلْفَلِ (٢)
كَـأَنَّ ٱلسِّبـاعَ فيـه ـ غَـرْقى عَشِيَّـةً بِأَرْجائِهِ ٱلْقُصْوى ـ أَنابيشُ عُنْصُلِ (٣)

❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊

= شيئاً إلا خربه إلا ما كان مشيداً بالجندل فلم يقوَ عليه. والضمير في يترك راجع إلى المطر في أبيات قبل هذا البيت أهملنا ذكرها مع ما تركناه من أبيات المعلقة (جذع النخلة) ساقها التي تقوم عليها (الأطم) الحصن والجمع آطام (المشيد) المبني المرفوع (الجندل) تقدم تفسيره.

(١) ثبير: اسم جبل (العرانين) جمع عرنين وهو من كل شيء أوله (الوبل) المطر القوي. كما أن الطل هو المطر الضعيف (البجاد) الكساء المخطط (مزمل) مدثَّر ملتف. يريد أن هذا المطر قد غمر هذا الجبل إلا أعلاه فكأنه رجل مزمل بكساء ـ فجعل المطر الذي غمره كالكساء له ـ وقد جرّ مزمل وحقه أن يكون مرفوعاً لأنه صفة لكبير. وإنما جره لمجاورته لبجاد توهماً أنه صفة له على حد قولهم: «هذا جحر ضب خرب» بجر خرب لمجاورته الضب. والخرب إنما هو الجحر لا الضب.

(٢) المكاكي: جمع مكاء ـ بضم الميم وتشديد الكاف ـ وهو نوع من الطير. وأما المكاء ـ بضم الميم وتخفيف الكاف ـ فهو بمعنى الصفير. ومنه قوله تعالى: ﴿وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية﴾. والتصدية: التصفيق (الجواء) الوادي الواسع الجوف (غدية) تصغير غدوة (صبحن سلافاً) أي سقين السلاف وقت الصبح. و «السلاف» ما سال من عصير العنب قبل أن يعصر. قالوا: والخمر منه أجود ما تكون «الرحيق» صفوة الخمرة «مفلفل» يلذع لذع الفلفل. يريد أنها كانت تصوت وتغني غناءً شديداً فكأنها شربت عند الصبح خمراً مفلفلاً.

(٣) غرقى: جمع غريق «العشية» من سقوط قرص الشمس إلى العتمة «الأرجاء» الأطراف والنواحي وهي جمع رجا «القصوى» البُعدى وهو مؤنث الأقصى. وهي صفة للأرجاء من وصف الجمع بصفة المؤنثة المفردة وهو جائز كثير الاستعمال. قال تعالى ﴿من آياتنا الكبرى﴾. ولو وصف على الأصل لقيل: القُصى والكُبر (الأنابيش) أصول النبات لأنه ينبش عنها وواحدها أنبوشة وأنبوش (العنصل) البصل البري. وقوله غرقى حال من السباع. وبأرجائه متعلق بغرقى. والمعنى كأن السباع ـ وقد غرقت فيه ثم طَفَت بأطرافه ـ أصول البصل البري، وذلك لكثرة ما عليها ـ أي السباع من الطين.





طرفة بن العبد

توفي سنة (٥٥٠) أو (٥٥٢) م، وسنة (٧٠) قبل الهجرة

هو (طَرَفَة بن العبد بن سُفيان البكري) من بني (بكر بن وائل). وينتهي نسبه إلى (عدنان). وهو ابن أخت (جرير بن عبد المسيح) المعروف بالمتلمس. و(طَرَفة) لقب غلب عليه، واسمه (عمرو). والطرفة في اللغة واحدة الطرفاء وهي الشجر المعروف.

ولم يعش إلا ستاً وعشرين سنة. وقيل: «بل عشرين». وبلغ مع ذلك ما لم يبلغه القوم في طول أعمارهم.

وكان هجّاءً جريئاً على قومه وغيرهم. وكان في حسب من عشيرته. وهذا هو الذي جرّأه على هجائهم.

وله المثل: «استنوق الجمل». قيل: قاله لما وفد مع خاله (المتلمس) على (عمرو بن هند) ملك الحيرة، وكان الشعراء يأتونه وينشدونه الشعر. فلما دخلا عليه كان (المسيَّب بن عَلَس) ينشد شعراً في وصف جمل فوسمه بسمةٍ من سِمات النوق. ويقال: أن المنشد كان (المتلمس)، أنشد في مجلس لبني (قيس بن ثعلبة) وكان طرفة يلعب مع الصبيان ويتسمع، فدعاه المتلمس وقال: أخرج لسانك، فأخرجه، فإذا هو أسود، فقال: «ويل لهذا من هذا».

وهذا المثل يُضرَب للرجل الواهن الرأي المخلِّط في كلامه.

ولما شبَّ (طَرَفة) أُعجِب (عمرو بن هند) بشعره فنادمه مع المتلمس. وبقي عنده زماناً. وكان طرفة غلاماً معجباً. فكان يوماً يشربُ بين يَدَي الملك (عمرو)، فجعل يتخلج[1] في مشيته، فنظر إليه (عمرو بن هند) نظرةً كادت تقتلعه من مجلسه. فقال (المتلمس) له حين قاما: «إني أخاف من نظرته إليك». فقال طرفة: «كلا». وكان (عمرو) ذا هيبة شديدة، لا يضحك، ولا يتبسّم. فأسرَّ السوء لطرفة على إعجابه به. وقيل بل غضب لأن أخته أشرفت وهم في مجلس الشراب، فرآها طرفة، فقال فيها شعراً، فحقد عليه، فعزم على قتله وعلى قتل (المتلمس) أيضاً خوف هجائه، لكنه خاف أن تجتمع عليه (بكر بن وائل) إن قتلهما ظاهراً. فعزم أن يكيد لهما مكيدة.

وكانت أخت (طرفة) تحت (عبد عمرو بن بشر بن مَرثَد). وكان (عبد عمرو) هذا سيد أهل زمانه، مقدَّماً عند (عمرو بن هند) ملك الحيرة. فشكت أخت (طرفة) إليه يوماً شيئاً من أمر زوجها. فقال يهجوه:

لَقَدْ عَلِمَ الأَقْوَامُ أَنَّا بِنَجْوَةٍ، عَلَتْ شَرَفاً مِنْ أَنْ تُضَامَ وَتُشْتَمَا[2]
لَنَا هَضْبَةٌ لاَ يَدْخُلُ الذُّلُّ وَسْطَها، وَيأْوِي إِلَيْهَا المُسْتَجِيرُ فَيُعْصَمَا[3]

(١) أي يتمايل يمنة ويسرة.
(٢) النجوة: المرتفع من الأرض (تضام) تحمل الضيم وهو الظلم والقهر.
(٣) الهضبة: الجبل المنبسط على وجه الأرض، أو هو كل جبل خُلق من صخرة واحدة (يُعصم) يُمنع. والألف منقلبة عن نون التوكيد الخفيفة والأصل يعصمَنْ.

وَأَرْعَنُ مِثْـلُ اللَّيْـلِ مَجْـرٌ يَقُـودُهُ ... أَرِيبٌ، إِذَا مَـا سَاوَرَ الأَمْـرَ أَبْرَمَـا [1]
شَدِيدُ القُوَى ضَخْمُ الدَّسِيعَةِ مِقْوَلٌ، ... أَبِيٌّ، إِذَا مَـا هَمَّ بِـالأَمْـرِ أَلْحَمَـا [2]
فَـأَيُّ خَمِيسٍ ـ لَا أَبَانَـا ـ نَهَابُـهُ؟، ... وَأَسْيَـافُنَا يَقْـطُرْنَ مِنْ كَبْشِـهِ دَمـا [3]
أَبِي أَنْـزَلَ الجَبَّـارَ عَـامِـلَ رُمْحِـهِ، ... وَعَمِّي الَّذِي أَرْدَى الرَّئِيسَ المُعَمَّما [4]
فَـوَاعَجَباً مِنْ عَبْـدِ عَمْرٍو وَبَغْيِـهِ!، ... لَقَدْ رَامَ ظُلْمِي عَبْدُ عَمْرٍو، فَأَنْعَمَا [5]
وَلَا عَيْبَ فِيـهِ غَيْـرَ أَنَّ لَـهُ غِنًى، ... وَأَنَّ لَـهُ كَشْحاً ـ إِذَا قَـامَ ـ أَهْضَما [6]
وَأَنَّ نِسَـاءَ الحَيِّ يَعْكُفْنَ حَـوْلَـهُ، ... يَقُلْنَ عَسِيبٌ مِنْ سَـرَارَةِ مَلْهَمَـا [7]

فبلغ الشعرُ (عمرَو بن هند) الملك. وكان (طرفة) قد هجاه قبل ذلك إلَّا أنه لم يبلغه هجوه، لأنه لم يكن أحد يجسر أن يرفع إليه ذلك.

---

(١) الأرعن: الجيش المضطرب لكثرته. وأصل معناه الأحمق، والجبل الذي له رِعان أي أنوف تتقدمه، وقد شبه الجيش الكثير به (المجر) الجيش العظيم لثقله وضخامته (الأريب) العاقل (ساور الأمر) أخذ برأسه (أبرم الأمر) أحكمه.
(٢) الدسيعة: تُطلق على معانٍ، منها العطية الجزيلة، والجفنة الكبيرة؛ والمائدة الكريمة، والقوة. وكلها جائز هنا (المقول) الحسن القول، وهو أيضاً القَيْل بلغة أهل اليمن، والقيل هو الملك دون الملك الأكبر. والمقول أيضاً اللسان. وقد أراد المعنى الأول (أبي) ممتنع عن الضيم (الحم) أتمَّ. يقال: الحم الثوب إذا نسجه. وألحم فلان ما أسدى أي أتمَّ ما بدأ به.
(٣) الخميس: الجيش العظيم (الكبش) سيد القوم وقائدهم.
(٤) عامل الرمح: صدره وهو ما يلي السنان (أردى) أهلك.
(٥) أنعم في الأمر: بالغ فيه، مثل أمعن.
(٦) الكشح: ما بين الخاصرة إلى الضلع الخَلْف وهو أقصر الأضلاع وآخرها وهو من لدن السرة إلى المتن (الأهضم) اللطيف الكشح الخصمان البطن.
(٧) العسيب: جريدة من النخل مستقيمة دقيقةٌ يكشط خوصها (السرارة) خيار الشيء وصفوته (ملهم) موضع كثير النخل. شبه كشحه الأهضم بجريدة من خيار نخل هذا المكان.

سبب غضب عمرو بن هند على طرفة:

ذلك أن (عمرو بن هند) خرج يوماً يتصيد ومعه (عبد عمرو). فأمعنَ في الطلب، فانقطع بنفر من أصحابه حتى أصاب حماراً وحشياً فعقره[1]. فقال لعبد عمرو: إنزل إليه. فنزل فأعياه، فضحك (عمرو بن هند). ثم قال لأصحابه: إجمعوا حطباً وأوقِدوا. فأوقَدوا ناراً وشوى.

فبينما (عمرو بن هند) يأكل من شِوَائِهِ و (عبد عمرو) يقدِّم إليه. إذ نظر إلى قميصه متخرِّقاً فأبصر كشحه (وكان من أحسن أهل زمانه جسماً)، فقال له: «لقد أبصر (طرفة) حسن كشحك حين قال:

وَلا عَيْبَ فِيهِ، غَيْرَ أَنَّ لَهُ غِنًى، وَأَنَّ لَهُ كَشْحاً ـ إِذا قَامَ ـ أَهْضَما

فَغضب (عبد عمرو) من ذلك وأنِف. وقال له: «أبيتَ اللعن، لقد قال فيك ما هو شرٌّ من ذلك وأقبح» قال: «أو قد بلغ من أمره هذا؟» قال: «نعم». قال: «فما قال؟». فندم (عبد عمرو) على ما كان منه، وأبى أن يُسمعه. فقال (عمرو بن هند): «اسمعنيه وَطَرَفَة آمِنٌ». فأسمعه القصيدة التي هجاه بها (طرفة). وهي:

أَمِنْ لَيْلَى بِناظِرَةٍ خُدُورُ؟ يُؤَمُّ بِهِنَّ خَبْتٌ أَوْ ضَفِيرُ[2]
فَكَيْفَ صَبَوْتَ؟، أَوْ تَرْجُو مَهَاةً مُنَعَّمَةً، تُزَارُ وَلا تَزورُ؟[3]

---

(١) أي نحره وذبحه.

(٢) ناظرة: اسم جبل (الخدور) جمع خدر وهو ستر يُمدُّ للجارية في ناحية البيت (يؤم) يُقصد (خبت وضفير) اسمان لموضعين.

(٣) صبا الرجل يصبو صَبْواً وصبُواً: مال إلى الصبوة وهي جهلة الفتوَّة (المهاة) البقرة الوحشية وتُشبَّه بها المرأة.

جَلَتْ بَـرَداً فَـهَشَّ لَـهُ فُـؤَادي ، فَكِـدْتُ إِلَيْـهِ مِنْ شَـوْقٍ أَطِيـرُ[1]
فَـدَعْهَـا وَٱنْحَـلِ النُّعْمَـانَ قَـوْلاً كَنَحْتِ الفَـأْسِ ، يُنْجِـدُ أَوْ يَغُـورُ[2]
فَلَيْتَ لَنَـا مَكَـانَ المُلْكِ عَـمْـرٍو رَغُـوثـاً حَـوْلَ قُبَّتِـنَـا تَـدُورُ[3]
مِنَ الـزَّمِـرَاتِ أَسْبَـلَ قَـادِمَـاهَـا ، وَضَـرَّتُـهَـا مُـرَكَّـنَـةٌ دَرُورُ[4]
لَـعَمْـرُكَ إِنَّ قَـابُـوسَ بْـنَ هِنْـدٍ لَيَخْـلِطُ مُلْكَـهُ نُـوكٌ كَـثِـيـرُ[5]
قَـسَمْـتَ الـدَّهْـرَ فِي زَمَـنٍ رَخِيٍّ كَـذَاكَ الحُكْمُ : يَقْصِـدُ أَوْ يَجُـورُ[6]
لَـنَـا يَـوْمٌ وَلِـلْكِـرْوَانِ يَـوْمٌ ، تَـطِيـرُ البَـائِسَـاتِ ، وَمَـا نَـطِيـرُ[7]
فَـأَمَّـا يَـوْمُـهُـنَّ فَيَـوْمُ سُـوءٍ ، تُـطَارِدُهُنَّ بِـالحَـدَبِ الصُّقُـورُ[8]
وَأَمَّـا يَـوْمُـنَـا فَـنَـظَلُّ رُكْـبـاً ، وُقُـوفـاً ، مَـا نَحُـلُّ وَمَـا نَسيرُ[9]
أَرَانِـي كُـلَّمَـا عَـادَيْـتُ قَـوْمـاً أُتِـيـحَ لَهُـمْ مِنَ الأَدْنَـى نَكِـيرُ[10]
وَهَـلْ يَخْشَى وَعِيـدَ النَّـاسِ إِلاَّ كَبِيـرُ الـسِّنِّ أَوْ ضَـرِعٌ صَـغِيـرُ[11]

(١) البَرَد: حبُّ الغمام وتشبّه به الاسنان الشديدة البياض.
(٢) نحلته القول: أي أضفته إليه (ينجد) يأتي نجداً (يغور) يأتي الغور.
(٣) الملك، بسكون اللام وأصلها الكسر (الرغوث) النعجة المرضع.
(٤) الزمرات: القليلات الصوف وهي أغزر ألباناً من غيرها. ويقال: فلان زَمِر المروءة أي قليلها. (أسبل) طال (قادماها) أراد بهما ثدييها، وأصل القادمين للناقة لأن لها أربعة أخلاف قادمين وآخرين (الضرة) لحم الضرع (مركنة) لها أركان أي جوانب، وقيل: معناها مجتمعة (الدرور) الكثير الدرّ.
(٥) النوك: الحمق.
(٦) الرخي: السهل اللين (يقصد) يعدل (يجور) يظلم.
(٧) الكروان طائر مفرده وجمعه واحد. وقيل هو جمع ومفرده (كَرا) وفاعل تطير يعود إلى الكروان (البائسات) منصوب على الترحم. وهي جمع بائسة. والبؤس الشقاء والضر.
(٨) الحدب: المرتفع من الأرض (الصقور) جمع صقر وهو طائر من الجوارح.
(٩) ركباً: راكبين وهو جمع راكب.
(١٠) أُتيح: هُيِّء.
(١١) الضرِع: المتذلل، والضعيف.

وَمِثْلِي ـ فَاعْلَمِي يَا أُمَّ عَمْرو، إِذَا مَا اعتَادَهُ السَّفَهُ النَّعُورُ ـ[1]
يَطِيرُ عَلَىٰ مُذَكَّرَةٍ تَسُورُ، وَمُفْرِجَةٍ لَهَا نِسْعٌ وَكُورُ[2]
فَلَمَّا أَنْ أَنَخْتُ عَلَىٰ مَلِيكٍ، مَسَاكِنُهُ الخَوَرْنَقُ وَالسَّدِيرُ[3]
لِيُنْجِزَنِي مَوَاعِدَ كَاذِبَاتٍ بِطَيِّ صَحِيفَةٍ فِيهَا غُرُورُ
فَأَوْعَدَنِي، وَأَخْلَفَ ثُمَّ ظَنِّي، وَبِئْسَ خَلِيقَةُ المَلِكِ الفُجُورُ[4]

وكان السبب في هذه القصيدة على ما حكى (المفضَّل بن سلمة) أن عمرو بن المنذر (هو عمرو بن هند نفسه) كان يرشِّح أخاه (قابوس بن المنذر) ليملك بعده. فقدم عليه (المتلمس) و(طرفة) فجعلهما في صحابة (قابوس) وأمرهما بلزومه. وكان (قابوس) شاباً

---

(١) اعتاده: نابه حتى صار عادة له (السفه) الجهل والخفة والطيش (النعور): المهيّج وأصل معناه: الريح التي تفاجئك ببرد وأنت في حر.

(٢) المذكرة: الناقة الشبيهة بالجمل في الخَلق والخُلق (تسور) تثب وتثور (المفرجة) أراد بها الناقة (النسع) ما يُشدُّ به الرحل (الكور) ما يوضع على البعير.

(٣) أنخت: أبركت ناقتي (الخورنق) قصر كان بظهر الحيرة بناه النعمان بن امرىء القيس، وينتهي نسبه إلى يعرب بن قحطان. وقد ملك ثمانين سنة، وبنى الخورنق في ستين منها بناه له رجل من الروم يُدعى «سِنِّمار» وكان بناؤه متقطعاً، فلما فرغ من بنائه صعد النعمان على رأسه ونظر إلى البحر تجاهه والبر خلفه فرأى الحوت والضب والظبي والنخل. فقال: ما رأيت مثل هذا البناء فقال له سنمَّار: إني أعلم موضع آجرَّة لو زالت لسقط القصر كله. فقال النعمان: أيعرفها أحد غيرك قال: لا. قال: لا جَرَمَ لأدعنّها وما يعرفها أحد. ثم أمر به فقُذف من أعلى القصر إلى أسفله فتقطّع. فضربت العرب به المثل. قال الشاعر:

جزى بنوه أبا الغَيلان عن كِبرٍ وحسنِ فعلٍ كما يُجزى سنِّمار

والخورنق أيضا: قرية بالقرب من بلخ في العراق. وموضع في الكوفة.

(السدير) قصر قريب من الخورنق كان النعمان الأكبر قد اتخذه لبعض ملوك العجم. والسدير أيضاً. موضع بالحيرة، أو نهر.

(٤) الخليقة: الطبيعة (الفجور) الكذب.

يُعجبه اللهو. وكان يركب يوماً في الصيد، فيركض يتصيَّد، وهما معه يركضان، حتى يرجعا عشية وقد تعبا. فيكون (قابوس) من الغد في الشراب فيقفان بباب سُرادقه[1] إلى العشي. فكان (قابوس) يوماً على الشراب، فوقفا ببابه النهار كله ولم يَصلا إليه. فضجر (طرفة)، فقال هذه القصيدة.

وقال (يعقوب بن السكِّيت) و(الأعلم الشنتمري) في شرحهما لديوان طرفة: «أن عمرو بن هند المذكور كان شرِّيراً. وكان لـه يوم بؤس ويوم نعمة. فيومَ يركب في صيده يقتل من يلقى. ويـوم يقف الناس ببابه فإن اشتهى حديث رجل أذن له. فكان هـذا دهره كله. فهجاه طرفة».

والقصيدة المذكورة هي هجاء لعمرٍو وأخيه قابوس.

قالوا: فلما سمع القصيدةَ (عمرو بن هند) سكت على ما وقر[2] في نفسه، وكره أن يُعَجِّلَ عليه لمكان قومه، فأضرب عنه. وبلغ ذلك (طرفة) فخافه على نفسه. غير أنه قد أمِنَ لما علم أنه رضي عنه وغفر له جريرته.

وكان (عمرو بن هند) بطاشاً جبَّاراً. وكان لا يبتسم ولا يضحك. وقد ملك ثلاثاً وخمسين سنة. وكانت العرب تهابه هيبة شديدة. وفيه يقول (الدهاب العجلي):

---

(١) السرادق: الفسطاط الذي يمد فوق سطح البيت، وهو البيت أيضاً.

(٢) وقر الشيء في نفسه: وقع وبقي أثره.

أَبَى القَلْبُ أَنْ يَهْوَى السَّدِيرَ وَأَهْلَهُ، وإِنْ قِيلَ: عَيْشٌ بِالسَّدِيرِ غَرِيرُ[1]
لَقَدْ أَنْذَرُوا الحَيَّ الَّذِي نَزَلُوا بِهِ، وَإِنِّي لِمَنْ لَنْ يَأْتِهِ لَنَذِيرُ
بِهِ البَقُّ، وَالحُمَّى، وَأُسْدٌ خَفِيَّةٌ، وَعَمْرُو بْنُ هِنْدٍ يَعْتَدِي وَيَجُورُ

وسيأتي ذكر قتل (عمرو بن هند) وموته عند الكلام على ترجمة (عمرو بن كلثوم).

قتل طرفة وموته:

وكان (المتلمس) خال (طرفة) قد قال قصيدة يهجو بها (عمرو بن هند) أيضاً. وكان في نفس (عمرو) من ذلك مَوْجَدة[2] عليه يكتمها عنه. فاتَّفق أن قدم (طرفة) و (المتلمس) على (عمرو بن هند) يتعرَّضان لفضله ومعروفه. فكتب لهما كتاباً إلى عامله على (البحرين وَهَجَر) وكان عليهما (المُعَكْبر). وقيل بل (ربيعة بن حارث العبدي). وقال لهما: «انطلقا فخذا جوائزكما منه». فخرجا.

قال المتلمس: فلما هبطنا بذي الركاب من (النجف) إذا أنا بشيخ على يساري يتبرَّز ومعه كسرة يأكلها وهو يقصع القمل[3]. فقلتُ: «تالله ما رأيت شيخاً أحمق وأضعف وأقلَّ عقلاً». قال: «وَمَا تُنكر عليَّ من حمقي؟». قلت: «تتبرَّز وتأكل وتقصع القمل». قال: «أدخلُ طيّباً، وأخرج خبيثاً، وأقتل عدواً. وأحمقُ مني الذي يحمل

(١) الغرير: العيش الواسع الطيب.
(٢) الموجدة الغضب، وفعلها وجَدَ عليه يجد بمعنى غضب.
(٣) أي يقتله بين ظفريه.

حتفه[1] بيده لا يدري ما فيه». قال المتلمس: «فنبَّهني، وكأنما كنت نائماً».

ثم إن المتلمس قال لطرفة: «إنك غلام حديث السن، والملك مَنْ عرفتَ حقده وغدره، وكلانا قد هجاه، فلست آمن أن يكون قد أمر فينا بشرٍّ. فهلمَّ، فلننظر في كُتُبنا هـذه، فإن يكن قـد أمر لنـا بخيرٍ مضينا، وإن تكن الأخرى لم نُهلك أنفسنا». فأبى (طرفة) أن يفـكَّ خاتم الملك. فحرِّضه (المتلمس) على ذلك فأبى.

وعدل (المتلمس) إلى غلام من غلمان الحيرة فأعطاه الصحيفة فقرأها، ولم يكد يصل إلى ما أمر به في (المتلمس) حتى جاء غلام آخر فأشرف على الصحيفة لا يدري من هو (المتلمس)، فقرأها فقال: «ثَكِلَتِ المتلمس أُمُّهُ[2]». فانتزع (المتلمس) الصحيفة من يد الغلام، واكتفى بذلك من قـوله. وكـان في الصحيفة: «بـاسمك اللهم. من (عمرو بن هند) إلى (المعكبر): إذا جاءك كتابي هذا مع (المتلمس) فاقطع يده ورجله وادفنه حياً».

ثم إنه اتّبع (طَرَفة) فلم يدركُهُ. وقد قيل: بل أدركه وقال له: «تَعَلَّمْ[3] إن ما في صحيفتك لَمِثْلُ ما في صحيفتي». فقال طرفة: «إن كان قد اجترأ عليك فمـا كان ليجتـرىء عليَّ ولا ليغرَّني ولا ليقـدمَ عليَّ». فلما غُلب المتلمس على أمره ألقى الصحيفة في نهر الحيرة، ثم خرج هارباً إلى الشام. وفي ذلك يقول:

(١) أي موته.
(٢) أي عدمته.
(٣) أي أعلم.

وأَلْقَيْتُهَـا بِـالثِّنْيِ مِنْ جَنْبِ كَـافِرٍ كَـذَلِـكَ أَقْنُـو كُـلَّ قِطٍّ مُضَلِّلِ [(١)]
رَضيتُ لَهَـا بِـالمَـاءِ لَمَّـا رَأَيْتُهَـا يَجُولُ بِهَا التَّيَّـارُ فِي كُلِّ جَـدْوَلِ [(٢)]

وفي هذه الواقعة يقول أيضاً:

مَنْ مُبْلِغُ الشُّعَـرَاء عَنْ أَخَـوَيْـهِمِ نَبَـأً، فَتَصْـدُقَهُمْ بِـذَاكَ الأَنْفُسُ:
أَوْدَى الَّـذِي عَلِقَ الصَّحِيفَـةَ مِنْهُمَـا وَنَجَـا حِـذَارَ حِبَـائِـهِ المُتَلَمِّسُ[(٣)]
أَلْقِ الصَّحِيفَـةَ - لاَ أَبَـالَـكَ - إِنَّـهُ يُخْشَىٰ عَلَيْكَ مِنَ الحِبَاءِ النِّقْرِسُ[(٤)]

وقد ضُرِبَ المثل بصحيفة المتلمس، وذلك لمن يسعى إلى حتفه بيده. وفي ذلك يقول الفرزدق لمروان:

يَـا مـروَ، إِنَّ مَـطِيَّتِي مَحْبُوسَـةٌ تَـرْجُو الحِبَـاءَ، وَرَبُّهَا لَمْ يَيْـأَسِ [(٥)]
وَحَبَـوْتَنِي بِصَحِيفَـةٍ مَخْتُـومَـةٍ؛ يُخْشَىٰ عَلَيَّ بِهَـا حِبَـاءُ النِّقْـرِسِ [(٦)]
أَلْقِ الصَّحِيفَـةَ يَـا فَـرَزْدَقُ، لاَ تَكُنْ نَكْدَاءَ، مِثْلَ صَحِيفَـةِ المُتَلَمِّسِ [(٧)]

أمـا (طرفـة) فإنـه قد سـار حتى قدم على عـامـل (البحـرين) وهـو في (هَجر). فدفع إليه كتاب (عمرو بن هند). فقرأه. فقال له: «تعلم ما

---

(١) الثني واحد أثناء الشيء أي تضاعيفه. يقال ارسلته في ثنيِ كتابي، أي في طيّه. والثني من كل جبل أو نهر منعطفة، أو هو اسم لكل نهر (الكافر) النهر الكبير (اقنو) اتخذ. يقال: قنا المال يقنوه قنواً وقُنواناً، أي جمعه واتخذه لنفسه لا للتجارة (القط) الصك تُكتب فيه الجائزة.
(٢) التيار: الموج (الجدول) النهر الصغير.
(٣) اودى: هلك (علق الشيء وعلق به) من باب علم، أي هَوِيَه واحبَّه. (الحباء) العطية.
(٤) النقرس: داء يأخذ في الرِّجل، أو هو ورم يحصل في مفاصل القدم وفي ابهامها أكثر.
(٥) مرو: منادى مرخمّ والأصل «يا مروان» (مطيتي) ناقتي.
(٦) حباه الشيء وحباه به أي أعطاه أياه.
(٧) نكداء: مؤنث الأنكد وهو العَسِر المشؤوم.

أمرت به فيك؟» قال: نعم، أُمرتَ أَن تجيزني وتُحسنَ إليَّ». فقال لطرفة: «إن بيني وبينك لَخُؤولةً[٤] أنا لها راع[٢]. فاهرب من ليلتك هذه، فإني قد أُمرتَ بقتلك. فاخرج قبل أن تُصبح ويعلم بك الناس». فقال (طرفة): «قد اشتدَّت عليك جائزتي، واحببتَ أَن أهرب وأجعل لعمرو بن هند عليَّ سبيلاً، كأني قد أذنبت. والله لا أفعل ذلك أبداً». فلما أصبح أمر بحبسه، وتكرَّم عن قتله. وكتب إلى (عمرو بن هند) أن «ابعث إلى عملك رجلاً غيري، فإني غير قاتل الرجل». فبعث إليه عمرو رجلاً من (بني تغلب) يقال له (عبد هند). واستعمله على (البحرين) ـ وكان رجلاً شجاعاً ـ وأمره أن يقتل (طرفة). فلما وصل إليها قال لطرفة: «إني قاتلك لا محالة، فاخترْ لنفسك منية تهواها». فقال: «إن كان ولا بدَّ فاسقني خمراً وافصد أَكْحَلي[٣]». ففعل به ذلك. فما زال ينزف حتى مات. وله من العمر ستٌّ وعشرون سنة. كما قالت أخته في رثائه:

عَـدَدْنَـا لَـهُ سِتّـاً وعِشْـرينَ حِجَّـةً　　　فَلَمَّا تَوَفَّاها اسْتَوى سَيِّداً ضَخْمـا[٢]
فُجِعْنَـا بِـهِ لَمَّـا رَجَـوْنَـا إِيَـابَـهُ　　　عَلَى غَيْرِحَالٍ ، لاَوَلِيـداًوَلاَ قَحْما[٥]

ولما بلغ المتلمس مقتلهُ قال:

---

(١) الخؤولة النسبة إلى الخال كما أن العمومة النسبة إلى العم وهي أيضاً جمع الخال.
(٢) أي حافظ.
(٣) الأكحل: عِرْق في الذراع، قيل هو عرق الحياة، ويُدعى نهر البدن.
(٤) الحجة السنة، وجمعها حجج (توَّفاها) اتمّها (ضخماً) عظيماً.
(٥) فجعنا به فقدناه (ايابه) رجوعه، وارادت رجوعه من البحرين بجائزته (على غير حالٍ) أرادت على غير الحال التي رجوناها (القحم) الطاعن في السن.

عَصَانِي فَمَا لاَقَىٰ رَشَاداً، وإنَّما يَبينُ مِنَ الأَمْرِ الغَوِيِّ عَوَاقِبُهْ
فَأَصْبَحَ مَحْمُولاً على ظَهْرِ آلَةٍ، تَمُجُّ نَجِيعَ الجَوْفِ مِنْهُ تَرَائِبُهْ(١)

وكان موته في أواسط القرن السادس للميلاد.

الكلام على شعره:

كان (طرفة) لطيف التخيُّل شاعراً مطبوعاً. وهو أجودهم طويلة. كلما طالت قصيدته حسُنت. وقد بلغ من الشعر مبلغاً لم يبلغه الفحول، وهو حديث السن، حتى عُدَّ من شعراء الجاهلية المبرِّزين.

وشعره يجمع بين الجزالة، والرونق، ونباهة الأغراض، وعذوبة المشرب، وصباحة الفصاحة. وقد صحح شعراً للمتلمس وهو يرسف في قيد غُلوميَّته. وقد شهد له (لبيد) و (جرير) و (الأخطل) بأنه الشاعر غير مُدَافع. وهو القائل:

ولا أُغيرُ عَلَىٰ الأَشْعَارِ أَسْرِقُهَا غَنيتُ عَنها وشَرُّ النَّاسِ مَنْ سَرَقَا(٢)
وإنَّ أَحْسَنَ بَيْتٍ أَنْتَ قَائِلُهُ بَيْتٌ يُقَالُ إِذَا انْشَدْتَهُ: صَدَقَا

وكان مُقِلّاً من الشعر لقِصَر عمره، ومع إقلاله فإن شعره مُعَوَّل أصحاب اللغة في الاستشهاد به. وله ديوان شعر صغير، ولكنه جيد متين.

---

(١) النجيع: الدم (الترائب) عظام الصدر ومفردها تَريبة.
(٢) غنيت عنها: استغنيت عنها: يقال غَنِيَ بالشيء عن غيره يَغْنَى غِنًى وغَناء، أي اكتفى به عنه.

وله شعر جميل، ومعانٍ بديعة. وأشهر شعره معلقته. ومنها يذكر مجده وخلاعته:

وَلَسْتُ بِحَلَّالِ التِّلاعِ مَخَافَةً، وَلَكِنْ مَتَى يَسْتَرْفِدِ القَوْمُ أَرْفَدِ[1]
فَإِنْ تَبْغِنِي فِي حَلْقَةِ القَوْمِ تَلْقَنِي، وإِنْ تَلْتَمِسْنِي فِي الحَوَانِيتِ تَصْطَدِ
وإِنْ يَلْتَقِ الحَيُّ الجَمِيعُ تُلاَقِنِي إِلَى ذُرْوَةِ البَيْتِ الشَّرِيفِ المُصَمَّدِ

ومنها قوله في انقضاء الأيام:

أَرَى المَوْتَ يعتامُ الكِرَامَ، وَيصْطَفِي عَقِيلَةَ مَالِ الفَاحِشِ المُتَشَدِّدِ

ومنها في الخبرة التامة والتجربة الصادقة:

وظُلْمُ ذَوِي القُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً عَلَى المَرْءِ مِنْ وَقْعِ الحُسَامِ المُهَنَّدِ

ومن حِكَمِهِ التي حملت (لبيداً) على الاعتراف بفضله وتقدُّمه قوله فيها:

ستُبْدِي لَكَ الأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلاً وَيَأْتِيكَ بِالأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ

وقد أُنشد هذا البيت للنبي ﷺ فقال: «هو من كلام النبوة». وأخرج الإمام (أحمد بن حنبل) في مُسْنَدِهِ بسند صحيح عن عائشة، قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا استراب الخبر[2] تمثل ببيت طرفة: «ويأتيك بالأخبار من لم تزوِّدِ».

ومن شعره قوله مخاطباً أعمامه. وكان أبوه قد مات وهو صغير، فهضموا حق أمه (وردة):

---

(١) سيأتي تفسير هذه الأبيات وما بعدها في معلقته.
(٢) أي ارتاب فيه وشك.

مـا تَنْـظُررنَ بِمَـــالِ وَرْدَةَ فِيكُمُ؟، صَغُـرَ البَنُـونَ، وَرَهْطُ وَرْدَةَ غُيَّبُ[1]
قَـدْ يَبْعَثُ الأَمْـرَ العَـظِيمَ صَغِيـرُهُ، حَتَّى تَـظَلَّ لَـهُ الـدِّمَـاءُ تَصَبَّبُ[2]
والـظُّلْمُ فَـرَّقَ بَيْنَ حَيَّيْ وَائِـلٍ : بَكْـرٌ تُسـاقيهـا المَنَـايَـا تَغْلِبُ[3]
والصِّدْقُ يَأْلَفُـهُ الكَرِيمُ المُـرْتَجَى، والكِـذْبُ يَـأْلَفُـهُ الـدَّنِيُّ الأَخْيَبُ
والإِثْـمُ دَاءٌ لَـيْسَ يُـرْجَـى بُـرْؤُهُ، والبِـرُّ بُـرْءٌ لَيْسَ فِيـهِ مَعْـطَبُ[4]
أَدُّوا الحُقُوقَ تُفَرْ لَكُمْ أَعْـرَاضُكُمْ، إِنَّ الكَـرِيمَ إِذَا يُحَـرَّبُ يَغْضَبُ[5]

ومما يُتمثَّل به من شعره قوله:

لَـنَـا يَـوْمٌ ولِـلْكِـرْوانِ يَـوْمٌ، تَـطِيـرُ البَـائِسَـاتِ، وَمـا نـطيـرُ[6]

وقوله:

وَتَـرُدُّ عَنْـكَ مَخيلَةَ الـرَّجُـلِ ـ العِرِّيضِ، مُوضِحَـةٌ عَنِ العَظَمِ[7]
بِحُسَـامِ سَيْفِـكَ، أَوْلِسَـانِـكَ ـ والكَلِمِ الأَصِيلِ كَأَرْغَبِ الكَلِمِ[8]

---

(١) رهط: الرجل عشيرته وقومه.
(٢) تصبب: أصلها تتصبب بمعنى تجري.
(٣) المنايا: جمع منية وهي الموت.
(٤) الإثم: ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس (البر) الإحسان وهو ضد الإثم (معطب) عطب.
(٥) تُفَر: تُحفظ وتُصَن. يقال وفر فلان عرضه أي حفظه وصانه (الأعراض) جمع عرض وهو النفس (يُحرَّب) يُغضب. يقال: حرَّبه إذا أغضبه.
(٦) تقدم تفسيره في الصفحة (١١٣).
(٧) المخيلة الكِبْر (العِرّيض) الذي يتعرَّض للناس بالشر (موضحة) فاعل ترد. أي ترد عنك كِبْره خصلةٌ موضحةٌ عن العظم.
(٨) بحسام سيفك أي بسيفك الحسام أي القاطع (الكلم الأصيل) هي المحكمة الناتجة عن حكمة وروية. والأصالة هي جودة الرأي والفكر.

ومن شعره قوله يهجو (عبد عمرو) الذي تقدم ذكره:

وفَـرَّقَ عَنْ بَيْتَيْكَ سَعْـدَ بْنَ مَـالِـكٍ وَعَمْـراً وَعَـوْفـاً مَـا تَشي وَتَقُــولُ[1]
وأَنْتَ عَلَىٰ الأَدْنَىٰ شَمـالٌ عَـرِيَّـةٌ، شَـآمِيَّةٌ، تَـزْوِي الـوُجُـوهَ، بَليـلُ[2]
وأَنْتَ عَلَىٰ الأَقْصَى صَباً غَيْرُ قَـرَّةٍ، تَـذَاءَبَ مِنْهَـا مُـرْزِغٌ وَمُسيـلُ[3]
وأعْلَمُ عِلْمـاً لَيْسَ بِـالـظَّنِّ أَنَّـهُ إِذَا ذَلَّ مَـوْلَىٰ المَـرْءِ فَهُـوَ ذَلِيـلُ[4]
وأَنَّ لِسَـانَ المَـرْءِ ـ مـا لَمْ تَكُنْ لَـهُ حَصَـاةٌ ـ عَلَىٰ عَـوْرَاتِـهِ لَـدَلِيـلُ[5]
وأَنَّ امْـرَأً لَمْ يَعْفُ يَوْمـاً ـ فُكَاهَـةً ـ لِمَنْ لَمْ يُـرِدْ سـوءاً بِـهِ لَجَهُولُ[6]

والبيت الذي قبل الأخير وَعَجُزُ ما قبله مما يُتَمَثَّل به.

ومن شعره قوله في هجاء قومه:

أَسْلَمَنِي قَـوْمِي ـ ولَمْ يَغْضَبُـوا ـ لِـسَـوْءَةٍ حَلَّتْ بِـهِـمْ فَـادِحَـهْ[7]

---

(١) تشي: فعل مضارع من الوشاية، وماضيه وشى.
(٢) الأدنى الأقرب (الشمال) ريح تهب من جهة الشمال (العرية) الريح الباردة (شآمية) تأتي من جهة الشام، لأن بلاد الشام هي في شمال الجزيرة (تزوي) أي تقبض الوجوه وتكلّحها لشدة بردها، والماضي منه زوى (بليل) فيها بلل أي رطوبة، والبليل هي الريح الباردة مع ندى.
(٣) الأقصى: الأبعد (الصبا) ريح تهب من مطلع الثريا إلى بنات نعش (غير قرّة) غير باردة (تذاءب) أتى من كل جانب (المرزغ) مطر يرزغ الأرض أي يجعل عليها وحلاً قليلاً. والرَّزَغة الوحل القليل (المسيل) أراد به المطر الذي يسيل السيل على وجه الأرض ـ يصفه بأنه ضار بأقربائه نافع للبعداء عنه.
(٤) المولى: يُطلق على السيد والعبد وابن العم، والمراد به هنا الأخير.
(٥) الحصاة: العقل.
(٦) فكاهة: عن طيب نفس. يقال: فَكِه الرجل، من باب علم أي كان طيّب النفس ضحوكاً يحب المزاح، فهو فَكِه.
(٧) السوءة: الفاحشة والخصلة القبيحة (فادحة) عظيمة باهظة صعبة. يقال: فَدحَه الأمر والحمل والدين أي أثقله وبهظه.

وكُــلُّهُــمْ أَرْوَغُ مِــنْ ثَــعْــلَبٍ مــا أَشْبَــهَ اللَّيْـلَةَ بِــالبَــارِحَــهْ[1]

وصدر البيت الثاني مما يُتمثَّل به أيضاً. وكذا عَجزُهُ.

وقوله في وصف الخيل:

وَلَقَـدْ شَهِدْتُ الخَيْـلَ وَهِيَ مُغِيرَةٌ، وَلَقَـدْ طَعَنْتُ مَجَامِعَ الـرَّبَـلاَتِ[2]
رَبَــلاَتِ جُـودٍ تَحْتَ قَــدٍّ بَـارِعٍ ، حُلْوِ الشَّمَـائِلِ ، خَيِّـرِ الهَلَكَـاتِ[3]
رَبَـلاَتِ خَيْـلٍ مَـا تَـزَالُ مُغِيــرَةً، يَقْــطُرْنَ مِنْ عَلَقٍ عَلَىٰ الـثنَّــاتِ[4]

١

وقوله:

وَتَـقُــولُ عــاذِلَتِـي ـ وَلَـيْسَ لَـهَــا بَـغَــدٍ وَلاَ مَــا بَـعْــدَه عِــلْمُ ـ:[5]
إنَّ الــثَّــراءَ هُــوَ الــخُــلُودُ، وإنَّ المَـرْءَ يَكْـرِبُ يَـوْمَـهُ العُـدْمُ[6]
ولَئِـنْ بَنَـيْتُ إلَـى الـمُـشَـقَّــرِ فـي هِضَبٍ تُقَصِّــرُ دُونَـهَــا العُـصْمُ[7]

---

(١) أروغ: أحيل وأمكر وأخدع. يقال: راغ الرجل والثعلب عن الطريق روْغاً وروَغاناً، أي حاد عنه هكذا وهكذا مكراً وخديعة.

(٢) الربلات: جمع ربلة وهي أصول الأفخاذ.

(٣) القد: القامة (بارع) فائق جميل (الشمائل) الطباع، ومفردها شمال بكسر الشين (الخير) الفاضل المختص بالخير (الهلكات) السنين المجدبة ـ أراد أنه ذو خيرات في السنين ذات القحط والجدب. ومفرد الهلكات هَلَكة وتجمع أيضاً على هَلَكٍ.

(٤) العلق: الدم (الثّنات) جمع ثنة وهي الشعرات التي في مؤخر رسغ الدابة فإذا طالت تكاد تبلغ الأرض.

(٥) عاذلتي: لائمتي، وأراد من تلومه على عدم ادخاره المال والعذل: اللوم.

(٦) الثراء: كثرة المال والغنى (يكرب) يدني ويقرّب (يومه) يوم وفاته (العدم) الفقر.

(٧) المشقر: محل في أرض اليمامة (الهِضب) جمع هضبة وهي الجبل من صخرة واحدة أو هي الجبل المنبسط على وجه الأرض، وتجمع أيضاً على هضبَات وهضَب وهِضاب (العصم) جمع أعصم وهو الظبي والوعل الذي في ذراعيه أو في إحداهما بياض.

لَتُنَقِّبَنْ عَنِّي المَنِيَّةُ، ـ إِنَّ اللهَ لَيْسَ لِحُكْمِهِ حُكْمُ[1]

وله البيت المشهور الذي جرى مجرى المثل وليس هو من معلقته:

عَنِ المَرْءِ لَا تَسْأَلْ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ، فَكُلُّ قَرِينٍ بِالمُقَارِنِ يَقْتَدِي

ومن جيد شعره قوله:

أَلْخَيْرُ أَبْقَى، وإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ، والشَّرُّ أَخْبَثُ مَا أَوْعَيْتَ مِنْ زَادِ[2]

ومن شعره قوله ـ وهو في السجن ـ يخاطب (عمرو بن هند)، من قصيدة:

أَبَا مُنْذِرٍ كَانَتْ غُروراً صَحِيفَتِي، وَلَمْ أُعْطِكُمْ بِالطَّوْعِ مَالِي وَلَا عِرْضِي

أَبَا مُنْذِرٍ، أَفْنَيْتَ. فَاسْتَبْقِ بَعْضَنَا حَنَانَيْكَ، بَعْضَ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

وقوله: «بعض الشرأهون من بعض» مما يُتمثَّل به.

وله البيت المشهور:

---

(١) تنقّب: تبحث (المنية) الموت ـ والمعنى: أني لو بنيت في مكان مرتفع تقصر عن الوصول إليه الظباء والوعول فإن الموت يبحث عني ويوافيني ولا يحول بيني وبينه الغنى وكثرة المال. فالغني والفقير في موافاة الأجل سواء.

(٢) أوعى الشيء: وضعه في وعاء.

لَعَمْرُكَ مَا تَدْرِي الطَّوَارِقُ بِالحَصَى وَلا زَاجِـرَاتُ الطَّيْـرِ ما الله فـاعِلُ[1]

وقد قال (طرفة) الشعر وهو صغير. وقد رويَ عنه أنه خرج مع عمه في سفرٍ وهو ابن سبع سنين. فنزلوا على ماء فذهب (طرفة) بفخ له إلى مكان يقال له (مَعمر). فنصبه للقنابر. وبقي عامة يومه. فلم يصد شيئاً. ثم حمل فخّه وعاد إلى عمه. فحملوا ورحلوا من ذلك المكان، فرأى القنابر يلقطنَ ما نثر لهنَّ من الحب، فقال، وهو أول شعر قاله:

يَـا لَـكِ مِنْ قُبَّـرَةٍ بِـمَعْـمَــرِ! ، خَلاَ لَكِ الجَوُّ، فَبيضي واصْفِرِي[2]
وَنَـقِّــرِي مَــا شِئْـتِ أَنْ تُـنْـقِّــرِي قَـدْ ذَهَبَ الصَّيَّادُ عَنْـكِ، فَابْشِـرِي
وَرُفِــعَ الفَـخُّ، فَمَــاذَا تَحْـذَرِي؟ لا بُـدَّ يَوْمـاً أَنْ تُصادي، فَـاصْبِرِي

معلقته وسبب نظمها:

معلقتـه أحسن شعره بـلا ريب، فقد أتى فيهـا بالمبـدع من الوصف والحكمـة والمـوعـظة والعتـاب، وفيهـا يشبـه حـدوج[3] حبيبتـه بـالسفن السابحة، ويصف ناقته وصفاً جميلاً دقيقاً يوهم السامع أنه يصف حبيبته ثم لا يلبث أن يعـدل عما تـوهّـم. وقد وصف كـل عضو من أعضـائهـا حتى ذيلها وقلبها، ثم انتقل إلى الحكمة والموعظة والعتاب.

وقـد ذكروا في سبب نـظمها أن أخـاه (معبداً) كـانت لـه إبـل ضلت

---

(١) الطرق بالحصى: كناية عن التكهن لإدراك الغيب. ومثله زجرُ الطير: كانوا يطيرون الطائر فإن طار إلى يمين المطير استبشر، وإن طار إلى يساره استنكر.
(٢) القبّرة وقد يقال القنبرة والقُنْبُراء: نوع من العصافير. والجمع قنابر.
(٣) الحدوج: جمع حِدج وهو مركب من مراكب النساء كالهودج.

فذهب (طرفة) إلى ابن عمه (مالك) ورغب إليـه أن يعينه في طلبهـا. فقال له: «فرَّطت فيها ثم أقبلت تتعب في طلبها». فهاجت قريحتـه لذلـك وقال معلقته. وفيها يعاتبه على تعنيفه وعذلـه، ويأسف لأنـه لا يقدر على أن يـردَّ عليه ملامته وتعنيفه لمكانته عنده. وقد ندَّد فيها أيضاً بأعمامه لأنهم كانوا قد ظلموا حقه، وأبوا قسمة ماله بعد وفاة أبيه وهو صغير.

ولما بلغت القصيدة ابن عمه (عمرو بن مَرْثَد) وسمع قوله فيها:

وَلَوْ شَاءَ رَبِّي كُنْتُ قَيْسَ بْنَ خَـالِدٍ، وَلَوْ شَاءَ رَبِّي كُنْتُ عَمْـرَو بْنَ مَرْثَـدِ

وجَّهَ إلى (طرفة) يقول له: «أما الولد فالله يعطيكم، وأما المال فسنجعلك فيه أسوتنا». ودعا ولده ـ وكانوا سبعة ـ فأمرهم فدفع كـل منهم إلى (طرفة) عشرة من الإبل، ثم أمر ثلاثة من بني بنيه فدفعوا له مثل ذلك.

* * * * * *

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

نخبة من معلقته

لِخَـوْلَـةَ أَطْـلَالٌ بِبُـرْقَـةِ ثَهْمَـدِ، تَلُوحُ كَبَاقِي الوَشْمِ فِي ظَاهِرِ اليَدِ[1]
وُقـوفاً بِهَـا صَحْبِي عَلَيَّ مَـطِيَّهُمْ، يَقُـولُـونَ لَا تَهْلِكْ أَسًى وَتَجَلَّدِ[2]
كَـأَن حُدوجَ المَـالِكِيَّةِ ـ غُـدْوَةً ـ خَـلَايَا سَفِينٍ بِـالنَّـوَاصِفِ مِنْ دَدِ[3]
عَـدَوْلِيَّةٌ، أَوْ مِنْ سَفينِ ابْنِ يَـامِنٍ، يَجُورُ بِهَا المَلَّاحُ طَوْراً، ويَهْتَدِي[4]
يَشُقُّ حَبَـابَ المَاءِ حَيْزومُهَـا بِهَـا، كَمَـا قَسَمَ التُّرْبَ المُفَـايِلُ بِـاليَـدِ[5]

---

(١) خولة: اسم امرأة (الأطلال) جمع طلل، وهو ما شخص من آثار الديار أي ارتفع عن الأرض حتى يرى (برقة ثهمد) موضع لبني دارم (تلوح) تبدو وتظهر (الوشم) غرز الإبرة في البدن وذرُّ شيءٍ كالكحل مكانها.

(٢) قد توافق طرفة وامرؤ القيس على هذا البيت مع اختلاف القافية. وقد تقدم شرحه في الصفحة (١٠٣) (والتجلدُ) تكلُّف الجلادة والصبر.

(٣) الحدوج: جمع حِدْج وهو مركب من مراكب النساء كالهودج (المالكية) امرأة منسوبة إلى سعد بن مالك (الخلايا) جمع خَليَّة وهي السفينة العظيمة (السفين) جمع سفينة. وإضافة الخلايا للسفن من إضافة الخاص إلى العام (النواصف) جمع ناصفة، وهي مسيل الماء إلى الوادي (دد) اسم موضع.

(٤) عدولية منسوبة إلى عدولي وهي قرية بالبحرين. ويجوز فيها الرفع على أنها صفة لخلايا والجر على أنها صفة لسفين (ابن يامن) كان ملاحاً من أهل البحرين (يجور) يميل عن الطريق والمعنى يضل عنها.

(٥) الحباب: فقاقيع الماء التي تعلو وجهه (الحيزوم) الصدر وجمعه حيازيم (المفايل) صانع الفيال وهي لعبة لفتيان العرب وذلك إنهم يكوّمون تراباً أو رملاً ثم يخبئون فيه خبيئاً ثم =

وإنّي لأُمْضي الهَمَّ عِنْدَ احْتِضَارِهِ ... بِعَوْجَاءَ مِرْقَالٍ، تَرُوحُ وَتَغْتَدِي[1]
تُبَارِي عِتَاقاً نَاجِيَاتٍ، وَأَتْبَعَتْ ... وَظيفاً وَظيفاً فَوْقَ مَوْرٍ مُعَبَّدِ[2]
صُهابِيَّةُ العُثْنونِ، مُوجَدَةُ القَرَا، ... بَعِيدَةُ وَخْدِ الرِّجْلِ، مُوَّارَةُ اليَدِ[3]
وَأَتْلَعُ نَهَّاضٌ (إذَا صَعَّدَتْ بِهِ) ... كَسُكَّانِ بُوصِيٍّ بِدِجْلَةَ مُصْعِدِ[4]

* * * * * *

إِذَا القَوْمُ قَالوا: مَنْ فَتًى؟ خِلْتُ أَنَّني ... عُنيتُ، فَلَمْ أَكْسَلْ وَلَمْ أَتَبَلَّدِ[5]

= يشق المفايل بيده الكومة قسمين فيقول: في أي الجانبين خبّأتُ؟ فإن أصاب المجيب غَلب وإلا قُمر.

(١) أمضي: أنفذ (الهم) العزيمة والإرداة (الاحتضار) الحضور (العوجاء) الناقة الضامرة (مرقال) مسرعة (الرواح) الذهاب وقت العشي (الاغتداء) الذهاب وقت الغداة - يريد أنها تصل سير العشي بسير الغداة فهي صابرة على السير.

(٢) باراه يباريه مباراة: عارضه وفعل مثل فعله على سبيل المغالبة (العتاق) جمع عتيق وهو الكريم من الخيل والإبل (الناجيات) السريعات في سيرها (الوظيف) ما بين الرسغ إلى الساق (المور) الطريق المستوي الموطوء، سُمي بذلك لأنه يمار عليه أن يتحرّك ذهاباً وإياباً (معبّد) موّطأ مذلل بكثرة المشي عليه.

(٣) صهابية العثنون: شقراؤه. يقال: صهِب الشعر صَهَباً وصُهبة وصهُوبة. - من باب علم - إن كان فيه شقرة أو حمرة (العثنون) شعرات طوال تحت حنك البعير (موجدة القرا) قوية الظهر (الوخد) نوع من السير وهو أن يرمي البعير بقوائمه كمشي النعام (موّارة) كثيرة المور أي الحركة.

(٤) الأتلع: العنق الطويل. يقال: أتلع الرجل أي مد عنقه متطاولاً وتلع أي طالت عنقه (نهّاض) كثير النهوض (صعدت به) رفعته (السكان) هو ذنب السفينة لأنها به تُقوَّم وتسكن. وأراد بالسكن هنا الخشبة الطويلة أي التي تُشدُّ في وسط السفينة يُمدُّ عليها الشراع وتسمى «الدَقل» - (البوصي) نوع من السفن والكلمة معربة (دجلة) نهر معروف ببغداد (مصعد) سائر. يقال: اصعدت السفينة أي مدَّت شراعها فذهبت بها الريح.

(٥) من فتى أي مَنِ الفتى المدّخر للأمر العظيم؟ (خلت) ظننت، هذا أصل معناها وأراد بها هنا معنى علمتُ وتيقنت والدليل قرينة الحال والمقام (عُنيت) قُصدت.

وَلَسْتُ بِحَلَّالِ التِّلاعِ مَخَافَةً ، وَلَكِنْ مَتَى يَسْتَرْفِدِ القَوْمُ أَرْفِدِ(١)

فَإِنْ تَبْغِنِي فِي حَلْقَةِ القَوْمِ تَلْقَنِي ، وَإِنْ تَلْتَمِسْنِي فِي الحَوَانِيتِ تَصْطَدِ(٢)

وإِنْ يَلْتَقِ الحَيُّ الجَمِيعُ تُلاَقِنِي إِلَى ذُرْوَةِ البَيْتِ الشَّرِيفِ المُصَمَّدِ(٣)

وما زالَ تَشْرابي الخُمُورَ وَلَذَّتِي وبَيْعِي وإِنْفَاقِي طَرِيفي وَمُتْلَدِي(٤)

إِلَى أَنْ تَحَامَتْنِي العَشِيرَةُ كُلُّها وأُفْرِدْتُ إِفْرَادَ البَعِيرِ المُعَبَّدِ(٥)

رَأَيْتُ بَنِي غَبْرَاءَ لاَ يُنْكِرُونَنِي وَلاَ أَهْلُ هَذَاكَ الطِّرَافِ المُمَدَّدِ(٦)

أَلاَ أَيُّهَذَا الزَّاجِرِي أَحْضُرَ الوَغَى وأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَّاتِ ، هَلْ أَنْت مُخْلِدِي(٧)

فَإِنْ كُنْتَ لاَ تَسْتَطِيعُ دَفْعَ مَنِيَّتِي فَدَعْنِي أُبَادِرْهَا بِمَا مَلَكَتْ يَدي(٨)

---

(١) التلاع: جمع تلعة وهي مجرى الماء من أعلى الأرض إلى بطون الأودية. وهي أيضاً المرتفع من الأرض والمنخفض منها فهي من الأضداد، والمعنى لست أنزل مكاناً غير معروف بحيث لا يراني من يطلبني (يسترفد القوم) يطلبون رفدي وعطائي (ارفد) أُعط.

(٢) تبغني: تطلبني: (حلقة القوم) حيث يجتمعون حلقات (تلتمسني) تطلبني (الحوانيت) جمع حانوت وهو مكان مبيع الخمر.

(٣) الحي: القبيلة (الجميع) المجتمع (ذروة الشيء) بتثليث الذال: اعلاه (المصمَّد) هو من يقصده الناس بحاجاتهم، ومثله الصمد.

(٤) التشراب: كثرة الشرب (الطريف) المال المستحدث الذي يجنيه الإنسان بنفسه وسعيه (المتلد) المال القديم الموروث، ومثله التليد والتالد.

(٥) تحامتني: تجنَّبتني (أفردت) تُركت منفرداً (المعبَّد) المذللَّ بسبب ما أصابه من الجرب.

(٦) بنو غبراء: الفقراء المحاويج. والغبراء الأرض (الطراف) البيت من الجلد (الممدَّد) المدود بالأطناب.

(٧) الزجر: المنع (أحضر) مضارع منصوب بأن المحذوفة على غير قياس، والأصل أن أحضر (الوغى): الحرب، وهي في الأصل أصوات المقاتلين فيها (خلدي) أي جاعلي خالداً في هذه الحياة من غير موت.

(٨) المنية: الموت «أبادرها» أعاجلها.

أَرَى قَبْــرَ نَحَّــامٍ بَخيــلٍ بِمَــالِــهِ كَقَبْـرِ غَوِيٍّ فِي البَـطَالَةِ مُفْسِـدِ:(١)
تَـرَىٰ جُثْـوَتَيْنِ مِنْ تُـرَابٍ، عَلَيْهِمَـا صَفَائِحُ صُمٌّ مِنْ صَفِيحٍ مُنْضَّـدِ(٢)
أَرَى المَوْتَ يَعْتَامُ الكِرَامَ، وَيَصْطَفِي عَقِيلَةَ مَالِ الفَـاحِشِ المُتَشَـدِّدِ(٣)
أَرَى العَيْشَ كَنْـزاً نَـاقِصـاً كُـلَّ لَيْلَةٍ وَمَـا تَنْقُصِ الأَيَّامُ والـدَّهْرُ يَنْفَـدِ(٤)
لَعَمْرُكَ إِنَّ المَوْتَ ـ مَا أَخطَأَ الفَتَى ـ لَكَالطِّوَلِ المُرْخَى وثِنْيَاهُ بِـاليَدِ:(٥)
مَتَى مـا يَشَـأْ يَـوْمـاً يَقُــدْهُ لِحَتْفِـهِ ومَنْ يَـكُ فِي حَبْـلِ المَنِيَّـةِ يَنْقَـدِ(٦)
فَمـا لي أَرَانِي وابْنَ عَمِّي مَالِكـاً؟، مَتَى أَدْنُ مِنْــهُ يَنْــأَ عَنِّي ويَبْعُــدِ(٧)
يَلُومُ، وَمَــا أَدْرِي عَـلامَ يَلُومُنِي؟، كَمَا لَامَنِي فِي الحَيِّ قُرْطُ بْنُ أَعْبَدِ(٨)
وأَيْــأَسَنِي مِنْ كُـلِّ خَيْـرٍ طَلَبْتُــهُ، كَـأَنَّـا وَضَعْنَـاهُ إِلَى رَمْسٍ مُلْحَـدِ(٩)

---

(١) النحام: البخيل الذي إذا سُئل نحم أي تنحنح «الغوي» الضال عن طريق الصواب.
(٢) الجثوة: بتثليث الجيم: الكومة من التراب أو الحجارة (الصفائح) الحجارة العريضة ومفردها صفيحة (صمّ) صلاب، ومفردها للمذكر اصمّ وللمؤنث صمّاء (الصفيح) وجه كل شيء عريض وأراد به معنى الصفائح (منضد) مفروش مضموم بعضه إلى بعض. يقال: نضدَ المتاع ونضَّده أي ضمَّ بعضه إلى بعض مُتسقاً أو مركوماً.
(٣) يعتام يختار، ومثله يصطفي (عقيلة كل شيء) خياره (الفاحش) الشديد البخل (المتشدد) المبالغ والمراد بها هنا المبالغ في الحرص على ماله والمحافظة عليه محافظة شديدة.
(٤) العيش: أراد به العمر (ينفد) يفنَ فلا يبقى منه شيء.
(٥) الطِّوَل: الحبل الطويل تُشدُّ به قائمة الدابة (المرخى) المطوَّل (ثنياه) طرفاه. والمعنى أن الموت مهما أخطأ الإنسان فهو لا بد آتيه. وقد ضرب لذلك مثلاً الدابة المربوطة بحبل فمهما طوَّل لها صاحبها وتركها ترعى فهو لا بدَّ أن يجذبها إليه متى حان وقت انصرافه. وكذلك الإنسان لا بد أن يقوده الموت بحبله.
(٦) يقده: يجره (الحتف) الموت «ينقد» ينجرُّ، يقال: إنقاد الشيء ينقاد انقياداً.
(٧) دنا يدنو دنُواً: قرب «نأى ينأى نأياً» بعد.
(٨) على أي شيء؛ فعلى حرف جر وما استفهامية وحُذفت ألفها تخفيفاً، كما هي القاعدة فيها إذا دخل عليها حرف الجر.
(٩) أيْأسني: جعلني يائساً قانطاً «الرمس» القبر «الملحد» الموضع في اللحد. والمعنى إنه قطع حبل رجائي وأملي فلم يكن ليرجى منه خير كما لا يرجى شيء من الميت.

عَلَى غَيْـرِ شَيْءٍ قُلْتُـهُ، غَيْـرَ أَنَّني نَشَدْتُ - فَلَمْ أُغْفِلْ - حَمولَةَ مَعْبَدِ(١)

وظُلْم ذَوِي القُـرْبَى أَشَدُّ مَضَـاضَـةً عَلَى المَرْءِ مِنْ وَقْعِ الحُسَامِ المُهَنَّدِ(٢)

أَنَا الرَّجُلُ الضَّرْبُ الَّذِي تَعْرِفُـونَهُ، خَشاش كَرَأْسِ الحَيَّـةِ المُـتوَقِّـدِ(٣)

فَـآلَيْتُ لَا يَنْفَـكُّ كَشْحِي بِـطَانَـةً لِعَضْبٍ، رَقِيقِ الشَّفْـرَتَيْنِ، مُهَنَّدِ(٤)

حُسـامٌ، إِذَا ما قُـمْتُ مُنْتَصِـراً بِـهِ كَفَى العَوْدَ مِنْهُ البَدْءُ، لَيْسَ بِمِعْضَدِ(٥)

أَخي ثِقَـةٍ لا ينثني عَن ضَـريبَـةٍ، إِذَا قيل: مَهْلاً، قال حَاجِزُهُ: قَدي(٦)

إِذَا ابْتَـدَرَ القَـوْمُ السِّـلَاحَ وَجَـدْتَنِي مَنيعـاً، إِذَا بَلَّتْ بِقَـائِمِـهِ يَـدي(٧)

---

(١) نشد الضائع: طلبه وبحث عنه «الحمولة» الإبل التي يُحمل عليها «معبد» هو أخو طرفة.

(٢) المضاضة ألم المصيبة في القلب. يقال: امضّه الأمر أي أحرقه وأوجعه وآلمه «وقع الحسام» نزوله وشدة ضربته. والحسام: السيف القاطع «المهند» السيف المصنوع في الهند، وكان للهنود حذق في صنع السيوف ومهارة فائقة.

(٣) الضرب: الرجل الخفيف اللحم، والرجل الماضي في أمره. والمعنى على الأول «الخشاش» بفتح الخاء هو الرجل الماضي في أمره. أما بكسر الخاء فهي حية الجبل كما أن الأفعى حية السهل. ومن معنى الخشاش المكسور الخاء: حشرات الأرض والعصافير ونحوها «المتوقد» الكثير الحركة. والتوقد في الأصل هو اشتعال النار.

(٤) آليت: حلفت، والألِيَّة: الحلف «الكشح» ما بين الخاصرة إلى الضلع الخَلْف وعليه يكون السيف «البطانة» للثوب ما يلي منه الجسد «العضب» السيف.

(٥) المعضد: السيف المتخذ لقطع الأشجار. يقول: إذا قمت منتصراً بهذا الحسام فلا احتاج إلى أن اضرب به أكثر من ضربة واحدة، فإذا بدأت بضربة كفتني أن أعود إلى ثانية.

(٦) أخي ثقة: موثوق به معتمد عليه «لا ينثني» لا يرجع «الضريبة» المضروبة. أي لا ينبو عما تضربه به فيرجع خائباً «الحاجز» المانع والمراد به حامله «قدي» حسبي. أي إذا قال قائل للضارب به مهلاً فلا تضرب ثانية قال له: كفتني الضربة الأولى.

(٧) ابتدروا السلاح: استبقوا إليه «بلّت» لصقت «قائم السيف وقائمته» مقبضه.

فَــإِنْ مُــتُّ فَــانْعَــيْنِــي بِمَــا أَهْــلُهُ وَشُقِّي عَلَيَّ الجَيْبَ، يَا ابْنَةَ مَعْبَدِ[1]
وَلاَ تَجْعَلِينِي كَـامْـرِىءٍ لَيْسَ هَمُّــهُ كَهَمِّي، وَلا يُغْنِي غَنائِي وَمَشْهَدِي[2]
بَطِيءٍ عَنِ الجُلَّى ،سَرِيعٍ إِلَى الخَنَا، ذَلُولٍ بِأَجْمَـاعِ الرِّجَـالِ، مُلَهَّدِ[3]
فَلَوْ كُنْتُ وَغْلاً فِي الرِّجَـالِ لَضَرَّنِي عَدَاوَةُ ذِي الأَصْحَابِ، والمُتَـوَحِّدِ[4]
وَلَكِنْ نَفَى عَنِّي الـرِّجَـالَ جَـرَاءَتِي
عَلَيْهِمْ، وإِقْدَامِي، وصِدْقِي، ومَحْتِدِي[5]
لَعَمْــرُكَ مَــا أَمْــرِي عَـلَيَّ بِغُـمَّــةٍ نَهَـارِي، وَلاَ لَيْلِي عَلَيَّ بِسَـرْمَـدِ[6]
أَرى المَوْتَ أَعْدَادَ النُّفُوسِ، وَلاَ أَرَى
بَعِيداً غَداً، مَا أَقْرَبَ اليَوْمَ مِنْ غَدِ![7]
سَتُبْدِي لَكَ الأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَـاهِلاً، وَيَـأْتِيـكَ بِـالأَخْبَـارِ مَنْ لَمْ تُـزَوِّدِ[8]
وَيَـأْتِيـكَ بِـالأَخْبَـارِ مَنْ لَمْ تَبِـعْ لَـهُ بَتَاتاً، وَلَمْ تَضْرِبْ لَهُ وَقْتَ مَـوْعِدِ[9]

---

(١) النعي: إشاعة خبر الموت. والناعي والنعيُّ هو الـذي يأتي بهـذا الخبر (الجيب) من القميص هو الذي يدخل منه الرأس «ابنة معبد» ابنة أخيه معبد.
(٢) همه: عزمه وقصده «يغني غنائي» «ينفع نفعي» «مشهدي» أي ولا يشهد شهودي.
(٣) الجلّى: الأمر الجليل العظيم «الخنا» الفحش «ذلول» ذليل «الإجماع «جمع جَمْعٍ وهو قبض الرجل أصابعه ليضرب بها. وضربة الجمع هي أن يفعل الرجل كذلك «ملهّد» مدفَع يدفعه الناس.
(٤) الوغل: الضعيف النذل اللئيم «المتوحد» المنفرد عن غيره.
(٥) نفى: باعد «المحتد» الأصل في النسب.
(٦) غمة: مُبهم ملتبس «السرمد» الدائم.
(٧) أي أرى الموت على قدر عدد النفوس.
(٨) لم تزوّد أي لم تعطه زاداً والزاد طعام السفر. والمعنى أنه يأتيك بالأخبار من لم تعطه الزاد ليسافر ويأتيك بها، بل يجيئك بها على غير قصد.
(٩) لم تبع له: لم تشترِ لأجله «البتات» الزاد أو ما يدخره الرجل لسفره من زاد ومركب وما يصلح لسفره. وهو بمعنى البيت الأول.





زهير بن أبي سلمى

توفي سنة (٦٣١) لميلاد المسيح عليه السلام

هو (زُهير بن أبي سُلمى)، واسم أبي سُلمى (ربيعة بن رياح بن قرَّة بن الحارث بن مازن)، وينتهي نسبه إلى (مُضَر بنِ نِزار بن مَعَدِّ ابن عَدْنان).

وهو أحد الثلاثة المقدَّمين على سائر الشعراء، وإنما اختلفوا في تقديم أحد الثلاثة على صاحبيه. وأما الثلاثة فلا اختلاف فيهم، وهم (امرؤ القيس) و(زُهير) و(النابغة الذبياني).

حدَّث (عِكرمة بن جرير) قال: «قلت لأبي: يا أَبتي، مَن أَشعرُ الناس؟»، قال: «أَعَن الجاهلية تسألني أم عن الإسلام؟»، قلت: «ما أردت إلا الإسلام، فإذا ذكرتَ الجاهلية فأخبرني عن أهلها»، قال: «زُهير أشعر أهلها». قلت: «فالإسلام؟»، قال: «الفرزدق نَبعة الشعر»[1]. قلت: «فالأخطل؟»، قال: «يُجيد مدح الملوك، ويُصيب صفة الخمر». قلت: «ما تركت لنفسك؟»، قال: «نحرتُ الشعر نحراً».

(١) النبعة في الأصل: هي واحدة النَّبع، وهو شجر تتخذ منه القِسيّ ومن أغصانه السهام. وأراد بنبعة الشعر أصله ومصدره.

وسُئل (العباس بن الأحنف بن قيس) عن أشعر الشعراء فقال: «زهير». قيل: «وكيف؟»، قال: «ألقى عن المادحين فُضول الكلام». قيل: «مثل ماذا»؟ قال مثل قوله:

فَمَا يَكُ مِنْ خَيْرٍ أَتَوْهُ فَإِنَّمَا ... تَوَارَثَهُ آبَاءُ آبَائِهِمْ قَبْلُ

قال (ابن عباس): خرجت مع (عمر بن الخطاب) - رضي الله عنهما - في أول غزاة غزاها. فقال لي: «أنشدني لشاعر الشعراء» قلت: «ومن هو يا أمير المؤمنين؟» قال: «ابن أبي سلمى» قلت: وبمَ صار كذلك؟، قال: «لأنه لا يتَّبعُ حُوشيَّ الكلام، ولا يعاظل في المنطق[1]، ولا يقول إلا ما يعرف، ولا يمتدح أحداً إلا بما فيه. أليس هو الذي يقول:

إِذَا ابْتَدَرَتْ قَيْسُ بْنُ عَيْلَانَ غَايَةً ... مِنَ المَجْدِ (مَنْ يَسْبِقْ إِلَيْهَا يُسَوَّدِ)[2]
سَبَقْتَ إِلَيْهَا كُلَّ طَلْقٍ، مُبَرِّزٍ، ... سَبُوقٍ إلى الغَايَاتِ، غَيْرِ مُزَنَّدِ[3]
فَلَوْ كَانَ حَمْدٌ يُخْلِدُ النَّاسَ لَمْ تَمُتْ ... ولَكِنَّ حَمْدَ النَّاسِ لَيْسَ بِمُخْلِدِ

أنشِدني. فأنشدته حتى برق الفجر. فقال: «حَسبُكَ الآن. فاقرأ القرآن». قلت: «وما أقرأُ؟»، قال: «اقرأ الواقعة». فقرأتها، ونزل فأذَّن وصلَّى.

---

(١) المعاظلة تعقيد الكلام وابهامه.
(٢) ابتدورا الشيء استبقوا إليه «يسوّد» يُجعل سيداً.
(٣) الطلق: الظبي أي الغزال وجمعه اطلاق. فلان طَلْق اليدين، أي سخي كريم «المزنّد» هو البخيل.

وقد روي أن النبيّ - ﷺ - نظر إلى (زهير) وله مئة سنة، فقال: «اللهم أَعِذْني من شيطانه» فما لاك بعدها بيتاً حتى مات.

وكان (زهير) سيداً كثير المال حليماً معروفاً بالورع.

وكان من حديث (زهير) وأهل بيته أنهم كانوا من (مُزَيْنة) إحدى قبائل مضر. وكان يقيم هو وأبوه وولده في منازل بني (عبد الله بن غطفان) بالحاجز من (نجد). وأول من نزل هناك منهم أبوه (أبو سلمى) لأنه تزوج امرأة من بني (فهر بن مُرَّة من ذبيان بن غطفان) فولدت له (زهيراً) و (أوساً) و تزوج (زهير) امرأة من (سُحَيم بن مرة). ولذلك كان يذكر في شعره بني (مرة وغطفان) ويمدحهم.

وكان من أمر أبيه (أبي سُلمى) أنه خرج وخاله (أسعد بن الغُرَير ابن مرة الذبياني) وابنه (كعب بن أسعد) في ناسٍ من (بني مرة) يُغيرون على (طيء). فأصابوا نَعماً كثيراً وأموالاً، فرجعوا حتى انتهوا إلى أرضهم. فقال (أبو سلمى) لخاله (أسعد) وابن خاله (كعب): افردا لي سهمي، فأبيا عليه ومنعاه حقه، فكفَّ عنهما. حتى إذا كان الليل أتى أمه، فقال لها: «والذي أحلف به لتقومنَّ إلى بعير من هذه الإبل فلتقعِدنّ عليه، أو لأضربنَّ بسيفي تحت قُرْطَيْكِ». فقامت أمه إلى بعير منها فانتقت سَنامه[1]. وساق بها (أبو سلمى) حتى انتهى إلى قومه (مُزَينة). فلبثت فيهم حيناً. ثم أقبل (بمزينة) مُغيراً على بني (ذبيان) حتى إذا (مُزينةُ) أسهلت[2] وخلفت بلادها ونظروا إلى أرض

(١) سنام الجمل: ما ارتفع من ظهره.
(٢) أي صارت في السهل.

(غَطفان) تطايروا عنه راجعين وتركوه وحده. وأقبل حين رأى ذلك من (مزينة) حتى دخل في أخواله (بني مرة) فلم يزل هو وولده في (بني عبد الله بن غطفان).

نشأ (زهير) فيهم، وهناك قال قصيدته المعلقة يذكر فيها قتل (وَرْد بن حابس) العبسي (هَرِمَ بنَ ضَمْضَم) المري، ويمدح فيها (هَرِمَ ابنَ سِنَان بن أَبي حارثة) و(الحارث بن عوف) و(سعد بن ذبيان) المُرّيَّيْنِ لأنهما احتملا ديته من مالهما.

وكان (زهير) بعد ذلك يكثر من مدح (هرم) وأبيه (سنان) وله فيهما قصائد غُر. فحلف (هَرِمِ) أن لا يمدحه إلا أعطاه «ولا يسأله إلا أعطاه ولا يسلم عليه إلا أعطاه عبداً أو وليدة أو فرساً. فاستحيا (زهير) من كثرة بَذله له على كل حال، وجعل يتجنب مقابلته.

وكان إذَا رَآه في محفل قال: «عِموا صباحاً غيرَ (هرم)، وخيرَكم استثنيت). وسيأتي ذكر طُرَف من مدائحه فيه عند الكلام على شعره.

وسأل (عمر بن الخطاب) ـ رضي الله عنه ـ أحد أولاد (زهير): «ما فعلتِ الحُلَلُ التي كساها (هَرِم) أباك؟»، قال: «قد أبلاها الدهر». قال عمر: ولكن الحُلَلَ التي كساها أبوك (هَرِماً) لم يُبلها الدهر».

ويروى عنه أيضاً أنه قال لبعض ولد (هرم): «أنشدني بعض مدح (زهير) أباك، فأنشده». فقال: «إنه كان ليُحسنُ فيكم المدح». قال: «ونحن والله كنا لنُحسنُ له العطية». قال: «قد ذهب ما أعطيتموه وبقيَ ما أعطاكم».

وقيل: لم يترك (زهير) من آل (أبي حارثة) وهو جد (هرم) غنياً ولا فقيراً إلا مدحه.

موت زهير:

كان (زهير) قد رأى في منامه في آخر عمره أن آتياً أتاه فحمله إلى السماء حتى كاد يمسُّها بيده، ثم تركه فهوى إلى الأرض، فلما احتُضر قصَّ رؤياه على ولده (كعب). ثم قال: «إني لا أشك أنه كائن من خبر السماء بعدي، فإن كان فتمسكوا به وسارعوا إليه». ثم تُوُفِّي قبل مَبعث النبي عليه الصلاة والسلام بسنة.

فلما بُعث الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ خرج إليه ولده (كعب) بقصيدته (بانت سعاد) المشهورة، وأَسلم.

ورويَ أيضاً أنه رأى في منامه أن سبباً[1] تدلَّى من السماء إلى الأرض كأن الناس يُمسكونه. وكلما أراد أن يمسكه تقلص عنه. فأوله بنبيٍّ آخر الزمان، فإنه واسطة بين الله وبين الناس، وإن مدته لا تصل إلى زمن مبعثه. فأوصى بنيه أن يؤمنوا به عند ظهوره.

وكانت وفاته سنة (٦٣١) لميلاد المسيح عليه الصلاة والسلام.

ولما مات (زهير) قالت أخته (خنساء) ترثيه:

وما يُغْني تَوَقِّي المَرْءِ شَيْئاً، وَعلا عَقْدُ التَّمِيمِ وَلَا الغَضارُ[2]

---

(١) أي حبلاً.

(٢) التميم والتميمة: عَوذة تُعلق على صغار الإنسان مخافة العين، وجمعها تمائم. وإماطة التمائم: كناية عن الكِبَر (الغضار) خَزفَ أخضر يحمل لدفع العين.

إِذَا لاقَــى مَنِـيَّتَــهُ فَــأَمْــسـى   يُســاقُ بِـهِ، وَقَــدْ حَقَّ الحِــذَارُ[1]
ولاقــاهُ مِــنَ الأَيَّــامِ يَــوْمٌ؛   كمــا مِنْ قَبْــلُ لَمْ يَـخْلُدْ قُـدَارُ[2]

الكلام على شعره:

هو أحد الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء ـ كما قدمنا ـ. وكما أن امرأ القيس امتاز بتلطيف المعاني، وابتداع الأساليب، واستنباط الأفكار، فقد امتاز (زهير) بما نظمه من منثور الحكمة البالغة، وكثرة الأمثال وسنيِّ المدح، وتجنُّب وحشي الكلام، وعدم مدح أحد إلا بما فيه. وقد كان أحسن الشعراء شعراً، وأبعدهم عن سُخف الكلام، وأجمعهم لكثير من المعاني في قليل من اللفظ.

وكان لزهير أخلاق عالية، ونفس كبيرة، مع سعة صدر وحلم وورع. فرفع القوم منزلته وجعلوه سيداً. وكثر ماله واتسعت ثروته. وكان مع ذلك عريقاً في الشعر.

قال ابن الأعرابي: «لزهير في الشعر ما لم يكن لغيره: كان أبوه شاعراً، وخاله شاعراً، وأخته (سُلمى) شاعرة، وأخته (الخنساء) شاعرة، وابناه (كعب) و (بجير) شاعرين، وابن ابنه (المضرّب بن كعب) شاعراً. ولهذا قال الأخطل: «أشعر الناس قبيلة (بنو قيس)، وأشعر الناس بيتاً آل (أبي سُلمى)، وأشعر الناس رجلاً رجل في قميصي». يعني نفسه.

---

(١) حق الحذار: وقع ما كان يحذر منه. يقال: «حقّقتُ حَذَرك» أي فعلتُ ما كنت تَحذره. أي ليس يغنيه شيء إذا وافت منيته ووقع ما كان يحاذره.
(٢) قدار: الذي يظهر أنها أرادت به عاقر ناقة صالح لأن اسمه قُدار.

وكان لشعره تأثير كثير في نفوس العرب. وهو واسطة عِقد الفحول من شعراء الطبقة الأولى.

وكان (عمر بن الخطاب) جالساً مع قوم يتذاكرون أشعار العرب إذ أقبل (ابن عباس) فقال عمر: «قد جاءكم أعلم الناس بالشعر». فلما جلس قال: «يا ابن عباس، من أشعر الناس؟». قال: «زهير بن أبي سُلمى»، قال: «فهل تنشد شيئاً تستدل به على ما قلت؟»، قال: نعم، امتدح قوماً من (غطفان) يقال لهم (بنو سنان) فقال:

لَوْ كَانَ يَقْعُدُ فَوْقَ الشَّمْسِ مِنْ أَحَدٍ ... قَوْمٌ، لأَوَّلُهُمْ يَوْماً إِذَا قَعَدُوا
مُحَسَّدونَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ نِعَمٍ ... لا يَنْزِعُ الله عَنْهُمْ مَالَهُ حُسِدُوا

ومن محاسن شعر زهير قوله:

ولا تُكْثِرْ عَلَى ذي الضِّغْنِ عَتْباً، ... وَلاَ ذِكْرَ التَّجَرُّمِ لِلذُّنُوبِ[1]
وَلا تَسْأَلْهُ عَمَّا سَوْفَ يُبْدِي، ... وَلاَ عَنْ عَيْبِهِ لَكَ فِي المَغِيبِ
مَتَى تَكُ فِي صَدِيقٍ أَوْ عَدُوٍّ ... تُخَبِّرْكَ الوُجُوهُ عَنِ القُلُوبِ

قال ابن الأعرابي: «أُمُّ أوفى التي ذكرها (زهير) في شعره كانت امرأته فولدت منه أولاداً ماتوا، ثم تزوَّج بعد ذلك امرأة أخرى وهي أَم ابنيه (كعبٍ) و (بُجير)، فغارت من ذلك وآذته، فطلقها، ثم ندم، فقال فيها:

لَعَمْرُكَ (والخُطُوبُ مُغَيِّرَاتٌ، ... وَفِي طُولِ المُعَاشَرَةِ التَّقَالي)[2]

---

(١) الضغن: الحقد (تجرُّم الذنوب) اكتسابها.
(٢) التقالي: التباغض.

لَقَــدْ بَــالَيْـتُ مَــظْعَنَ أُمِّ أَوْفَـى، ولـكِـنْ أُمُّ أَوْفَــى مــا تُـبــالــي[1]

وكـان رجل من بني (عبـد الله بن غـطفـان) أتى (بني غُلَيب) وأكرموه لما نزل بهم وأحسنوا جواره. وكان رجلاً مُولَعاً بالقمار، فنهوه عنه فأبى إلا المقامرة، فَقُمِرَ مرة فردوا عليه، ثم قُمـر أخرى فـردوا عليه، ثم قمر الثالثة فلم يردُّوا عليه. فترحَّل عنهم. وشكا ما صُنع به إلى (زهير) (والعرب حينئذ يتقون الشعراء ٱتِّقاءً شديداً). فقال (زهير): «ما خرجتُ في ليلة ظلماء إلا خفت أن يُصيبني الله بعقوبة لهجائي قوماً ظلمتهم» والذي هجاهم به (زهير) قوله:

عَـفَــا مِنْ آلِ فَــاطِـمَــةَ الجِــوَاءُ فَيُمْــنٌ فَــالقَــوَادِمُ فَــالـحِسَــاءُ[2]
لَقَــدْ طَــالَبْتُهَــا، وَلِكُــلِّ شَيْءٍ - وإنْ طَــالَتْ لَجَـاجَتُــهُ - انْتِهَـاءُ[3]

ومنها يذمُّهم:

ومـا أَدْري (وَسَـوْفَ إِخــالُ أَدْري) أَقَــوْمٌ آلُ حِـصْـنٍ أَمْ نِـسَــاءُ؟[4]
فـمَنْ فِـي كَفِّــهِ مِـنْـهُـمْ خِـضَــابٌ كَـمَنْ فِـي كَفِّــهِ مِـنْـهُـمْ قَـنَــاءُ[5]

---

(١) باليت الشيء وباليت به: اكترثت له واهتممت به.
(٢) عفا: انمحى واندرس (الجواء) اسم واد في ديار عبس وأسد (يمن) اسم ماء لبني غطفان (القوادم) موضع في ديار غطفان (الحساء) اسم ماء لبني فزارة.
(٣) اللجاجة: التمادي في العناد إلى الفعل المزجور عنه، ومثله اللجّ واللجاج. والفعل لجَّ يَلَجّ.
(٤) أخال أظن (القوم) الجماعة الرجال خاصة.
(٥) الخضاب: هو تلوين اليدين ونحوهما بالحناء (القناء) بالهمز وأصله القنا بالقصر وهمزة الوصل للضرورة: جمع قَنَاء وهي الرمـح، وتجمع ايضـاً على قَنوات وَقنَيـات وقُنيّ. يريدان رجالهم ونساءهم سواء.

وفيها يقول:

أَرُونـا خُـطَّةً لا ضَـيْـمَ فِـيـهَـا، يُسَـوَّى بَيْنَنَـا فِيهَـا الـسَّـوَاءُ[1]
فَـإِنْ تُـرِكَ الـسَّـوَاءُ فَلَيْسَ بَـيْنِـي وبَـيْـنَـكُـمُ ـ بَـنِـي حِـصْـنٍ ـ بَـقَـاءُ
فَـإِنَّ الـحَقَّ مَـقْـطَعُـهُ ثَـلَاثٌ: يَـمِـيـنٌ، أَوْ نِـفَـارٌ، أَوْ جَـلَاءُ[2]
فَـذَلِـكُمْ مَـقَـاطِـعُ كُـلِّ حَـقٍّ، ثَـلَاثٌ كُـلُّهُـنَّ لَـهُ شِـفَـاءُ

قال بعض الرُّواة: لو أن (زُهَيراً) نظر إلى رسالة (عمر بن الخطاب) إلى (أبي موسىٰ الأشعري) ما زال على ما قال: «فإن الحق مقطعه ثلاث إلخ».

وقد لُقِّبَ (زهير) بقاضي الشعراء بهذا البيت.

ومما ينسب لزهير ـ وقد ذكره ابن هشام في أوائل شرح قصيدة (بانت سعاد) ـ قوله:

إن كُـنْـتَ لا تَـرْهَـبُ ذَمِّـي لِـمَـا تَـعْـرِفُ مِنْ صَفْحِي عَنِ الجَـاهِـلِ
فَـاخْشَ سُكُـوتِي إِذْ أَنَـا مُنْصِتٌ، فِيـكَ لِمَسْمُـوعِ خَنَـا القَـائِـلِ[3]
فَسَـامِـعُ الـذَّمِّ شَـرِيـكٌ لَـهُ، ومُـطْعِمُ المَـأْكُـولِ كَـالآكِـلِ
مَـقَـالَـةُ الـسُّـوءِ إِلَـىٰ أَهْـلِهَـا أَسْـرَعُ مِنْ مُنْحَـدِرٍ سَـائِـلِ[4]
وَمَـنْ دَعَـا الـنَّـاسَ إِلَـى ذَمِّـهِ ذَمُّـوهُ بِـالـحَقِّ وبِـالـبَـاطِـلِ

---

(١) الخطة بضم الخاء: الأمر والطريقة (الضيم) الذل والظلم والقهر (السواء) النّصفَة والعدل
(٢) يعني يميناً، أو منافرة إلى حاكم يقطع بالبينات، أو جلاء وهو بيان يجلو به الحق وبرهان تتضح به الدعوى.
(٣) الخنا: قول الفحش.
(٤) المنحدر: المنهبط.

ونسب صاحب كتاب زهر (الآداب) هذه الأبيات إلى (محمد بن حازم الباهلي) وزاد (عليها هذه الثلاثة):

فَلَا تَهِجْ ـ إنْ كُنْتَ ذَا إرْبَةٍ ـ حَرْبَ أَخي التَّجْرِبَةِ العَاقِلِ [1]
فَإنَّ ذَا العَقْلِ إذَا هِجْتَهُ هِجْتَ بِهِ ذَا خَبَلٍ خَابِلِ [2]
تُبْصِرُ مِنْ عَاجِلِ شِدَّاتِهِ عَلَيْكَ غِبَّ الضَّرَرِ الآجِلِ [3]

ويُستحسن قوله:

هُوَ الجَوَادُ الَّذي يُعْطِيكَ نَائِلَهُ عَفْواً وَيُظْلَمُ أَحْيَاناً، فَيَنْظَلِمُ [4]

ومما حَسُنَ من تشابيهه أنه شبه امرأة بثلاثة أصناف في بيت واحد، وهو قوله:

تَنَازَعَتِ المَهَا شَبَهاً، وَدُرَّ ـ ـ البُحُورِ، وَشاكَهَتْ فِيهَا الظِّبَاءُ [5]

ثُمَّ فَسَّرَ فقال:

فَأَمَّا ما فُوَيْقَ العِقْدِ مِنْهَا فَمِنْ أَدْمَاءَ، مَرْتَعُهَا الخَلَاءُ [6]
وأَمَّا المُقْلَتَانِ فَمِنْ مَهَاةٍ، ولِلدُّرِّ المَلَاحَةُ وَالصَّفَاءُ [7]

---

(١) هاج فلان الشيء يهيجه: أثاره وهيَّجه. ويقال: هاج الشيء، أي ثار وتهيج، فهو متعد ولازم (الإربة والأرب) الدهاء.
(٢) الخبل: الجنون وهو أيضاً فساد في العقل (الخابل) المفسد.
(٣) غب الشيء: عاقبته.
(٤) ينظلم: يحتمل الظلم.
(٥) المها: جمع مهاة وهي البقرة الوحشية وتشبه بها المرأة (شاكهت) شابهت وشاكلت.
(٦) فويق: مصغر فوق ويريد بما فوق العقد العنق (الأدماء) الظبية التي اشرِبَ لونها بياضاً، يقول: أن عنقها عنق الظبية.
(٧) المقلة: شحمة العين التي تجمع البياض والسواد.

وقال (عبد الملك) لقوم من الشعراء: «أيُّ بيتٍ أمدحُ؟». فاتفقوا على قول (زهير):

تَـرَاهُ ـ إِذَا مَـا جِئْتَـهُ ـ مُتَـهَلِّلاً، كَـأَنَّكَ تُعْـطِيهِ الَّـذِي أَنْتَ سَـائِلُهْ[1]

وهذا البيت من أبيات يمدح فيها (هَرِمَ بن سنان أبي حارثة المريّ) وفيها يقول:

وأَبْيَضَ فَيَّاضٍ، يَـدَاهُ غَمَـامَـةٌ؛ عَلَىٰ مَعْتَفِيـهِ مَـا تُغِبُّ فَـوَاضِلُهْ[2]
تَـرَاهُ ـ إِذَا مَـا جِئْتَـهُ ـ مُتَـهَلِّلاً، كَـأَنَّـكَ تُعْـطِيـهِ الَّـذِي أَنْتَ سَـائِلُهْ
أَخُـو ثِقَـةٍ، لاَ تُتْلِفُ الخَمْـرُ مَـالَـهُ وَلَكِنَّـهُ قَـدْ يُهْلِكُ المَـالَ نَـائِلُهْ[3]
تَرَى الجُنْدَ وَالأَعْرَابَ يَغْشَوْنَ بَابَهُ، كَمَا وَرَدَتْ مَاءَ (الكِلاَبِ) هَوَامِلُهْ[4]
فَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي كَفِّـهِ غَيْـرُ نَفْسِـهِ لَـجَـادَ بِهَـا فَلْيَـتَّـقِ اللهَ سَـائِلُهْ

ومن شعره الجيد قوله في مدح (سنان بن أبي حارثة وقومه):

إِذَا فُـزِعـوا طَـارُوا إِلَى مُسْتَغِيثِهِمْ طِوَالَ الرِّمَاحِ، لا ضِعَافٌ ولا عُزْلُ[5]

---

(١) متهلّلاً: متلألىء الوجه.

(٢) معتفيه: طالب فضله وجوده ومعروفه. يقال: اعتفى فلاناً، إذا جاء يطلب معروفه وفضله (ما تغب) ما تتأخر، أو المعنى أنها ما تأتيهم يوماً وتتركهم يوماً بل هي فياضة عليهم دائماً (الفواضل) جمع فاضلة، وهي النعمة الجسيمة الجميلة والواو في (وابيض) واو رب وهو مجرور بها أو برب المقدرة وعلامة جره الفتحة لأنه ممنوع من الصرف.

(٣) أخو: رفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف. والتقدير هو أخو ثقة (النائل) العطاء.

(٤) يغشون بابه: يأتونه ويغدون عليه، وماضيه «غَشِيَ» (الهوامل) جمع هاملة، وهي الإبل التي تُركت ليلاً ونهاراً ترعى بلا راعٍ، ومثلها «الهَمَل».

(٥) إذا فُزعوا، أراد أن يقول: إذا فُزِع إليهم. فحذف الجار وأوصل الضمير بالفعل. وهو جائز سماعاً وقيل قياساً. ويسمى هذا الصنيع عند النحويين الحذف والإيصال، أي حذف الجار وإيصال المجرور بالفعل ـ يقال فَزِع فلان إلى فلان بمعنى استغاثه. وتقول =

بِخَيْلٍ عَلَيْهَا جِنَّةٌ عَبْقَرِيَّةٌ جَدِيرُونَ يَوْماً أَنْ يَنَالُوا فَيَسْتَعْلُوا[(١)]
عَلَيْهَا أُسُودٌ ضَارِيَاتٌ، لَبُوسُهُمْ سَوَابِغُ بِيضٌ، لاَ تُخَرِّقُهَا النَّبْلُ[(٢)]

ومنها:

هُمُ جَدَّدُوا أَحْكَامَ كُلِّ مَضِلَّةٍ مِنَ العُقْمِ، لاَ يُلْفي لأَمْثَالِهَا فَصْلُ[(٣)]
بِعَزْمَةِ مَأْمُورٍ مُطِيعٍ، وآمِرٍ مُطَاعٍ، فَلاَ يُلْفي لِحَزْمِهِم مِثْلُ
هُمُ خَيْرُ حَيٍّ مِنْ مَعَدٍّ، عَلِمْتُهُمْ لَهُمْ نَائِلٌ فِي قَوْمِهِمْ وَلَهُمْ فَضْلُ

ومنها:

تَدَارَكْتُمَا الأَحْلاَفَ، قَدْ ثُلَّ عَرْشُهَا، وذُبْيَانَ، قَدْ زَلَّتْ بِأَقْدَامِهَا النَّعْلُ[(٤)]
فَأَصْبَحْتُمَا مِنْهَا عَلَىٰ خَيْرِ مَوْطِنٍ، سَبِيلُكُما فيه ـ وإِنْ أَحْزَنوا ـ سَهْلُ[(٥)]

= أفزعته لما فَزِع، أي أغثته لما استغاث (العزل) جمع أعزل، وهو من لا رمح معه. ومثله (العُزَل) وجمعه (أعزال).

(١) جِنّة: بكسر الجيم؛ أي فوارس تشبه الجن (العبقري) الكامل من كل شيء. والسيد. والقوي. والشديد. والذي ليس فوقه شيء. وأصل معنى (العبقر) موضع يزعمون أنه كثير الجن. ومنه قول لبيد: كهول وشبان كجنة عبقر. ثم نسبوا إليه كل شيء تعجبوا من حذقه أو جودة صنعة أو قوته، فقالوا: عبقري.

(٢) اللبوس: ما يُلبس (سوابغ) أي دروع سوابغ، يقال: درع سابغة، أي تامة طويلة.

(٣) المضلة أصل معناها: الأرض التي يُضِلّ فيها الطريق، وأراد بها الأمور الصعبة الحل (العقم) معناه السدّ والمنع والقطع. ويأتي مجازاً كما هنا بمعنى عدم الفائدة والخير (لا يلفى) لا يوجد.

(٤) الأحلاف: جمع حِلْف وهو الصديق الذي يحلف لصديقه أنه لا يخونه. وهو أيضاً العهد يكون بين القوم لأنه لا يُعقد إلا بالحَلْف. والمراد بالأحلاف هنا بنو أسد وبنو غطفان لأنهم كانوا تحالفوا على التناصر (ثلّ عرشها) قُوِّض وهُدِّم (زلت به النعل) سقط عن مجده وقوته.

(٥) أحزنوا: سلكوا الحَزْن وهو الأرض الغليظة. والحزونة: غلاظة الأرض.

إِذَا السَّنَةُ الشَّهْبَاءُ بِالنَّاسِ أَجْحَفَتْ، وَنَالَ كِرَامَ المالِ فِي الحَجْرَةِ الأَكْلُ[١]

رَأَيْتَ ذَوِي الحَاجَاتِ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ، قَطِيناً بِهَا، حَتَّى إِذَا نَبَتَ البَقْلُ[٢]

وَفِيهِمْ مَقَامَاتٌ حِسَانٌ وُجُوهُهُمْ، وأَنْدِيَةٌ يَنْتَابُهَا القَوْلُ والفِعْلُ[٣]

عَلَى مُكْتَرِيهِمْ رِزْقُ مَنْ يَعْتَرِيهِمُ، وعِنْدَ المُقِلِّينَ السَّمَاحَةُ وَالبَذْلُ[٤]

وإِنْ قَامَ فِيهِمْ حامِلٌ قَالَ قَاعِدٌ: هُدِيتَ؛ فَلاَ غُرْمٌ عَلَيْكَ، وَلاَ خَذْلُ[٥]

وَمَا يَكُ مِنْ خَيْرٍ أَتَوْهُ فَإِنَّمَا تَوَارَثَهُ آبَاءُ آبَائِهِمْ قَبْلُ

وَهَلْ يُنْبِتُ الخَطِّيَّ إِلَّا وَشِيجُهُ؟، وتُغْرَسُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا النَّخْلُ؟[٦]

والبيت الأخير مما يُتَمَثَّلُ به.

---

(١) السنة الشهباء. هي التي فيها الجدب والقحط :(أجحف بالشيء) ذهب به، هذا أصل معناه ثم استعير الأجحاف للنقص الفاحش (الحجرة) الناحية. ولعله أراد بها ناحية بعينها.

(٢) قطيناً بها: مقيمين فيها. والقطين جمع قاطن، من قطن بالمكان، إذا أقام فيه وتوطن. والمعنى متى أجدب الناس رأيت ذوي الحاجة منهم قاطنين حول ديارهم يُطعمَون إلى أن تنبت البقول ويزول القحط.

(٣) المقامات: جمع مَقامة، وهي المجلس، والجماعة من الناس، وشيء من الكلام يقام به بين يدي الأمير، والسيادة. وأراد بها المعنى الأخير على تأويل: وفيهم ذوو مقامات، أي قوم ذوو سيادة (الأندية) جمع ناد هو المجلس ما دام فيه أهله. هذا أصل معناه ثم صار يطلق على كل مجلس يرجع إليه ويجتمع فيه. ومثله الندي والمنتدى. يقال: ندا القوم يندون وانتدوا ينتدون، إذا اجتمعوا في النادي والمنتدى (ينتابها) يقصد إليها. يقال: إنتاب فلان المكان إذا أتاه مرة بعد أخرى.

(٤) المكتر: اسم فاعل من أكترتِ الناقة، إذا عَظُم كَترها أي سَنامها، وأراد بالمكترين الذين نما مالهم وعظم ما بأيديهم من الخير (يعتريهم) يأتيهم طالباً معروفهم.

(٥) المراد بالحامل هنا هو من يحمل الديات ويكفلها (الغرم) الغرامة، أو هو لزوم نائبة في مال من غير جناية (الخذل) الخذلان وهو ترك النصر والإعانة.

(٦) الخطي: الرمح المنسوب إلى الخط وهو مرفأ بالبحرين. وقد نسبت الرماح الخطية إليه لأنه مبَيعها لا مَنبتها (الوشيج) شجر تُتخذ منه الرماح.

ومن محاسن شعره قوله يمدح (الحارث بن وَرقاء) ويهجو قومه:

أَبْلِغْ بَنِي نَـوْفَـلٍ عَنِّي (فَقَـدْ بَلَغُـوا ... مِنِّي الحَفِيظَةَ لَمَّا جَـاءَنِي الخَبَرُ)(١)
أَنَّ ابْنَ وَرْقَـاءَ لَا تُخْشَى غَـوَائِلُهُ، ... لَكِنْ وَقَـائِعُـهُ فِي الحَـرْبِ تُنْتَـظَرُ(٢)
لَـوْلَا ابْنُ وَرْقَاءَ والمَجْـدُ التَّلِيـدُ لَـهُ ... كـانوا قَليلاً، فَمَا عَـزُّوا ولا كَثُروا(٣)
المَجْـدُ فِي غَيْرِهِمْ، لَـوْلَا مَآثِـرُهُ، ... وَصَبْـرُهُ نَفْسَهُ، والحَـرْبُ تَسْتَعِـرُ(٤)
أَوْلَى لَهُـمْ، ثُمَّ أَوْلَـى أَنْ تُصِـيبَـهُـمْ ... مِنِّي بَـوَاقِـرُ، لا تُبْقِي وَلَا تَـذَرُ(٥)
وأَنْ يُـعَلَّلَ رُكْـبَـانُ المَـطِيِّ بِـهِمْ ... بِكُـلِّ قَـافِيَـةٍ شَنْعَـاءَ تَشْتَهِـرُ(٦)

وسبب هذه الأبيات أن (الحارث بن ورقاء الصيداوي) من بني (أسد) أغار على (بني عبد الله بن غطفان)، فغنم وأخذ إبل (زهير) وغلامه «يساراً». فهجاه «زهير» بقصيدة، فلم يلتفت إليها «الحارث». فهجاه ثانية. فقال له قومه: أقتل يساراً غلام زهير. فأبى عليهم ذلك، وكساه وردَّه. فمدحه «زهير» بهذه الأبيات.

ومن حكمته العالية قوله:

---

(١) الحفيظة: الغضب.
(٢) الغوائل: جمع غائلة، وهي الشر.
(٣) التليد: القديم.
(٤) المآثر: جمع مأثرة، وهي المكرمة المتوارثة (صبر نفسه صبراً) ألزمها الصبر أو حبسها كيلا تنفر. وفي غير هذا المعنى. يقال: صَبَر فلاناً بمعنى أعطاه كفيلاً. وأصبره: أمره بالصبر. وكذا صبّره (تستعر) تشتعل.
(٥) أولى لك: كلمة تهديد ووعيد، معناها قد وليك الشر أي قاربك فاحذر. وقيل: المعنى الويل لك. وتتصرف فيقال: أولى لك وأولى لكم وأولى لهم إلخ (البواقر) جمع باقرة وأراد بها الأهاجي التي تبقر الأعراض أي تشقها (لا تذر) لا تدع ولا تترك.
(٦) يُعلل: يلهي (القافية) المراد بها الشعر.

إذا أَنْتَ لَمْ تُقْصِرْ عَنِ الجَهْلِ والخَنَا　　أَصَبْتَ حَلِيماً، أَوْ أَصَابَكَ جَاهِلُ[١]

ومن مدائحه في (هرم بن سنان) قوله:

قِفْ بِالدِّيَارِ الَّتِي لَمْ يَعْفُهَا القِدَمُ؛　　بَلَى، وغَيَّرهـا الأَرْوَاحُ وَالـدِّيَمُ[٢]
لَا الدَّارُ غَيَّرَهَـا بَعْدِي الأَنِيسُ، وَلَا　　بِالدَّارِ ـ لَوْ كَلَّمْتَ ذَا حَاجَةٍ ـ صَمَمُ[٣]

ومنها:

إِنَّ البَخِيـلَ مَلُومٌ حَيْثُ كَانَ، وَلَكِنَّ　　الـجَـوَادَ عَـلَى عِـلَّاتِـهِ هَـرِمُ[٤]
هُـوَ الجَـوَادُ الَّـذِي يُعْطِيكَ نَـائِلَهُ　　عَفْـواً. ويُظْلَمُ أَحْيَـانـاً، فَيَـظَّلِمُ[٥]
وانْ أَتَـاهُ خَـلِيـلٌ يَـوْمَ مَسْـأَلَـةٍ　　يَقُـولُ لَا غَـائِبٌ مَـالِي وَلَا حَـرَمُ[٦]

ومنها:

وَمِنْ ضَـرِيبَتِـهِ التَّقْـوَى ويَعْصِمُـهُ　　مِنْ سَيِّءِ العَثَـرَاتِ للهِ والـرَّحِمُ[٧]
مُـوَرَّثُ المَجْـدِ؛ لَا يَغْتَـالُ هِمَّتَـهُ　　عَنِ الـرِّيَـاسَـةِ لَا عَجْـزٌ وَلَا سَـأَمُ[٨]

---

(١) الخنا: قول الفحش.
(٢) لم يعفها: لم يمحُها ولم يغيّرها (الأرواح) جمع ريح. (الديم) جمع ديمة، وهي المطرة التي تدوم في سكون بلا رعد ولا برق. والمراد بها هنا المطر الدائم.
(٣) الصمم: فقدان حاسة السمع.
(٤) العِلات: الحالات المختلفة والشؤون المتنوعة.
(٥) النائل: العطاء (يَظلم) يحتمل الظلم فلا يجازي من ظلمه. ويروى أيضاً فينظلم. والمعنى واحد.
(٦) الحرم: ما يحميه الرجل ويقاتل عنه؛ وما لا يحل انتهاكه. ومثله الحريم. ومنه سميت نساء الرجل بالحريم.
(٧) الضريبة: العادة والخُلُق: وجمعها ضرائب (يعصمه) يمنعه (العثرات) الزلات.
(٨) لا يغتال: لا يُضعف، وأصل معناهالا يُهلك (السأم) السآمة وهي الملَل.

كَـالهُنْـدُوانِيِّ لَا يُخْـزِيـكَ مَشْهَـدُهُ وَسْطَ السُّيُوفِ؛ إِذَا مَا تَضْرِبُ البُهَمُ[١]

ومن مدائحه فيه قوله أيضاً:

لِـمَـنْ طَـلَلٌ بِـرَامَـةَ لَا يَـرِيـمُ، عَـفَـا وأَحَـالَـهُ عَهْـدٌ قَـدِيـمُ[٢]
تَـطَالَـعُنِي خَـيَـالَاتٌ لِسَـلْمَـى كَمَـا يَتَـطَالَـعُ الـدَّيْنَ الغَـرِيمُ[٣]

ومنها:

لَعَمْـرُ أَبِيـكَ مَـا هَـرِمُ بْنُ سَلْمَى بِـمَلْحِـيٍّ، إِذَا اللُّؤَمَـاءُ لِـيمُـوا[٤]
ولا سَـاهِـي الـفُـؤَادِ وَلَا عَـيِـيٍّ ـ اللِّسَـانِ إِذَا تَشَاجَـرَتِ الخُصُومُ[٥]
أَرَاهُ غَـيْـثَـنَـا فِـي كُـلِّ عَـامٍ، يَـلُوذُ بِـهِ المُـخَـوَّلُ والعَـدِيـمُ[٦]
وَعَـوَّدَ قَـوْمَـهُ هَـرِمٌ عَـلَيْـهِ ومِـنْ عَـادَاتِـهِ الخُـلُقُ الكَـرِيـمُ
كَـذَلِـكَ خِيمُهُمْ؛ وَلِكُـلِّ قَـوْمٍ ـ إِذَا مَـسَّتْـهُمُ الـضَّـرَّاءُ ـ خِيـمُ[٧]

(١) الهندواني: السيف المنسوب إلى الهند، وهي نسبة شاذة (البهم) جمع بُهمة، وهو الشجاع الذي يستبهم على أقرانه ما يأتيه من ضروب الشجاعة والقتال.

(٢) الطلل. الشاخص من آثار الديار (رامة) اسم مكان (لا يريم) لا يزول. يقال: رام عن المكان يريم، أي زال عنه وفارقه.

(٣) تطالعني: تطرقني وتوافيني وأصلهاتتـطالعني بتاءين حُـذفت أحداهمـا تخفيفاً (الـدين) معروف والمراد به هنا المديون أي أن خيال سلمى يوافيني مرة بعد مرة كما يوافي الغريم مديونه. و (الغريم) الدائن. ويأتي أيضاً بمعنى المديون. والأول هو المراد هنا.

(٤) ملحي: مذموم. يقال: لحاه يلحوه إذا ذمه وشتمه (اللؤماء) جمع لئيم (ليموا) ماض مجهول من اللوم. يقال: لامه يلومه لوماً ومَلامة فهو مَلوم ومَليم. أي كدَّره بالكلام لإتيانه ما ليس جائزاً، أو ما ليس ملائماً لحال اللائم أو الملوم ـ وقد يجوز أن يكون أصل ليموا «لُئِموا» بمعنى نسبوا إلى اللؤم. يقال: لأمه يلأمه، إذا نسبه إلى اللؤم.

(٥) الساهي: الغافل (عييّ اللسان) لا يقدر أن يعبر عن ما في ضميره.

(٦) الغيث: المطر (المخوَّل) أراد به الغني. يقال: خوَّله الله مالاً، أي أعطاه إيَّاه متفضِّلاً وملّكه إياه (العديم) المعدم الذي لا يملك شيئاً.

(٧) الخيم: الطبيعة والسجيَّة. (الضرَّاء) الضر والبؤس.

لَــهُ فِـي الــذَّاهِبِـينَ أُرُومُ صِـــدْقٍ   وَكَـــانَ لِـكُــلِّ ذِي حَسَـبٍ أَرُومُ[1]

ومن محاسن شعره الذي جمع بين الحكمة والموعظة والرونق قوله:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي، هَلْ يَرَى النَّاسُ مَا أَرَى
مِنَ الأَمْرِ؟، أَوْ يَبْدُو لَهُمْ مَا بَدَالِيَا؟:

بَــدَا لِيَ أَنَّ النَّـاسَ تَفْنَى نُفُوسُهُمْ   وَأَمْـوَالُهُمْ، وَلَا أَرَى الدَّهْـرَ فَانِيَـا[2]
وأَنِّي مَتَى أَهْبِطْ مِنَ الأَرْضِ تَلْعَـةً   أَجِـدْ أَعثراً قَبْلِي جَـدِيداً وَعَـافِيـا[3]
أَرَانِي إِذَا أَمْسَيْتُ أَمْسَيْتُ ذَا هَوًى،   فَثُمَّ إِذَا أَصْبَحْتُ أَصْبَحْتُ غَـادِيا[4]
إِلَى حُفْـرَةٍ أُهْـوِي إِلَيهـا مُصَمَّـةٍ،   يَحُثُّ إِلَيْهَـا سَـائِـقٌ مِنْ وَرَائِيَا[5]
بَــدَا لِـيَ أَنَّ اللهَ حَـقٌّ، فَـزَادَنِــي   إِلَى الحَقِّ تَقْوى اللهِ مَا كَانَ بَادِيـا[6]
بَدَا لِي أَنِّي لَسْتُ مُدْرِكَ مَـا مَضَى،   وَلَا سَــابِقٌ شَيْئَـاً إِذَا كَــانَ جَـائِيــا
أَرَانِي إِذَا مَــا شِئْتُ لَاقَـيْتُ آيَــةً،   تُذَكِّرُنِي بَعْضَ الَّذِي كُنْتُ نَاسِيـا[7]
وَمَــا إِنْ أَرَى نَفْسِي تَقِيهَــا مَنِيَّتِي،   وَمَـا إِنْ تَقِي نَفْسِي كَـرَائِمُ مَـالِيـا[8]

---

(١) الأروم والأرومة: الحسب الكريم وأصل معناها أصل الشجرة.
(٢) نرى أن قوله هنا ينافي عقيدته في الحساب والبعث كما سيجيء في معلقته.
(٣) التلعة: هي المنخفض من الأرض، والمرتفع منها، فهي من الأضداد، وأراد بها المعنى الأول بقرينة أهبط (عافياً) مندرساً.
(٤) غادياً: مبكراً.
(٥) إلى حفرة: الجار والمجرور متعلقان بقوله «غادياً» (مصمة) مسدودة بما يوضع فوقها من الحجارة والتراب. يقال: أصمَّ القارورة إذا جعل لها صماماً أي سِداداً وجمع الصمام أصِمّة. والصِمامة بمعنى الصِمام أيضاً (يحث) أي يحثني ويسوقني.
(٦) تقوى الله: بدل من الحق (بادياً) ظاهراً.
(٧) الآية: العلامة. وجمعها آيٌ وآيات.
(٨) تقيها: تحفظها.

أَلَـمْ تَـرَ أَنَّ اللهَ أَهْـلَكَ تُـبَّـعـاً، وأَهلَكَ لُقْمَـانَ بْنَ عَادٍ وَعَـادِيـا؟
وأَهْلَكَ ذَا القَرْنَيْنِ مِنْ قَبْلِ مَا تَرَى، وفِرْعَوْنَ جَبَّاراً طَغَى، والنَّجَاشِيَا؟[٢]
أَلَـمْ تَـرَ لِلنُّعْمـان كَـانَ بِنَـجْـوَةٍ مِنَ الشَّـرِّ، لَوْ أَنَّ أَمْـرَأً كانَ نَـاجِيا[٣]
فَغَيَّـرَ مِنْـهُ رُشْـدَ عِشْـرِينَ حَجَّـةً مِنَ الدَّهْرِ يَـوْمٌ وَاحِدٌ كَـانَ غَاوِيـا[٤]
فَلَمْ أَرَ مَسْلُوبـاً ـ لَـهُ مِثْـلُ مُلْكِـهِ ـ أَقَـلَّ صَدِيقـاً صَـافِيـاً أَوْ مُـوَاسِيـا[٥]

* * * * * *

---

(١) تبع: بدون أل: لقب من ملك اليمن. ولم يكن يلقب بـه الملك حتى يملك اليمن والشِحْـر وحضرمـوت (لقمان بن عـاد) كان حكيمـاً من حكماء العـرب وفيلسوفـاً من فلاسفتهم وكان رجلاً صالحاً. وبعضهم يقول أنه كان نبياً. وهو المـذكور في القـرآن الكريم و (عاد) رجل من العرب والأولين وقد افتتح كثيراً من الممالك ودانت إليه رقاب كثير من الناس، وهو المذكور في القرآن الكريم. ولُقب بذلك لضفيرتين كانتا في قرني رأسه أو لأنه قد ملك قرني الأرض علىحسب ما توصلوا إليه منها في ذلك الوقت. وليس هو الاسكندر كما يغلط كثير من الناس حتى من المفسرين واللغويين لما ستعلم في آخر هذه القصيدة

(٢) (فرعون) لقب كل من ملك مصر وأكثرهم من العرب المعروفين في التاريخ بملوك الرعاة. وكانوا من العمالقة الذين قدموا من الشام إلى ديار مصر وامتلكوها. وأراد بفرعون هنا فرعونَ موسى الذي ادعى الألوهية واسمه الوليد بن مصعب. أما فرعـون موسى فاسمه الريان بن الوليد، وهو قبل هذا (النجاشي) لقب كل من ملك الحبشة.

(٣) أراد بالنعمان النعمان بن المنذر اللخمي، وكان قد فرَّ حين طلبه كسرى قبَّاذ ليقتله لأنه لم يتابعه على الزندقة، كما قدّمنا ذلك في ترجمـة امرىء القيس (النجـوة) المرتفـع من الأرض.

(٤) الحجة: السنة (غاوياً) ضالاً.

(٥) المواسي: هو الذي يواسيك ويخفف عنك مصابك.

استطراد لفائدة جُلّى:

تلقيب الإسكندر المقدوني بذي القَرْنَيْن قد استفاض على ألسنة كثير من الناس واللغويين والمفسرين والمؤرخين. وهو خطأ فاحش. فإن (ذو) كلمة عربية محضة، و (ذو القرنين) من ألقاب العرب ملوك اليمن. وكان منهم (ذو جَدَن)[١] و(ذو كلاع)[٢] و (ذو نُوَاس)[٣] و (ذو شَنَاتر)[٤] و (ذو القرنين)[٥]. وهو الذي مكَّن الله له في الأرض، وعظُمَ ملكه، وبنى السدَّ على (يأجوج ومأجوج) وهو (الصَّعب بن الرائش) واسم الرائش (الحارث بن ذي سَدَد[٦] بن عاد بن الماطاط بن سبأ).

وقد سُئل (ابن عباس)عن (ذي القرنين) الذي ذكره الله في كتابه العزيز، فقال: «هو من حِمْيَر». وهذا مما يُقَوّي أنه «الصَّعْب» المذكور، لأنه كان ملكاً عظيماً، وكان من ولد (حِميَر).

فنتج من هذا التحقيق أن «ذا القرنين» هو غير «الإسكندر

---

(١) لُقب بذلك لأنه أول من غنى باليمن و (الجدن) حسنَ الصوت.

(٢) لُقب بذلك لأن القوم تكلّعوا على يديه أي اجتمعوا.

(٣) لقب بذلك لضفيرة كانت تنوس - أي تتدلى - على ظهره. ومن ذلك نُواس العنكبوت لنسجه ونواس الدخان لما تدلى منه من السقف.

(٤) لُقب بذلك لأصبع زائدة كانت في يده. و (الشناتر) جمع شُنْتُرة، وهي الأصبع، والشناتر بلغة اليمن معناها أيضاً الأقراط التي تُعلق في الآذان.

(٥) تقدم سبب تلقيبه بذلك.

(٦) لُقب بذلك لسداد رأيه وإصابة فكره. والسَّدد: القصد في القول والتوفيق في الرأي، كالسداد.

المقدوني» باني «الإسكندرية»، لأن هذا يوناني، وذاك عربي. وكلاهما كان ملكاً عظيماً.

فافهم ذلك فإنه الحق الذي لا محيدَ عنه. وقد حقق هذا الأمر أيضاً «أبو الفداء» المؤرخ المشهور في تاريخه. فراجعه عند ذكر الطبقة الثانية من ملوك الفرس.

وقد اختلف العلماء في نبوَّة «ذي القرنين» المذكور، مع اتفاقهم على صلاحه وتقواه.

وتُسمَّى الملوك الملقبة بذو «الأذواء» وهي جمع «ذو».

* * * * * * *

ومن جيد شعره قوله:

وإنَّــكَ إنْ أَعْــطَيْتَنِي ثَمَــنَ الغِـنَى   حَمِدْتُ الَّـذِي أُعْطِيكَ مِنْ ثَمَنِ الشُّكْرِ
وإنْ يَفْنَ مَا تُعْطِيهِ فِي اليَوْمِ أَوْ غَـدٍ   فَإن الذِي أُعْطِيكَ يَبْقَى عَلَىٰ الدَّهْرِ

وقوله:

سَـأَلْنَا فَـأَعْـطَيْتُمْ، وَعُـدْنَـا فَعُـدْتُمُ   وَمَنْ أَكْثَـرَ التَّسْـآلَ لِلنَّـاسِ يُحْـرَمِ

وقوله:

أَرَانَــا مُــوضِـعِيـنَ لأَمْــرِ غَـيْـبٍ،   وَنَسْحَـرُ بِـالـطَّعَـامِ وَبِـالشَّـرَابِ(١)
كَـمَــا سُـحِــرَتْ بِــهِ إِرَمٌ وعَــادٌ،   فَـأَضْحَـوْا مِثْـلَ أَحْـلَامِ النِّيَــامِ(٢)

---

(١) موضعين: مسرعين: والإيضاع السير السريع السهل.

(٢) إرم وعاد: قبيلتان وقد سميتا باسم أبويهما إرم وعاد. وهو ابن عوص بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام. (الأحلام) جمع حلم وهو ما يراه النائم.

وقوله:

الـوُدُّ لاَ يَـخْفَـى، وَإِنْ أَخْـفَـيْـتَــهُ والبُغْضُ تُبْــدِيــهِ لَـكَ العَيْنَــانِ

ومن مدائحه في «هرم بن سنان» قوله:

تَــالله، قَــدْ عَـلِمَت سَــرَاةَ بَنِـي ذُبْيَـانَ (عَـامَ الحَبْسِ والأَصْــرِ)[١]
أَنْ نِعْمَ مَـأوَى القَوْمِ ـ قَـدْ عَلِموا ـ أَنَّ عَـضَّـهُــمْ جِــلٌّ مِـنَ الأَمْــرِ[٢]
ولَنِعْـمَ حَشْــوُ الــدِّرْعِ أَنْـتَ، إِذَا دُعِيَتْ نَـزَالِ، وَلُـجَّ فِي الـذُّعْـرِ[٣]
حَـامِي الـذِّمَــارِ عَلَىٰ مُحَـافَــظَةِ ـ الجُلَّى، أَمِـينُ مُـغَيَّـبِ الصَّــدْرِ[٤]
حدِبٌ عَلَىٰ المَوْلَى الضَّـرِيكِ، إِذَا نَــابَتْ عَلَيْــهِ نَــوَائِبُ الــدَّهْــرِ[٥]

ومنها:

وإِذَا بَــرَزْتَ بِــهِ بَــرَزْتَ إِلَــى صَـافِي الخَلِيقَـةِ، طَيِّبِ الخُبْــرِ[٦]
مُـتَفَــرِّغٍ لِـلْمَـجْـدِ، مُـعْـتَـرِفٍ لِـلنَّــائِبــاتِ، يَــرَاحُ لِـلذِّكْــرِ[٧]

---

(١) الحبس: المنع. وأراد به عام يُحبس المطر فيكون الجدب والقحط (الأصر) الثقل والشدة.
(٢) الجِل: الأمر الجليل العظيم.
(٣) نزال: اسم فعل أمر بمعنى انزل (لُجَّ في الذعر) أي لازم القوم الخوف. يقال: لجَّ فلان في الأمر أي لازمه وواظبه وأبى أن ينصرف عنه.
(٤) الذمار: ما يلزمك حفظه وحياطته وحمايته والدفاع عنه (الجّلي) الأمر الشديد والخطب العظيم.
(٥) حَدِبٌ: متعطف. يقال: حدب عليه حَدَباً، أي تعطف (المولى) يأتي بمعنى السيد والعبد وابن العم، والأخير هو المراد (الضريك) الفقير السيء الحال. (نوائب الدهر) مصائبه.
(٦) الخليقةّ: الطبيعة والخلُق (الخبر) الاختبار.
(٧) معترف للنائبات. صابر عليها. يقال: اعترف للأمر، أي صبر له (يراح للذكر) تأخذه الأريحية وخفّة السرور عندما يذكر بمدح وثناء. يقال: راح فلان للمعروف ونحوه، إذا أخذته خفة وأريحية له. والذكر. يكون بمعنى الصيت والثناء والشرف.

فَـلأَنْتَ أَوْصَـلُ مَنْ سَمِعْـتُ بِـهِ | لِشَـوَابِـكِ الأَرْحَـامِ والصِّهْـرِ[1]
أَلْحَـامِـلُ العَبْءِ الثَّـقِيـلَ عَـنِ ـ | الجَـانِي، بِغَيْـرِ يَـدٍ وَلَا شُكْـرِ[2]
لَـوْ كُنْتَ فِـي شَيْءٍ سِـوَى بَشَـرٍ | كُـنْـتَ الـمُـنَـوِّرَ لَـيْـلَةَ الـبَـدْرِ

ومن شعره الجيد قوله:

ثَـلَاثٌ يَعَـزُّ الصَّبْـرُ عِنْـدَ حُلُولِهَـا، | وَيَـذْهَلُ عَنْهَـا عَقْـلُ كُـلِّ لَبِيبِ[3]:
خُـرُوجُ اضْطِرَارٍ مِنْ بِـلَادٍ تُحِبُّهَـا، | وفِـرْقَـةُ إِخْـوَانٍ، وَفَقْـدُ حَبِـيبِ

وقوله يمدح (حِصْنَ بْنَ حُذَيْفَةَ بن بدرٍ الفَزَارِيّ) من قصيدة:

وَذِي نَـسَبٍ نَـاءٍ بَعِيـدٍ وَصَـلْتَـهُ | بِمَـالٍ، وَمَـا يَـدْرِي بِـأَنَّـكَ وَاصِلُهْ
وَذِي نِعْمَـةٍ تَمَّمْتَهـا وَشَكَـرْتَهَـا، | وَخَصْمٍ (يَكَـادُ يَغْلِبُ الحَقَّ بَاطِلُهْ)
دَفَعْتَ بِمَعْرُوفٍ مِنَ القَوْلِ، صَائِبٍ، | إِذَا مَـا أَضَـلَّ النَـاطِقِينَ مَفَـاصِلُهْ[4]
وَذِي خَطَلٍ فِي القَوْلِ يَحْسِبُ أَنَّـهُ | مُصِيبٌ، فَمَـا يُلْمِمْ بِهِ فَهُـوَ قَـائِلُهْ[5]
عَبَـأْتَ لَهُ حِلْمـاً، وَأَكْرَمْتَ غَيْـرَهُ، | وأَعْـرَضْتَ عَنْهُ، وَهُـوَ بَادٍ مَقَـاتِلُهْ[6]

وكان «قُدامة بن موسى» عالماً بالشعر. وكان يقدِّم «زهيراً» على ما عداه، ويستجيد قوله في مدح (هرم بن سنان):

(١) شوابك الأرحام: ما اشتبك منها وتداخل. والأرحام: جمع رَحِم وهي القرابة و (الصهر) أهل بيت المرأة والجمع أصهار.
(٢) العبء: الحمل (اليد) النعمة مجازاً. أي بغير سابقة يدٍ له عندك.
(٣) عزَّ علي الأمر يَعزّ: من باب علم: اشتد.
(٤) المفاصل: جمع مِفصَل وهو اللسان والضمير يعود إلى الباطل.
(٥) الخطل: القول الفاسد والمنطق الفاحش (يلمم به) يعرض له ويخطر. يقال: ألمَّ بالقوم، أي نزل.
(٦) عبأت المتاعَ والأمر، أي هيأته (بادٍ) ظاهر (المقاتل) جمع مقتل. وهو العضو الذي إذا أصيب لا يكاد يسلم صاحبه كالصُّدغ. يقال: بدت مقاتل فلان إذا فعل أمراً أوجب قتله.

قَدْ جَعَلَ المُبْتَغُونَ الخَيْرَ فِي هَـرِمٍ وَالسَّـائِلُونَ إِلَى أَبْـوَابِـهِ طُـرُقـا[1]
مَنْ يَلْقَ يَـوْمـاً عَلَى عِـلاَّتِـهِ هَــرِمـاً يَلْقَ السَّمَـاحَةَ فِيـهِ وَالنَّدَى خُلُقـا[2]

وهذان البيتان من قصيدة. ومنها قوله:

أَغَـرُّ، أَبْيَضُ، فَيَّاضٌ، يُفَكِّـكُ عَنْ أَيْدِي العُنَاةِ وَعَنْ أَعْنَـاقِهَا الـرِّبَقَا[3]
وَذَاكَ أَحْــزَمُهُـــمْ رَأْيـاً، إِذَا نَبَـأٌ مِنَ الحَوَادِثِ غَادَى النَّاسَ أَوْ طَرَقا[4]
لَـوْ نَـالَ حَيٌّ مِنَ الـدُّنْيَـا بِمَنْــزِلَـةٍ وَسْطَ السَّمَـاءِ، لَنَـالَتْ كَفُّـهُ الأُفُقـا

قال (ابن قُتيبة): وكان (زهير) يتألَّه ويتعفَّف في شعره، ويدل شعره على إيمانه بالبعث، وذلك قوله:

يُؤَخَّرْ، فَيُوضَـعُ فِي كِتَابٍ، فَيُـدَّخَرْ لِيَـوْمِ حِسَـابٍ، أَوْ يُعَجَّــلْ فَيُنْقَمِ

وكان (زهير) شديد العناية بتنقيح شعره، حتى ضُرب به المثل، وسُميت قصائده بالحوليَّات، نسبة إلى الحول أي السنة، وذلك لأنه كان ينظم القصيدة في أربعة أشهر، ويهذبها بنفسه في أربعة أشهر، ويعرضها على أصحابه الشعراء في أربعة أشهر. فلا يشهرها حتى يأتي عليها حول كامل.

---

(١) المبتغون: الطالبون.
(٢) العلات: الحالات المختلفة «الندى» الكرم.
(٣) الأغرُّ: الحَسَن، والسيد، والشريف، والكريم الأفعال الواضحة. وأصل معناها الفرس الذي في جبهته غُرة، وهي بياض في جبهة الفرس «فياض» كثير الفيض وهـو الجود «العُناة» جمع عانٍ وهو الأسير «الربق» جمع رِبْقة، وهي العروة في الحبل تكون فيه عدةُ عرى.
(٤) غادى الناس: جاءهم غدوة «طرق القوم» جاءهم ليلاً.

وقيل كان ينظم القصيدة في ليلة واحدة، ويُهذبها في سنة. ولعل الأول أرجح.

معلقته وسبب نظمها:

معلقة (زهير) أشعر شعره. وقد جمعت ما أشبه كلام الأنبياء، وحكمة الحكماء. ففيها الحكمة البالغة، والموعظة الحسنة، والأخلاق الفاضلة، والمعاني العالية، والأغراض النبيلة. أضِف إلى ذلك ما حَوَته من الأساليب البليغة، والكلام الجَزْل.

وقد أنشأها يمدح بها (الحارث بن عوف) و(هرم بن سِنان) المُرِّيَّيْن، ويذكر سعيهما بالصلح بين (عبس وذبيان) وتحمُّلَهما ديته من مالهما.

وذلك أن (وَرْدَ بن حابس العبسي) قتل (هَرِمَ بنَ ضمضم المري) في حرب (عبس) و(ذبيان) قبل الصلح، وهي المعروفة بحرب (داحس والغبراء)[1]. فلما اصطلح الناس ووضعت الحرب

---

(١) حرب داحس والغبراء

قال أبو عبيدة: حرب داحس والغبراء بين عبس وذبيان ابني بغيض بن رَيْث بن غطفان. وكان السبب الذي هاجها أن قيس بن زهير وحمل بن بدر تراهنا على داحس والغبراء: أيهما يكون له السبق. وكان داحس فحلاً لقيس، وكانت الغبراء حجِرة لحمل بن بدر. «الحجرة الأنثى من الخيل» ـ وتواضعا الرهان على مئة بعير. وجعلا منتهى الغاية مئة غلوة. «الغلوة مسافة رمية السهم» والإضمار أربعين ليلة. ثم قادوهما إلى رأس الميدان بعد أن أضمروهما أربعين ليلة. وفي طرف الغابة شعاب كثيرة. فأكمن حملُ بن بدر في تلك الشعاب فتياناً على طريق الفرسين. وأمرهم إن جاء داحس سابقاً أن يردُّوه عن الغاية. فكان ماأمرهم به. فنشبت الحرب بين عبس وذبيان لأجل ذلك. وكانت لهما أيام كثيرة جرت فيها الدماء. إلى أن تمّ الصلح.

أوزارها تخلَّف (ضمضم) أخو (هَرِم) عن الدخول فيما دخل فيه الناس. وحلف أن لا يغسل رأسه حتى يقتل (ورد بن حابس) أو رجلاً من (بني عبس) ثم من (بني غالب). ولم يطَّلع على ذلك أحد.

وكان قد حمل الحمائل وتكفَّل بأداء دية من قُتل قبل الصلح (الحارث بن عوف بن أبي حارثة) و(هَرِمِ بن سنان).

ثم أقبل رجل من (بني عبس) ثم من (بني غالب) حتى نزل بِحُصَيْن بن ضمضم. فقال له: «من أنت أيها الرجل؟»، قال: «عبسي». فقال: «من أي عبسٍ؟»، فلم يزل ينتسب حتى انتسب إلى (غالب). فقتله (حُصَين). وبلغ ذلك (الحارثَ بن عوف) و(هرم بن سنان)، فاشتدَّ عليهما ذلك. وبلغ الأمر (بني عبس)، فركبوا نحو (الحارث). فلما بلغه ركوبهم إليه وما قد اشتد عليهم من قتل صاحبهم وأنهم يريدون قتل (الحارث). بعث إليهم بمئة من الإبل معها ابنه. وقال للرسول: قل لهم: «الإبل أَحبُّ إليكم، أم أنفسكم؟» فأقبل الرسول حتى قال لهم ذلك. فقال (الربيع بن زياد): «يا قوم، إن أخاكم قد أرسل إليكم يقول: الإبِلُ أحبُّ إليكم، أم ابنُهُ تقتلونه مكان قتيلكم؟». فقالوا: «بل نأخذ الإبل ونصالح قومنا».

وفي ذلك يقول (زهير) في معلقته:

تَدَارَكْتُمَا عَبْساً وَذُبْيَانَ بَعْدَمَا ... تَفَانَوْا وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشَمِ

فَأَصْبَحَ يَجْرِي فِيهِمُ مِن تِلَادِكُمْ ... مَغَانِمُ شَتَّى مِنْ إِفَالٍ مُزَنَّمِ (١)

---

(١) سيأتي تفسير هذين البيتين في معلقته.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

نخبة من معلقته

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلَّمِ ، بِحَوْمَانَةِ الدَّرَّاجِ فَالمُتَثَلِّمِ ؟[1]
وَدَارٌ لَهَا بِالرَّقْمَتَيْنِ ، كَأَنَّهَا مَرَاجِيعُ وَشْمٍ فِي نَوَاشِرِ مِعْصَمِ[2]
فَلَمَّا عَرَفْتُ الدَّارَ قُلْتُ لِرَبْعِهَا : أَلَا أَنْعِمْ صَبَاحاً أَيُّهَا الرَّبْعُ ، وَاسْلَمِ[3]

* * * * * *

فَأَقْسَمْتُ بِالبَيْتِ (الَّذِي طَافَ حَوْلَهُ رِجَالٌ بَنَوهُ مِنْ قُرَيْشٍ وَجُرْهُمِ)[4]

---

(١) أم أوفى: كنية امرأته (الدمنة) آثار الدار بعد رحيل القوم (لم تكلم) أصلها لم تتكلم، أي سألتها فلم تستطع الكلام فتجيب (حومانة الدراج والمتثلم) موضعان.

(٢) الرقمتان، قيل: هما روضتان بناحية الصمان. وقيل: هما روضتان إحداهما قريبة من البصرة وأخرى بنجد. وقيل: أحداهما قرب المدينة وأخرى قرب البصرة. والرقمة: لغة معناها الروضة؛ ومجتمع الماء في الوادي ـ أراد أن لها داراً بين الرقمتين. والرقمتان أيضاً اسم لموضع قرب المدينة. ولعله أراد هذا (مراجيع الوشم) خطوطه والوشم أن تغرز الإبرة في الجلد ثم يذر عليه شيء كالكحل. وكانت نساؤهم يستعملن ذلك للزينة، كما هي عادة نساء القرى ورجالها اليوم (النواشر) أعصاب الذراع ومفردها ناشرة.

(٣) الربع: ما حول الدار. وهو الدار نفسها. والمعنى الأول هو المراد هنا (ألا أنعم) ويروى أيضاً: ألا عِمّ.

(٤) جرهم: أمة قديمة كانت صاحبة الغَلَب والشرف قبل قريش.

يَميناً: لَنِعْمَ السَّيِّدانِ وُجِدْتُمَا عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ: مَنْ سَحِيلٍ وَمُبْرَمِ [1]
تَدَارَكْتُمَا عَبْساً وَذُبْيَانَ، بَعْدَ مَا تَفَانَوْا وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشَمِ [2]
وَقَدْ قُلْتُمَا إِنْ نُدْرِكِ السِّلْمَ وَاسِعاً بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ القَوْلِ، نَسْلَمِ [3]
فَأَصْبَحْتُمَا مِنْهَا عَلَىٰ خَيْرِ مَوْطِنٍ، بَعِيدَيْنِ فِيهَا مِنْ عُقُوقٍ وَمَأْثَمِ [4]
عَظِيمَيْنِ فِي عُلْيَا مَعَدٍّ ـ هُدِيتُمَا ـ وَمَنْ يَسْتَبِحْ كَنْزاً مِنَ المَجْدِ يَعْظُمِ [5]
فَأَصْبَحَ يَجْرِي فِيهِمُ مِنْ تِلَادِكُمْ مَغَانِمُ شَتَّى مِنْ إِفَالٍ مُزَنَّمِ [6]

(١) السيدان، أراد بها هرم بن سنان والحارث بن عوف المريين لأنهما هما اللذان سعيا بالصلح وتحمّلا الدية من مالهما (سحيل ومبرم) سهل وصعب. والسحيل في الأصل هو الخيط غير المفتول. والمبرم هو الخيط المفتول. فكني بالسحيل عن سهولة الأمر وبالمبرم عن صعوبته.

(٢) تفانوا: أفنى بعضهم بعضاً. (دقوا بينهم عطر منشم) تهيأوا للشر أو للحرب. وهو مَثَلٌ يُضرب لقوم هاجت الفتنة بينهم. وقد اختلفوا في أصل هذا المثل. فقال بعضهم: منشم امرأة عطارة من همدان كانوا إذا تطيبوا بطيبها اشتدت الحرب. فصارت مثلاً في الشر. فقالوا: أشأم من عطر منشم. فكانوا إذا دخلوا الحرب بطيب تلك المرأة تقول الناس: دقّوا بينهم عطر منشم. وقال غيرهم: إن منشم امرأة من بني غدانة. وكان لزوجها مولى «عبد» يسمى يساراً. وكان من أقبح الناس. وكان النساء يضحكن من قبحه. فضحكت منه منشم يوماً. فظن أنها أحبته فضحكت له. فقال لصاحب له: قد والله عشقتني امرأة مولاي. فنهاه صاحبه عن ذلك، فلم ينته. فمضى حتى دخل عليها فراودها عن نفسها. فقالت له: مكانك، فإن للحرائر طيباً أُشمُّك إياه. فقال: هاتيه. فأتته بموسى تخفيها وأظهرت أنها تشمه الطيب. ثم أنحت على أنفه فاستأصلته. فتشاءم الناس بعطرها. وقالوا: أشأم من عطر منشم.

(٣) السلم، بكسر السين وفتحها: الصلح. (واسعاً) أراد تاماً مكيناً (نسلم) أي نسلم من الحرب وما تجره من الويلات.

(٤) العقوق: قطيعة الرحم (المأثم) الإثم وهو ما يترتب على ارتكاب الذنب.

(٥) عليا معدّ: أراد بها أشرافها ورؤساءها (يعظم) يكن عظيماً.

(٦) التلاد: المال الموروث (الآفال) صغار الإبل ومفردها أفيل للمذكر وأفيلة للمؤنث وجمع الجمع أفائل (المزنم) من الإبل ما كان له زَنَمة. والزنمة شيء يقطع من أذن البعير فيترك معلقاً. وإنما يُفعل ذلك بكرام الإبل ـ وإنما لم يؤنث المزنم مع أنه صفة للجمع وهو إفال ـ لأن الجمع هنا جاء على لفظ المفرد. وكثيراً ما يفعلون ذلك.

أَلاَ أَبْلِغِ الأَحْـلاَفَ عَنِّي رِسَالَـةً   وَذُبْيَانَ: هَلْ أَقْسَمْتُمُ كُـلَّ مُقْسَمِ[(١)]
فَـلاَ تَكْتُمُنَّ اللهَ مَا فِي نُفُـوسِكُمْ   لِيَخْفِي ومَهْمَـا يُكْتَمِ اللهُ يَعْـلَمِ[(٢)]
يُؤَخَّرْ، فَيُوضَعْ فِي كِتَابٍ، فَيـدَّخَرْ   لِيَوْمِ الحِسَابِ، أَوْ يُعَجَّلْ، فَيُنْقَمِ[(٣)]
ومـا الحَـرْبُ إلاَّ مَـا عَلِمْتُمْ وَذُقْتُمُ،   وَمَا هُوَ عَنْهَـا بِالحَـدِيثِ المُرَجَّمِ[(٤)]
مَتَى تَبْعَثُـوهَـا تَبْعَثُـوهَـا ذَمِيمَـةً،   وَتَضْـرَ إِذَا ضَرَّيْتُمُـوهَا، فَتَضْـرَمِ[(٥)]
لَعَمْـرِي، لَنِعْمَ الحَيُّ جَـرَّ عَلَيْهِمُ   بِمَا لاَ يُواتِيهِمْ ـ حُصَيْنُ بْنُ ضَمْضَمِ[(٦)]
وَكَـانَ طَوَى كَشْحـاً عَلَى مُسْتَكِنَّةٍ،   فَـلاَ هُـوَ أَبْـدَاهَـا، ولَمْ يَتَقَـدَّمِ[(٧)]
وَقَـالَ سَـأَقْضِي حَـاجَتِي، ثُمَّ أَتَّقِي   عَدُوِّي بِأَلْفٍ ـ مِنْ وَرِائِي ـ مُلْجَمِ[(٨)]

* * * * * *

(١) أراد بالأحلاف بني أسد وبني غطفان لأنهم تحالفوا على التناصر (المقسم) مصدر ميمي بمعنى القسم ـ والمعنى أبلغهم أنهم قد أقسموا كل قسم على الصلح وترك القتال.
(٢) أي لا تكتموا الله ما تضمرونه ظانين أنه يخفى عليه، فمهما يُكتم عنه يعلمه.
(٣) يؤخر ما تكتمونه من الأمر فيكن في علم الله، وهو يؤخره إلى يوم الجزاء والحساب على الأعمال، أو يعجل بالجزاء والانتقام من صاحبه.
(٤) الحديث المرجَّم: هـو الذي لا يـوقف على حقيقته ولا تعمـل صحته. يقـال: رجَّم بالغيب، أي تكلم بما لا يعلم والرَّجم: التكلم بالظن من غير تحقيق.
(٥) تبعثوها: تثيروها بعد أن همدت (تضر) يقال: ضريَ الكلب بالصيد يَضريَ ضَرًى وضِراء وضَراء، إذا لزمه وتعوَّده (ضرَّيتموها) عوَّدتموها (تضـرم) تلتهب ـ: والمعنى إذا عودتم الحرب عليكم فإنها تتعود، فلا تقدرونبعد ذلك على التملص من عواقبها والتفصي من جرائرها.
(٦) جر عليهم: جنى عليهم. والجريرة: الجناية وجمعها جرائر (يواتيهم) يوافقهم ويلائمهم.
(٧) طوى على هذا الأمر كشحاً: أضمره وأخفاه (المستكنة) الأمر الذي يكنه الإنسـان في صدره ويخفيه.
(٨) أراد بحاجته إدراك ثأر أخيه (اتقيت السيف بالترس) أي جعلته وقاية بيني وبينه (بألفٍ) أي بألف فرس (ملجم) قد وضع اللجام في فيه. وأراد بالإفراس أصحابها. وقد بسطنا خبر ذلك وما قبله في الكلام على سبب نظم هذه المعلقة، فراجعه.

سَئِمْتُ تَكاليفَ الحَيَاةِ: وَمَنْ يَعِشْ ... ثَمانِينَ حَوْلاً ـ لَا أَبَالَكَ ـ يَسْأَمِ (١)
وأَعْلَمُ مَا فِي اليَوْمِ والأَمْسِ قَبْلَهُ، ... ولَكِنَّنِي عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَدٍ عَمِي: (٢)
رَأَيْتُ المَنَايَا خَبْطَ عَشْوَاءَ: مَنْ تُصِبْ ... تُمِتْهُ، وَمَنْ تُخْطِىءْ يُعَمَّرْ فَيَهْرَمِ (٣)
ومَنْ لَمْ يُصَانِعْ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ ... يُضَرَّسْ بِأَنْيَابٍ، وَيُوطَأْ بِمَنْسِمِ (٤)
ومَنْ يَجْعَلِ المَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ ... يَفِرْهُ وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمِ (٥)
ومَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخَلْ بِفَضْلِهِ ... عَلَى قَوْمِهِ، يُسْتَغْنَ عَنْهُ، وَيُذْمَمِ (٦)
ومَنْ يُوفِ لَا يُذْمَمْ. ومَنْ يُهْدَ قَلْبُهُ ... إِلَى مُطْمَئِنِّ البِرِّ، لَا يَتَجَمْجَمِ (٧)

---

(١) تكاليف الحياة: أتعابها ومشقاتها (الحول) السنة.

(٢) عمي: غير مهتد. يقال: عَمِيَ عن الشيء، إذا لم يهتد إليه. وعَمِيَ عليه الأمر، أي التبس واشتبه. وعميَ عني الشيء، أي اختفى، والعمِي والأعمى: ذو العمى، بمعناه الحقيقي ومعانيه المجازية.

(٣) المنايا: جمع منية، وهي الموت (خبط) أي تخبط خبط عشواء، وهي الناقة التي لا تبصر ليلاً فهي تخبط بيديها كل شيء إذا مشت فلا تتوقى شيئاً. وبها يُضرَب المثل في السير على غير هدى ولا رشد. فيقال: «فلان يخبط في أمره خبط عشواء» أي لا يدري الخطأ من الصواب. ويقال: «هو أخبط من عشواء». ويقال: «إنهم لفي عشواء من أمرهم» أي ظلمة وحيرة وقلة هداية (يعمَّر) يكن طويل العمر. يقال: «فلان من المعمَّرين» أي ممن طالت أعمارهم (يهرم) يضعف ويبلغ الهرم وهو أقصى الكبر.

(١) يصانع: يجامل ويدار (يضرَّس) يُعض بالأضراس. يقال: ضرَسه وضرَّسه، إذا عضّه بأضراسه عضاً شديداً ـ والمعنى أنه يُذل ويهان ويتعب (يُوطأ) يُدَس. وطىء الشيء يطأه، أي داسه يدوسه (المنسم) خف البعير، وهو الذي يدوس به: وقيل: المنسم للبعير كالظفر للإنسان.

(٥) يَفِره: يحفظه وأصل معنى الوفر الزيادة والكثرة. يقال: وَفَر المال يفِرُ وفراً ووُفوراً، إذا كثر واتسع. ووفر فلانٌ المال ووفَّره، إذا كثره ونمّاه (من لا يتق الشتم) أي من لا يتحفظ منه. والتحفظ منه بأن لا يفعل ما يوجبه.

(٦) الفضل: الزيادة، وأراد به الزيادة في المال.

(٧) مطمئن البر: هو البر الذي تطمئنُّ إليه النفوس وتسكن له (لا يتجمجم) لا يحجم ولا يتأخر، يقال: تجمجم عن الأمر، إذا لم يقدم عليه.

ومَنْ هَـابَ أَسْبَابَ المَنَـايَـا يَنَلْنَـهُ، وإِنْ يَـرْقَ أَسْبَابَ السَّمَـاءِ بِسُلَّمِ [1]
وَمَنْ يَعْصِ أَطْـرَافَ الزِّجَـاجِ فَإِنَّـهُ يُـطِيعُ العَـوَالِي رُكِّبَتْ كُلَّ لَهْـذَمِ [2]
ومَنْ لَمْ يَـذُدْ عَنْ حَوْضِـهِ بِسِلاَحِـهِ يُهَدَّمْ ومَنْ لاَ يَظْلِمِ النَّاسَ يُظْلَمِ [3]
ومَنْ يَغْتَـرِبْ يَحْسِبْ عَدُوّاً صَـدِيقَهُ ومَنْ لاَ يُكَـرِّمْ نَفْسَـهُ لاَ يُكَـرَّمِ [4]
وَمَهْمَـا تَكُنْ عِنْدَ امْـرِىءٍ مِنْ خَلِيقَةٍ ـ وإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ ـ تُعْلَمِ [5]

* * * * * *

(١) هاب: خاف (أسباب المنايا) ما يؤدِّي إليها كالحرب مثلاً (وإن يرق) وأن يصعد (أسباب السماء) طُرُقها أو مراقيها أو نواحيها أو أبوابها. يقول: إنّ من خاف من أسباب الموت فالموت لا بدّ ملاقيه ولو صعَّد في السماء.

(٢) الزجاج جمع زجّ: وهو الحديدة التي تكون في أسفل الرمح (العوالي) صدور الرماح مما يلي السنان (اللهذم) الحادُّ القاطع من الأسنة والسيوف والأنياب وجمعه لهـاذم ولهـاذمة ـ يريد أن يقـول: إن من عصى الأمر الصغير صار إلى الكبير فأطاع فيه مكرهاً وقد ضرب لذلك مثلاً من عصى زجَّ الرمح فإنه يطيع عاليته. وذلك أنه كان من عادة العرب أنهم إذا تواقفوا للقتال ولَّى بعضهم بعضاً كعوب الرماح، وسفرت السفراء بينهم بالصلح والكف عن الحرب، فإن أطاعوا رجعوا عن القتال، وإلا قلبوا الأسنة إلى جهة العدو واقتتلوا. فالمعنى حينئذ: من لم يقبل بالصلح قبل الطعن قبل به بعده: بعد أن يرى من أهوال الحرب ما يرى. ومن أمثالهم: (الطعن يظأر) أي يعطف القلوب على الصلح.

(٣) يذد: يدفع. وفلان يـذود عن شرفه: يدفع عنه (يهدم) الضمير يرجع إلى الحوض.

(٤) يغترب: أي من يتغرّب عن بلاده وأهله ويُقِم فيمن لا يعرف أخلاقهم وعاداتهم ـ يلتبس عليه الأمر فلا يفرق بين الناس فيحسب صديقه عدوّاً ومبغضه محباً (تكريم النفس) هو حملُها على معالي الأمور، وحجبها عما يليق بأهل المروءات والشرف أن يفعلوه وترغيبها في المفيد، وتزهيدها فيما لا ينفع.

(٥) الخليقة: السجيَّة والطبيعة (خالها) ظنها.





لبيد بن ربيعة

توفي سنة (٦٨٠) م و (٦٠) هـ

هو (لَبيد بن رَبيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري) وكنيته (أبو عقيل). وهو صحابي أدرك الجاهلية والإسلام. عاش خمساً وأربعين سنة بعد المئة (١٤٥)، وقيل بل خمساً وخمسين بعد المئة (١٥٥).

وكان يقال لأبيه: (ربيعة المُقْتِرين) لجوده وسخائه. وعمُّه هو (أبو براء عامر بن مالك) الملقب بِمُلَاعِب الأَسنَّة. لُقِّبَ بذلك لقول (أَوْس بن حجَر) فيه:

فَلَاعَبَ أَطْرَافَ الأَسِنَّةِ مَالِكُ، فَرَاحَ لَهَا حَظُّ الكَتِيبَةِ أَجْمَعُ

وقد وَفَدَ وقومَهُ (بني جعفر بن كلاب) على النبيّ ﷺ فأسلم وحسن إسلامه. وأسلم قومه.

وكان (لبيد) و (عَلْقمة بن عُلاثة) العامريان من المؤلفة قلوبهم.

وهو معدود من فحول الشعراء المجيدين في الطبقة الثانية.

حاله قبل الإسلام:

كان من شعراء الجاهلية وأجوادهم وفرسانهم.

ومن سيرته أن (الحارث الغساني) وهو المعروف بالأعرج وجّه إلى (المنذر بن ماء السماء) مئة فارس وأمَّر عليهم (لبيداً) فساروا إلى عسكر (المنذر). وأظهروا أنهم أتوه داخلين عليه في طاعته. فلما تمكنوا منه قتلوه، وركبوا خيلهم. فلحقهم القوم، فقتلوا أكثرهم، وكان فيمن نجا (لبيد) فأتى ملك (غسان) فأخبره. فحمل (الغسانيون) على عسكر (المنذر) فهزموهم في اليوم المعروف بـ (يوم حليمة). هي بنت ملك غسَّان. وكانت طَيَّبَتْ هؤلاء الفتيان، وألبستهم الأكفان.

و (يوم حليمة) هو الذي يقول فيه الشاعر:

تُخُيِّـرْنَ مِنْ أَزْمَـانِ يَـوْمِ حَلِيمَـةٍ ... إِلَى اليَوْمِ ، قَدْ جُرِّبْنَ كُلَّ التَّجَارِبِ

قدومه على النعمان بن المنذر:

كانت دلائل النباهة والنجابة بادية على (لبيد) منذ حداثة سنه. يدلك على ذلك ما جرى له مع (الربيع بن زياد) عند (النعمان بن المنذر).

وذلك كما قال (ابن الأعرابي):

وفد (أبو براء ملاعب الأسنة) وهو (عامربن مالك بن جعفر بن كلاب) وإخوته (طُفَيل) و (معاوية) و (عُبَيدَة) ومعهم (لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر) وهو غلام، على (النعمان بن المنذر). فوجدوا عنده (الربيع بن زياد العبسي). وكان (الربيع) ينادم (النعمان) مع رجل من تجار الشام يقال له (زرجون بن نوفل).

فلما قدم الجعفريون «وهم لبيد وقومه» كانوا يحضرون (النعمان) لحاجتهم. فإذا خلا (الربيع) بالنعمان طعن فيهم وذكر معايبهم. ففعل

ذلك بهم مراراً. وكانت (بنو جعفر) له أعداء فصدَّه عنهم. فدخلوا عليه يوماً فرأوا منه تغيُّراً وجفاء «وكان يكرمهم قبل ذلك ويقرِّب مجلسهم» فخرجوا من عنده غِضاباً. و (لبيد) في رحالهم يحفظ أمتعتهم، ويغدو بإبلهم كلّ صباح فيرعاها. فإذا أمسى انصرف بإبلهم. فأتاهم ذات ليلة فألفاهم يتذاكرون أمْرَ (الربيع) وما يلقون منه، فسألهم فكتموه، فقال لهم: «والله لا أحفظ لكم متاعاً ولا أسرِّح لكم بعيراً أو تخبروني فيمَ أنتم «وكانت أم (لبيد) امرأة من بني عبس، وكانت يتيمة في حجر الربيع» فقالوا: «خالك قد غلبنا على الملك وصدَّ عنَّا وجهَه». فقال لهم (لبيد): «هل تقدرون على أن تجمعوا بينه وبيني فأزجره عنكم بقول مُمضٍ، ثم لا يلتفت إليه النعمان بعده أبداً؟»، فقالوا: «هل عندك من ذلك شيء؟»، قال: «نعم»، قالوا: «فإنا نبلوك[1] بشتم هذه البقلة». (وكان قدامهم بقلة دقيقة القضبان قليلة الورق لاصقة بالأرض تُدعى التَّرِبَة) فقال:

«هَذِهِ التَّرِبَةُ الَّتِي لَا تُذْكِي ناراً[2]؛ وَلَا تُوهِلُ دَاراً[3]، وَلَا تَسُرُّ جاراً، عُودُهَا ضَئِيلٌ[4]، وفَرْعُهَا كَلِيلٌ[5]، وخَيْرُهَا قَلِيلٌ. أَقْبَحُ البُقُولِ مَرْعًى، وأَقْصَرُهَا فَرْعاً، وأَشَدُّهَا قَلْعاً، فَتَعْساً لَهَا وَجَدْعاً[6]. بَلَدُهَا شَاسِعٌ؛ وآكِلُهَا جَائِعٌ، والمُقيمُ عَلَيْهَا قَانِعٌ. إِلْقَوْا بِي أَخَا عَبْسٍ[7]، أَرُدُّهُ

(١) نبلوك: نختبرك.
(٢) لا تذكي: لا تشعل.
(٣) أي لا تعمرها.
(٤) أي نحيل دقيق.
(٥) أي لا نفع منه. يقال: سيف كليل إذا لم يقطع.
(٦) أي قطعاً. وأصل معنى الجدع قطع الأنف.
(٧) أراد به الربيع بن زياد العبسي.

عَنْكُمْ بِتَعْسٍ وَنُكْسٍ[١]؛ وأَتْرُكُهُ مِنْ أَمْرِهِ فِي لَبْسٍ[٢]».

قالوا: «نصبح غداً ونرى فيك رأينا» فقال لهم عامر: انظروا إلى غلامكم هذا، «يعني لبيداً» فإن رأيتموه نائماً فليس من أمره شيء، إنما هو يتكلم بما جاء على لسانه، ويهذي بما يَهْجَسُ به خاطره. وإذا رأيتموه ساهراً فهو صاحبه» فرمقوه فوجدوه وقد ركب رَحْلاً فهو يَكْدِمُ وسطه[٣]. حتى أصبح. فقالوا: «أنت صاحبه». فعمدوا إليه، فحلقوا رأسه وتركوا ذؤابته وألبسوه حُلَّة. ثم غَدَوْا به معهم على (النعمان). فوجدوه يتغدَّى، ومعه (الربيع)، وهما يأكلان لا ثالث لهما. والدار والمجالس مملوءة من الوفود. فلما فرغ من الغداء أذِنَ للجعفريين، فدخلوا عليه: «وكان أمرهم قد تقارب» فذكروا للنعمان الذي قدموا له من حاجتهم. فاعترض «الربيع بن زياد» في كلامهم. فقام «لبيد» يرتجز ويقول:

أَكُلَّ يَوْمٍ هامَتِي مُقَزَّعَهْ؟ ... يَا رُبَّ هَيْجَا هِيَ خَيْرٌ مِنْ دَعَهْ[٤]
يا وَاهِبَ الخَيْرِ الكَثِيرِ مِنْ سَعَهْ، ... إِلَيْكَ جَاوَزْنَا بِلاداً مُسْبِعَهْ[٥]

(١) نكسه ينكسُهُ نكساً: قلبه على رأسه وجعل أسفله أعلاه ومقدمه مؤخره. والنُّكس بضم النون: هو أن لا يقوم الرجل بعد سقطته حتى يسقط ثانية وهي أشد من الأولى. وقولهم تعساً له ونُكساً ـ بضم النون وقد تُفتح لتزاوج تعساً ـ: يُستعمل للدعاء على المقول له ذلك.

(٢) أي في التباس وحيرة.

(٣) أي يعضّه بأدنى فمه.

(٤) الهامة: الرأس (مقزّعة) محلوقة إلا بقايا في نواحيها. يقال قزّع الرأس: إذا حلقه وترك منه بقايا في نواحيه. وفي غير هذا المعنى يقال: قزع فلاناً، إذا جرّده وهيّأه لأمر معيَّن (الهيجا) الحرب وأصلها بالهمز (الدعة) الراحة.

(٥) مسبعة: ذات سباع كثيرة.

نَحْنُ بَنُو أُمِّ البَنِينَ الأَرْبَعَهْ، سُيُوفُ حَقٍّ، وجِفَانٌ مُتْرَعَهْ[1]
نَحْنُ خِيَارُ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَهْ، والضَّارِبُونَ الهَامَ تَحْتَ الخَيْضَعَهْ[2]
والمُطْعِمُونَ الجَفْنَةَ المُدَعْدَعَهْ مَهْلاً ـ أَبَيْتَ اللَّعْنَ ـ لاَ تَأْكُلْ مَعَهْ[3]

ثمَّ ذكر بعدها بيتين رأينا الأدب يَجْبَهُنا[4] دون ذكرهما.

فلما سمع «النعمان» كلام «لبيد» رفع يده من الطعام، وقال: «خَبَّثْتَ ـ والله ـ عليَّ طعامي يا غلام. وما رأيت كاليوم». ثم التفت إلى «الربيع» شَزراً فقال: «أكذا أنت؟»، قال: لا والله، لقد كذب عليَّ ابن الأحمق اللئيم».

ثم قضى «النعمان» حوائج «الجعفريين» من وقته وصرفهم. ومضى «الربيع» إلى منزله. فبعث إليه «النعمان» بضعف ما كان يحبوه به، وأمره بالانصراف إلى أهله. فكتب إليه «الربيع»: إني تخوَّفت أن يكون قد وَقر في صدرك ما قاله «لبيد»، ولست برائمٍ[5] حتى تبعث إليَّ من يبحث عن الأمر، فيعلم من حضرك إني لست كما قال فأرسل إليه (النعمان): «إنك لست صانعاً باتقائك مما قال «لبيد» شيئاً، ولا قادراً على ما زلَّت به الألسن. فالحق بأهلك» فلحق بأهله. ثم أرسل إلى «النعمان» بأبيات شعر قالها. ومنها هذا البيت:

لَئِنْ رَحَلْتُ جِمَالِي إنَّ لِي سَعَةً، ما مِثْلُها سَعَةً، عَرْضاً ولا طُولاً

(١) الجفان: القصاع (مترعة) ممتلئة.
(٢) الهام: جمع هامة (الخيضعة) البيضة التي تلبس على الرأس في الحرب.
(٣) المدعدعة: الممتلئة.
(٤) يجبهنا: يمنعنا. وأصل الجبه: ضرب الجبهة. يقال: جبهه، أي ضرب جبهته.
(٥) رائم: اسم فاعل من رام المكان يريمه، أي زال عنه وفارقه.

فكتب إليه (النعمان):

شَرِّدْ بِرَحْلِكَ عَنِّي حَيْثُ شِئْتَ، وَلا تُكْثِرْ عَلَيَّ، وَدَعْ عَنْكَ الأَباطيلا
قَدْ قِيلَ مَا قَيلَ - إِنْ صِدْقاً وإِنْ كَذِباً - فَمَا اعْتِذَارُكَ مِنْ قَوْلٍ إذَا قيلا؟
فَالحَقْ بِحَيْثُ رَأَيْتَ الأَرْضَ وَاسِعَةً، وانْشُرْ بِهَا الطَّرْفَ، إِنْ عَرْضاً وإِنْ طولا

حاله بعد الإسلام:

أسلم «لبيد» قبل الفتح، وحَسُن إسلامه، وهاجر، ولم يصحَّ عنه أنه قال شيئاً من الشعر بعد الإسلام إلا قوله:

مَا عَاتَبَ المَرْءَ الكَرِيمَ كَنَفْسِهِ والمَرْءُ يُصْلِحُهُ القَرِينُ الصَّالِحُ

قيل وقوله أيضاً:

الحَمْدُ لله: إذْ لَمْ يَأْتِنِي أَجَلِي، حَتَّى اكْتَسَيْتُ مِنَ الإِسْلَامِ سِربالا

والصحيح أن البيت الثاني ليس له، وإنما هو لرجل سَلوليٍّ من المعمِّرين.

والسبب في عدم قوله الشعر أنه لما أسلم وقرأ القرآن شغل بما فيه من حكمة رائعة، وموعظة حسنة، وبلاغة مُدهشة، صرفته عن الشعر. يَدُلُّك على ذلك ما ورد من أن (عمر بن الخطاب) - رضي الله عنه - كتب إلى عامله (المغيرة بن شُعبة) بالكوفة: «أن أستنشد من عندك من شعراء مِصرِك ما قالوه في الإسلام» (أي بعد أن دخلوا فيه) فأرسل إلى (الأغلب العجلي): أن أنشِدني. فقال:

لَـقَــدْ طَـلَبْـتَ هَـيِّنــاً مَــوْجــودا أَرَجَــزاً تُــرِيــدُ أَمْ قَــصِــيــدا

ثم أرسـل إلى (لبيد): أن أنشِـدني. فقال: «إن شِئت مـا عُفِيَ عنـه (يعني الجاهلية). فقال: «لا. أنشدني ما قلتَ في الإسلام». فـانطلق إلى بيته. فكتب (سورة البقرة) في صحيفة، ثم أتى بها، فقال «أبدَلني الله هذه في الإسلام مكان الشعر». فكتب بذلـك (المغيرة) إلى (عمـر) فنقَّص من عـطاء (الأغلب) خمس مئة وزادهـا في عطاء (لبيـد)، فكـان عـطاؤه ألفين وخمس مئة فكتب (الأغلب) إلى (عمر): «يا أمير المؤمنين، تُنقص عطائي إن أطَعتك؟» فردَّ عليه ما نقّصه وأقرَّ (لبيداً) على الألفين والخمس مئة.

فلما كان زمن (معاوية) أراد معاوية أن ينقصه من عطائـه. فقال لـه: هذان الفَوْدان (يعني الألفين) فما هذه العلاوة؟ (يعني الخمسمائـة). فقال لـه (لبيد): «أمـوت ويبقى لك الفَـودان والعلاوة. وإنمـا أنا هـامة اليـوم أو الغد[1] ولعلّي لا أقبضها». فـرَّق له (معـاوية) وتـرك له عـطاءه على حالـه. فمات ولم يقبضها.

وكـان (لبيد) من الأجـواد المشهورين. وكـان شريفـاً في الجاهليـة والإسـلام. وكـان قـد نَـذَرَ أن لا تهبَّ الصَّبـا إلا نحـر وأطعم. وكـانت لـه جَفنتان يغدو بهما ويروح كل يوم على مسجد قومه فيُطْعِمهم. فهبَّت الصَّبـا يوماً وهو بالكوفة مُقْتِر مُمْلِق[2]. فعلم بذلك (الوليـد بن عُقبة) ـ وكـان أميراً عليها ـ فصعِدَ المنبر، فخطب الناس، فقال: قد عرفتم أن أخاكم (لبيد بن ربيعـة) قد نـذر في الجاهليـة أن لا تهبَّ الصَّبا إلا أطعم. وهـذا اليـوم من

---

(١) يقولون: هو هامة اليوم أو الغد، أي يموت اليوم أو غداً.

(٢) أي فقير معدم.

أيامه. وقد هبَّت الصَّبا، فأعينوه. وأنـا أول من فعل». ثم نـزل عن المنبر. فـأرسل إليـه بمئة نـاقة. وبعث إليـه الناس حتى اجتمـع لديـه شيء كثير. فقضى نذره. وأطعم الناس.

وبعث إليه (الوليد) مع النُّوق بأبيات شعر قالها وهي:

أَرَى الجَـزَّارَ يَشْحَـذُ شَفْـرَتَيْـهِ إِذَا هَـبَّتْ رِيَـاحُ أَبِـي عَـقِيـلِ[1]
أَغَـرُّ الـوَجْـهِ، أَصْيَـدُ عـامِـرِيٌّ؛ طَوِيلُ البَاعِ، كَالسَّيْفِ الصَّقِيلِ[2]
وَفَى ابْنُ الجَعْفَـرِيِّ بِحَـلْقَتَيْـهِ، عَلَى العِـلاَّتِ والمَـالِ القَلِيـلِ[3]
بِنَحْـرِ الكُـومِ إِذْ سُحِبَتْ عَـلَيْـهِ ذُيُـولُ صَبـاً تَجَـاوَبُ بِـالأَصِيـلِ[4]

فلما أتاه الشعر (وكان قد ترك قوله) قال لابنته: «أجيبيه. فلقد عِشْتُ بُرهَةً[5] وما أَعْيَا[6] بجوابِ شاعر». فقالت:

إِذَا هَـبَّـتْ رِيَـاحُ أَبِـي عَـقِـيـلٍ دَعَـوْنَـا عِنْـدَ هَبَّتِهَـا الـوَلِيـدَا

---

(١) يشحذ: يسنّ.

(٢) أغر الوجه: حسنَهُ (الأصيد) الذي يرفع رأسه كبراً. وأراد به هنا الأبيَّ النفس (الصقيل) المصقول وهو المجلو بحيث لا يبقى عليه ما يمنع لمعانه من صدأ أو نحوه.

(٣) الحلقة: هي كل ما استدار من شيء. وأراد بحلقتيه جفنتيه اللتين كان يطعم بهما الناس (العلّات) الحالات المختلفة.

(٤) الكوم: الجمال الضخمة السنام. ومفردها للمذكر أكوَم وللمؤنثة كَوْماء (الصبا) ريح الصبا (تجاوب) أصلها تتجاوب، حُذفت إحدى التائين تخفيفاً. والمعنى يجاوب بعضها بعضاً عما سيصنع لبيد مع فقره وضيق ذات يده (الأصيل) وقت ما بعد العصر إلى المغرب.

(٥) البرهة: القطعة الطويلة من الزمان. يقال منه: بَرِهَ يَبْرَهُ بَرَهاً، أي أتت عليه بـرهة من الدهر ـ وأكثر كتّاب العصر يستعملونها بمعنى المدة القصيرة، وهو خطأ محض ـ. ويقال في غير هذا المعنى: أبرهَ إذا أتى بالبرهان.

(٦) أعيا: أعجزُ. يقال: عَيِيَ بالأمر، إذا عجز عنه.

أَشَمَّ الأنْفِ، أَرْوَعَ، عَبْشَمِيّاً أَعَانَ عَلَى مُرُوءَتِهِ لَبِيدا[1]
بِأَمْثَالِ الهِضَابِ؛ كَأَنَّ رَكْباً عَلَيْهَا مِنْ بَنِي حَامٍ قُعُودا[2]
أَبَا وَهْبٍ ـ جَزَاكَ الله خَيْراً ـ، نَحَرْنَاهَا وَأَطْعَمْنَا الثَّرِيدَا[3]
فَعُدْ، إِنَّ الكَرِيمَ لَهُ مَعَادٌ وظَنِّي بِابْنِ أَرْوَى أَنْ يَعُودَا[4]

فقال لها (لبيد): «أحسنت، لولا أنك استطعمتِهِ». فقالت: «والله ما اسْتَزَدْتُهُ، إلا أنه ملك، والملوك لا يُستحيا من مسألتهم. ولو كان سوقَةً لم أفعل «فقال: وأنت يا بُنَيَّةُ في هذه أشعر».

وفاة لبيد:

بعد أن وفد (لبيد) هو وقومه على النبيّ ﷺ فأسلم هو وإياهم، رجع قومه إلى بلادهم. وقدم هو (الكوفة) فأقام بها إلى أن مات، وله من العمر مئة وخمس وأربعون سنة (١٤٥) على الصحيح. ويقال أن وفاته كانت في أول مدة (معاوية بن أبي سفيان). وهو المشهور.

---

(١) أشم الأنف: سيد ذو إنفة كريم (الأروع) هو من يعجبك بحسنه وجهاز منظره أو بشجاعته وحسن صفاته، وقيل هو الشهم الذكي. ومؤنثه روعاء. والجمع: أرْواع ورُوع (عبشمياً) منسوباً إلى بني عبد شمس (المروءة) آداب نفسانية تحمل مراعاتها الإنسان على الوقوف عند محاسن الأخلاق وجميل العادات ـ وما يذكرونه لها من معنى النخوة وكمال الرجولية داخل في ذلك (بأمثال) متعلق بأعان.

(٢) الهضاب جمع هضبة وهو ما ارتفع من الأرض أو هي كل جبل منبسط على وجه الأرض. والمعنى أعانه بجمال ضخام أمثال الهضاب لضخامتها. وقد شبه أسنمتها ـ وهي ما ارتفع من ظهورها ـ بقوم سود قاعدين عليها. ضرب لسواد أسنمتها مثلاً وهو بنو حام أي السودان.

(٣) الثريد: طعام كانوا يتخذونه من كسرات الخبز مبلولة بماء اللحم. ومثله الثريدة. وجمعهما: ثرائد وثرود ـ وعوامّنا اليوم تسمي ذلك «التريدة» بالتاء.

(٤) فعد: أي عُدْ إلى مثل ما فعلت.

وقيل: بل في أيام (الوليد بن عقبة) في خلافة (عثمان بن عفان) ـ رضي الله عنه ـ فبعث (الوليد) إلى منزله عشرينَ جَزوراً[1] فنُحرت عنه وأكلها الناس.

و (لبيد) مذكور في طبقات المعمَّرين.

وروى (أبو حاتم السِّجِستاني) في (كتاب المعمَّرين) أن (الشعبي) قال: «أُرسل إليَّ (عبد الملك بن مروان) في حياته. فدخلت عليه فقلت: «كيف أُصبحت يا أمير المؤمنين فقال أصبحت كما قال (عَمرو بن قَميئة) الشاعر:

كَأَنِّي وَقَدْ جَاوَزْتُ سَبْعِينَ حَجَّةً، (خَلَعْتُ بِهَا عَنِّي عِذارَ لِجَامِي)[2]
رَمَتْنِي بَنَاتُ الدَّهْرِ مِنْ حَيْثُ لا أَرَى، فَكَيْفَ بِمَنْ يَرْمِي وَلَيْسَ بِرَامِ؟[3]
فَلَوْ أَنَّهَا نَبْلٌ، إِذَن لاتَّقَيْتُهَا، ولَكِنَّني أُرْمى بِغَيْرِ سِهَامِ
إِذَا ما رَآنِي النَّاسُ قالوا: أَلَمْ تَكُنْ جَليداً، شَديدَ البَطْشِ، غَيْرَ كَهَامِ؟[4]

فقلت: «لا يا أمير المؤمنين، ولكنك كما قال (لبيد بن ربيعة)، وذلك لما بلغ سبعاً وسبعين سنة. أنشأ يقول:

---

(١) الجزور: الواحد من الإبل يقع على الذكر والأنثى. وجمعه جُزرُ.
(٢) العِذار: ما سال من اللجام على خد الفرس. ومنه عذار الإنسان لما نبت بعارضيه والجمع عُذُر.
(٣) بنات الدهر: مصائبه.
(٤) الكهام: الضعيف. ومنه سيف كهام، أي كليل غير قاطع.

بَـاتَتْ تَشَكَّى إِلَيَّ النَّفْسُ مُجْهِشَةً: لَقَـدْ حَمَلْتُكَ سَبْعـاً بَعْـدَ سَبْعِينـا[1]
فَـإِنْ تُـزادي ثَــلاثـاً تَبْلُغي أَمَــلاً، وفي الثَّــلاثِ وفــاءٌ لِـلثَّمــانِـينـا

ثم عاش حتى بلغ تسعين سنة، فقال:

كَأَنِّي ـ وقَدْ جَاوَزْتُ تِسْعِينَ حَجَّةً ـ خَلَعْتُ بِهَــا عَنْ مَنْكِبِيَّ رِدَائِـيــا[2]

ثم عاش حتى بلغ مئة حَجَّة وعشراً، فأنشأ يقول:

أَلَيْسَ فِي مِئَـةٍ قَـدْ عَــاشَهَـا رَجُــلٌ وفي تَكَـامُلِ عَشْـرٍ بَعْـدَهَـا عُمُـرُ؟

ثم عاش حتى بلغ مئة وعشرين سنة، فأنشأ يقول:

وَلَقَـدْ سَئِمْتُ مِنَ الحَيَـاةِ وَطُــولِهَـا وَسُؤَالِ هَـذَا النَّاسِ: كَيْفَ لَبِيـدُ؟
غَلَبَ الـرِّجَـالَ، وكَـانَ غَيْـرَ مُغَلَّبٍ دَهْــرٌ جَــدِيــدٌ دَائِــمٌ مَـمْــدُودُ
يَــوْمٌ أَرَى يَــأْتِــي عَـلَيَّ وَلَــيْـلَةٌ، وَكِــلاَهُمَـا بَعْــدَ المَضَــاءِ يَعُــودُ

فقال عبد الملك: «والله، ما بـي من بأس. اقعد وحدثني ما بينك وبين الليل. فقعدت فحدثته حتى أمسيت. ثم فارقته. فمات في ليلته.

ولما حضرتْ (لبيداً) الوفاة قال مخاطباً لابنتَيه:

---

(١) مجهشة: ناهضة هامّة بالبكاء. تقول: جهشت إلى نفسي وأجهشت إذا همّت بالبكاء. ويقال: جهش إليه وأجهش إليه، أي فزع إليه هامّاً بالبكاء ومتهيّئاً له: كالصبي يفزع إلى أمه. وأجهش بالبكاء: هم به وتهيأ له. والجهش أن يفزع الإنسان إلى غيره وهو مع ذلك كأنه يريد البكاء.

(٢) الحجة: السنة. وجمعها: حجَج (المنكب) ناحية كل شيء وجانبه. وللإنسان منكبان.

تَمَنَّى ابْنَتَـايَ أَنْ يَعِيشَ أَبُـوهُمَـا ... وَهَـلْ أَنَـا إلَّا مِنْ رَبِيعَـةَ أَوْ مُضَـرْ؟
إذَا حَـانَ يَـوْمـاً أَنْ يَمُـوتَ أَبُـوكُمَـا ... فَلَا تَخْمِشَا وَجْهَاً، ولا تَحْلِقَا شَعَـرْ
وَقُولا: هُوَ المَـرْءُ الَّذِي لَيْسَ جَـارُهُ ... مُضاعاً، ولا خانَ الصَّدِيقَ، ولَا غَدَرْ
إلى الحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا ... ومَنْ يَبْكِ حَوْلاً كَامِلاً فَقَـدِ اعْتَذَرْ[٢]

فكانتا تذهبان إلى قبره كل يوم، وتترحّمان عليه، وتبكيان من غير ندبٍ ولا صياح ولا لَطم، ثم تأتيان نادي (بني كلاب) فتذكران مآثره: ثم تنصرفان. فأقامتا على ذلك إلى أن تمّ الحول.

وقال لابن أخيه لما حضرته الوفاة (ولم يكن له ولد ذكر): يا بُنَيّ، إن أباك لم يَمُتْ ولكِنَّهُ فَنِيَ. فإذا قُبِضَ أَبُوكَ فَأَقْبِلْهُ القِبْلَةَ، وَسَجِّهِ[١] بثوبه، ولا تصرُخنَّ عليه صارخةٌ. وأنظر جَفْنَتَيَّ اللتين كنت اصنعهما فاصنعهما، ثم احملهما إلى المسجد. فإذا سلّم الإمام فقدِّمهما إليهم. فإذا طَعِموا فقل لهم: فَلْيَحْضُروا جِنازة أخيهم».

ففعل ابن أخيه ما أمره (لبيد) به.

وكانت وفاته سنة (٦٠) للهجرة. وقال (ابن عفير): «مات (لبيد) سنة إحدى وأربعين من الهجرة يوم دخل معاوية (الكوفة) ونزل «النُّخَيْلَةَ». وقد قضى من عمره تسعين سنة في الجاهلية وسائرها في الاسلام. رحمه الله».

---

(١) إلى الحول، أي إذهبا كل يوم إلى قبري وافعلا ما أمرتكما به إلى مُضي الحول فإذا انهى فحسبكما (اسم السلام) لفظ اسم زائد. والمعنى: ثم السلام عليكما.
(٢) سجّه: غطِّه.

الكلام على شعره:

كان ـ رحمه الله ـ من فحول الشعراء المخضرمين. وقد شهد له النابغة بأنه أشعر العرب، لأنه كان يغوص على المعنى الغريب والحكمة البليغة.

وذلك أن «النابغة الذبياني» نظر إليه ـ وهو صبي ـ مع أعمامه على باب «النعمان بن المنذر»، فسأل عنه، فنسبَ إليه. فقال له: «يا غلام، إن عَينيكَ لعينا شاعر. أَفتقرض من الشعر شيئاً؟» قال: «نعم». قال: «فأنشدني». فأنشده قوله:

أَلَمْ تُلْمِمْ عَلَى الدِّمَنِ الخَوَالِي   لِسَلْمَى، بِالمَذَائِبِ فَالقَفَالِ؟[1]

فقال له النابغة: «أنت أشعر بني عامر. زدني». فأنشده:

طَلَلٌ لِخَوْلَةَ بِالرُّسَيْسِ قَدِيمُ،   بِمَعَاقِلٍ فَالأَنْعَمَيْنِ، وَشُومُ[2]

فقال: «أنت أشعر هوازن. زدني». فأنشده معلقته:

عَفَتِ الدِّيَارُ، مَحَلُّها فَمُقَامُهَا   بِمِنًى. تَأَبَّدَ غَوْلُهَا فَرِجَامُهَا[3]

فقال له النابغة: «اذهب، فأنت أشعر العرب».

---

(١) ألمَّ بالقوم وألمَّ عليهم: أتاهم فنزل بهم وزارهم زيارة غير طويلة (الدمن) جمع دمنة وهي آثار الديار (الخوالي) الخاليات من أهلها (المذائب والقفال) موضعان.

(٢) الطلل: هو ما شخص من آثار الدار «خولة» اسم إمرأة «الرسيس ومعاقل والانعمان» مواضع «الوشوم» جمع وشم وهو ما ينقش على اليد للزينة. شبه ما ظهر من آثار ديار خولة بالوشوم التي تكون على اليد.

(٣) سيأتي تفسيره في معلقته.

ورُويَ أن الفرزدق مرَّ بمسجد «بني أقيصر» بالكوفة وعليه رجل ينشد:

وَجَلاالسُّيُولُ عَنِ الطُّلُولِ، كَأَنَّهَا زُبُرٌ تُجِدُّ مُتُونَهَا أَقْلَامُهَا[1]

فسجد. فقيل له: «ما هذا يا أبا فراس؟». فقال: «أنتم تعرفون سجدة القرآن، وأنا أعرف سجدة الشعر».

وبالجملة فمحلُّ لبيد في الشعر مشهور. وقال من قدَّمه على غيره: «إنه أقل الشعراء لغواً في شعره، وحِكَمُهُ في الشعر كثيرة».

ومن شعره قوله من قصيدة:

إنَّ تَقْوَى رَبِّنا خَيْرُ نَفَلْ وبِإِذْنِ الله رَيْثِي وَعَجَلْ[2]
أَحْمَدُ الله، ولا نِدَّ لَهُ، بِيَدَيْهِ الخَيْرُ، مَا شَاءَ فَعَلْ[3]
مَنْ هَدَاهُ سُبُلَ الخَيْرِ اهْتَدَى نَاعِمَ البَالِ، وَمَنْ شَاءَ أَضَلّ

وفي هذه القصيدة يقول ـ وهو من خير ما قال:

واكْذِبِ النَّفْسَ إذَا حَدَّثْتَهَا: إنَّ صَدْقَ النَّفْسِ يُزْرِي بِالأَمَلْ

وقال مادحاً:

وَبَنُو الرَّيَّانِ لا يَأْتُونَ (لا) وعَلَى أَلْسُنِهِمْ خَفَّتْ (نَعَمْ)
زَيَّنَتْ أَحْلَامُهُمْ أَحْسَابَهُمْ وكَذَاكَ الحِلْمُ زَيْنٌ لِلكَرَمْ[4]

---

(١) سيأتي تفسيره أيضاً.
(٢) النفل: الغنيمة، والهِبَة، والزيادة، وجمعه انفال «الريث» البطء.
(٣) الند، بكسر النون: المِثل والشبه والنظير. وجمعه أنداد.
(٤) الأحلام: العقول. ومفردها حِلم، بكسر الحاء. أما الحُلم بضمها فهو ما يراه النائم في نومه.

وكان «المعتصم» يُعجب بشعر «لبيد». فقال: من منكم يروي قوله: بَلينا وما تَبلى النجومُ الطوالعُ. فقال بعض الجلساء: «أنا» فقال: «أنشدنيها». فأَنشد:

بَلينا وما تَبْلى النُّجُومُ الطَّوالِعُ ... وتَبْقَى الجِبَالُ بَعْدَنا وَالمَصَانِعُ[1]
وقَدْ كُنْتُ فِي أَكْنَافِ دارِ مَضَنَّةٍ، ... فَفَارَقَنِي جارٌ بِأَرْبَةَ نَافِعُ[2]

فبكى (المعتصم) حتى جرت دموعه. وترحم على المأْمون. وقال: «هكذا كان، رحمة الله عليه». ثم اندفع وهو ينشد باقيها، ويقول:

فَلَا جَزَعٌ إنْ فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا، ... فَكُلُّ امْرِىءٍ يَوْماً لَهُ الدَّهْرُ فَاجِعُ[3]
وَمَا المَرْءُ إلَّا كَالشِّهَابِ وَضَوْئِهِ: ... يَحُورُ رَمَاداً بَعْدَ مَا هُوَ سَاطِعُ[4]
ومَا المَرْءُ إلَّا مُضْمَرَاتٍ مِنَ التُّقى ... ومَا المَالُ والأَهْلُونَ إلَّا وَدَائِعُ
ومَا النَّاسُ إلَّا عامِلَانِ: فَعَامِلٌ ... يُتَبِّرُ مَا يَبْنِي، وَآخَرُ رَافِعُ[5]
فَمِنْهُمْ سَعِيدٌ آخِذٌ بِنَصِيبِهِ، ... ومِنْهُمْ شَقِيٌّ بِالمَعِيشَةِ قَانِعُ

---

(١) المصانع: القرى والمباني من القصور الحصون. ومفردها مَصْنَع.
(٢) الأكناف: جمع كَنَف، وهو الجانب، والظل، والناحية (دار مضنة) أي دارُ يُضَنُّ بها ويُبخل بفراقها حباً بمن يسكنها (أربة) الظاهر أنه أراد بها مكاناً معيّناً. ولم أرَها في معجم البلدان. وقد ذكر فيه «أَرَبَة» بالتحريك وذكر أنها مدينة بالمغرب. وأين المشرق من المغرب.
(٣) الجزع: نقيض الصبر (فاجع) موجع: يقال: فجعه الأمر، إذا أوجعه بفقد شيء كريم عليه.
(٤) الشهاب: شعلة من النار ساطعة. والشهاب في غير هذا المقام: ما ينفصل من النجم فيرى كأنه كوكب قد انقضّ (يحور) يرجع (ساطع) مرتفع منتشر.
(٥) يتبرّ: يخرِّب ويدمّر.

أَلَـيْسَ وَرَائِي إِنْ تَـــرَاخَـــتْ مَنِـيَّتِـي لُزُومُ العَصَا تَحْنُو عَلَيْهَا الأَصَـابِعُ[1]
أُخَبِّـرُ أَخْبَـارَ القُـرُونِ الَّتِي مَضَتْ، أَدُبُّ كَـأَنِّي ـ كُلَّمَـا قُمْتُ ـ رَاكِـعُ
فَأَصْبَحْتُ مِثْلَ السَّيْفِ أَخْلَقَ جَفْنَـهُ تَقَادُمُ عَهْدِ القَيْنِ، وَالنَّصْلُ قَاطِعُ[2]
فَـلاَ تَبْعَـدَنْ، إِنَّ المَنِيَّـةَ مَـوْعِـدٌ عَلَيْنَـا: فَـدَانٍ لِلطُّلُوعِ وَطَـالِـعُ[3]
أَعَـاذِلُ مَـا يُـدْرِيـكَ ـ إِلاَّ تَـظَنِّيـاً ـ إِذَا رَحَـلَ السُّفَّارُ مَنْ هُـوَ رَاجِـعُ؟[4]
أَتَجْزَعُ مِمَّا أَحْـدَثَ الدَّهْـرُ بِالفَتى؟ وَأَيُّ كَـرِيمٍ لَمْ تُصِبْـهُ القَـوَارِعُ؟[5]
لَعَمْرُكَ، مَا تَدْرِي الضَّوارِبُ بِالحَصَى وَلاَ زَاجِـرَاتُ الطَّيْـرِ مَا اللهُ صَـانِـعُ[6]

وقصيدته هذه قالها يرثي أخاه (أَربَد). وكان أخاه لأمه.

وذلك أنه وَفَدَ على النبيّ ﷺ هو و(عامر بن الطُّفيل) في وَفدِ (بني عامر بن صَعصعة) فأضمر هو و(عامر) الشر للنبيّ عليه الصلاة والسلام. فردّ الله كيدهما في نحرهما.

ثم رجعا إلى بلادهما. حتى إذا كانا ببعض الطريق بعث الله على (عامر بن الطفيل) الطاعون في عنقه. فقتله الله. فلما قدم (أربد) إلى قومه. قالوا: «ما وراءك يا أربد؟». فقال: «لقد دعانا (يعني

(١) تراخت: تباعدت أو أبطأت (تحنو) تنعطف.
(٢) أخلق: أبلى (جفنه) قرابه. (القين) الحداد (النصل) حديدة السيف والرمح والسهم والسكين.
(٣) لا تبعدن: لا تموتن أو لا تهلكن (دانٍ) قريب.
(٤) التظني: أعمال الظن والتكلم به (السفّار) المسافرون، ومفرده سافر. يقال: سفر فلان إذا خرج إلى السفر.
(٥) الجزع: فقد الصبر وإظهار الحزن (القوارع) المصائب التي تقرع الإنسان، ومفردها قارعة.
(٦) قد توارد لبيد وطرفة على ألفاظ هذا البيت ومعناه إلا في القافية. وقد تقدم تفسيره في الصفحة(١٢٦)في الكلام على شعر طرفة فراجعه.

النبيّ) إلى عبادة شيء لَوَدِدْتُ أنه عندي الآن فأَرميه بنبلي هذه حتى أقتله».

ثم خرج بعد مقالته هذه بيوم أويومين معه جمل له يبيعه. فأرسل الله عليه وعلى جمله صاعقة فاحرقتهما. ويُقال: هو الذي نزلت فيه الآية: (ويُرسلُ الصَّواعِقَ فَيُصيبُ بها مَنْ يشاء).

وفيه أيضاً يقول أخوه (لبيد) راثياً:

أَخْشى عَلَى (أَرْبَدَ) الحُتُوفَ، وَلاَ ... أَرْهَبُ نَوْءَ السِّمَاكِ وَالأَسَدِ[١]
فَجَعَنِي الرَّعْدُ وَالصَّوَاعِقُ - بِالفارِسِ - يَوْمَ الكَرِيهَةِ - النَّجِدِ[٢]
يَا عَيْنُ، هَلاَّ بَكَيْتِ (أَرْبَدَ) إذْ ... قُمْنَا وَقَامَ الخُصُومُ فِي كَبَدِ[٣]
إنْ يَشْغَبُوا لاَ يُبَالِ شَغْبَهُمُ، ... أَوْ يَقْصِدُوا فِي الخِصَامِ يَقْتَصِدِ[٤]

ومن جيد شعره البالغ النهاية في الحسن والرونق والحكمة وبليغ المعنى قوله:

أَلاَ تَسْأَلاَنِ المَرْءَ مَاذَا يُحَاوِلُ ... أَنَحْبٌ فَيُقْضى؟ أَمْ ضَلاَلٌ وَبَاطِلُ؟[٥]

---

(١) الحتوف: جمع حَتْفٍ وهو الموت (ارهب) أخاف (النوء) النجم وجمعه أنواء (السماك والأسد) اسمان لنجمين. وإضافة النوء إلى السماك والأسد من إضافة العام إلى الخاص: وقد كانوا يعتقدون بتأثير العوامل العلوية على الناس من موت وحدوث نوائب وغير ذلك.

(٢) فجعني: أوجعني. وهو من باب قطع. والفَجْع أن يوجَع الإنسان بشيء يكرم عليه فيعدمه (النجد) الشجاع الماضي فيما يعجز عنه غيره. وجمعه نُجُد.

(٣) الكبد: المشقة.

(٤) يشغبوا: يهيجوا. يقال: شغب القوم وشغب بهم وشغب عليهم - من باب قطع وعلم - أي هيّج الشر عليهم، فهو شَغِبٌ ومِشغَب وشغّاب (يقصدوا) يعتدلوا. يقال: قصد في الأمر واقتصد فيه، إذا لم يجاوز الحد الوسط بل لازم العدل ولم يفرط.

(٥) ماذا: ما اسم استفهام مرفوع المحل لأنه مبتدأ. وذا اسم موصول مرفوع المحل لأنه خبر =

حَبَائِلُهُ مَبْثُوثَةٌ فِي سَبِيلِهِ ... ويَفْنَى إِذَا مَا أَخْطَأَتْهُ الحَبَائِلُ[1]

إِذَا المَرْءُ أَسْرى لَيْلَةً خَالَ أَنَّهُ ... قَضَى عَمَلاً، وَالمَرْءُ ـ ما عاشَ ـ عامِلُ[2]

فَقُولاَ لَهُ إِنْ كَانَ يَقْسِمُ أَمْرَهُ: ... أَلَمَّا يَعِظْكَ الدَّهْرُ؟ ـ أُمُّكَ هابِلُ[3] ـ

فَتَعْلَمَ أَنْ لا أَنْتَ مُدْرِكَ مَا مَضَى، ... وَلاَ أَنْتَ مِمَّا تَحْذَرُ النَّفْسُ وائِلُ[4]

فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَصْدِقْكَ نَفْسُكَ فَانْتَسِبْ ... لَعَلَّكَ تَهْدِيكَ القُرُونُ الأَوائِلُ[5]

= وجملة يحاول صلة الموصول ومفعول يحاول ضمير محذوف هو العائد. والتقدير ماذا يحاوله أي ماذا يطلبه. ولا يجوز أن تكون ماذا كلها هنا اسم استفهام لأنها لو كانت كذلك لكانت مفعولاً ليحاول. ولو كانت كذلك لوجب أن يقول: «أنحبا» بالنصب لأنه يكون حينئذ بدلاً من محل «ماذا» ولكنه رفعه فدلَّ على أنه بدل من شيء مرفوع ولا مرفوع هنا إلا إذا جعلت ما استفهامية مبتدأ وذا موصولية خبره ونحب بدلاً من محل ما لأن محلها الرفع. والهمزة في «أنحب» للاستفهام. و(النحب) الوقت والمدة. يقال: قضى فلان نحبه أي مات. قال تعالى: ﴿فمنهم من قضى نحبه﴾ أي أجله الذي قُدِّر له.

(١) حبائله: أي حبائل الموت، وهي أسبابه. والحبائل: جمع حِبالة وهيالمصيدة (مبثوثة) منتشرة (يفنى) يهرم. والمعنى أن أسباب الموت منتشرة في طريق الإنسان فإن علق بمصيدة من مصايده هلك وإلا فإنه يعمر طويلاً حتى يهرم فيكون فانياً في صورة حي.

(٢) سرى وأسرى ذهب ليلاً (خال) ظنّ.

(٣) يقسم أمره: يقدِّره وينظر فيه كيف يفعل. أو المعنى: لم يدر ما يصنع فيه (الَمّا) الهمزة للاستفهام التوبيخي ولما هي النافية الجازمة (أمك هابل) مبتدأ وخبر. يقال: هبلته أمه، أي ثكلته وعدمته. هذا هو الأصل. وكثيراً ما يستعمل في معنى المدح والإعجاب. فيقولون مثلاً: هو كريم هبلته أمه أو أنه هابل. كما استعملوا كثيراً من ألفاظ الدعاء على الإنسان في الدعاء له. فقالوا: تربت يده ولا أم له ونحو ذلك. وهم لا يعنون إلا الدعاء له أو مدحه أو الإعجاب بما عمل.

(٤) وائل: عاصم ومانع.

(٥) يعني إذا أنت لم تتعظ بذلك فتعلم أنك لست بخالد فانظر إلى ما مضى من القرون وما تعاورها من الناس فتعلم صحة ذلك.

فَإِنْ لَمْ تَجِد مِنْ دُونِ (عَدْنَانَ) بَـاقِياً ... ودُونَ (مَعَـدٍّ) فَلْتَزَعْـكَ العَـوَاذِلُ[1]
أَرَى النَّاسَ لا يَدْرُونَ مَا قَدْرُ أَمْرِهِمْ ... بَلَى، كُلُّ ذِي رَأْيٍ إِلَى اللهِ واسِلُ[2]
أَلَا كُـلُّ شَيْءٍ مَـا خَـلَا اللهَ بَـاطِـلُ ... وكُـلُّ نَعِيمٍ لا مَحَـالَـةَ زَائِـلُ[3]
وكُـلُّ أُنَـاسٍ سَـوْفَ تَـدْخُـلُ بَيْنَهُمْ ... دُوَيْهِيَـةٌ، تَصْفَـرُّ مِنْهَـا الأَنَـامِـلُ[4]
وكُـلُّ امْرِىءٍ يَـوْمـاً سَيَعْلَمُ سَعْيَـهُ، ... إِذَا كُشِفَتْ عِنْـدَ الإِلهِ الحَصَـائِلُ[5]

وقد رُوِيَ أن النبيّ ﷺ قال: «أصدقُ كلمةٍ قالها شاعر قولُ لبيد: «أَلَا كُلُّ شيء ما خلا الله باطل».

وللبِيدِ أخبار كثيرة وشعر أكثر من أن يُحصى. فقد رُوِيَ عن (عائِشة) أم المؤمنين أنها قالت: رَوَيْتُ لِلبيدٍ اثني عشر ألف بيت».

معلقته وسبب نظمها:

الحق أن معلقـة (لبيد) لم تحـوِ ما حـواه غيرهـا من الحكمة والمعاني الاجتماعية. إلا أنها حـوت سبكاً متينـاً، وتشابيـه لطيفـة،

---

(١) وَزَعَهُ يَزَعُهُ وَزْعاً ـ من باب قطع ـ: منعه وكفّه (العواذل) المراد بها حوادث الدهر ونوازله وزواجره (دون) الثانية منصوبة لأنها معطوفة على محل دون الأولى لأن محلها النصب على المفعولية غير الصريحة.

(٢) واسل: ذو وسيلة. كما قالوا: تامر ولابن أي ذو تمر ولبن. والمعنى أن كل عاقل يتخذ إلى الله وسيلة تكون سبب نجاته وهذه الوسيلة هي ما يقـدمه بين يـديه من الأعمـال الصالحات.

(٣) الباطل: هو في الأصل ضد الحق، وأراد به هنا الهالك (لا محالة) لا بدَّ.

(٤) دويهيّة: تصغير داهية والتصغير هنا للتعظيم، أي داهية عظيمة (الأنامل) رؤوس الأصابع. ومفردها أنملة.

(٥) الحصائل جمع حصيلة وهي ما يحصله الإنسان من شيء. والمراد بالحصائـل نتائج الأعمال.

ووصفاً رائعاً، وحماسة جميلة. سوى أبيات يسيرة من الحكمة الجليلة. وقد افتخر فيها بمآثر قومه. ولم نظفر بالسبب الذي دعاه إلى نظمها.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

نخبة من معلقته

عَفَتِ الدِّيَارُ، مَحَلُّهَا فَمُقَامُهَا ... بِمِنًى تَأَبَّدَ غَوْلُهَا فَرِجَامُهَا[1]
فَمَدَافِعُ الرَّيَّانِ عُرِّيَ رَسْمُهَا ... خَلَقاً، كَمَا ضَمِنَ الوُحِيَّ سِلاَمُهَا[2]
دِمَنٌ تَجَرَّمَ بَعْدَ عَهْدِ أنيسِهَا ... حِجَجٌ خَلَوْنَ، حَلاَلُهَا وَحَرَامُهَا[3]

(١) عفت: اندرست وانمحت، وهو يكون لازماً كما هنا، ويكون متعدياً مثل: عفا المطر الديار يعفوها (المحل) اسم مكان من الحلول، وإعرابه أنه بدل من الديار بدل البعض من الكل (المقام) اسم مكان من الإقامة (منى) اسم لموضع غير الذي قرب مكة والجار والمجرور حال من الديار (تأبد) توحش (الغول والرجام) اسمان لموضعين. وإنما فصل جملة تأبد غولها فرجامها عن جملة عفت الديار لأن بين الجملتين شبه كمال الاتصال، وذلك أن الجملة الثانية جواب لسؤال نشأ من الجملة الأولى. فكأن سائلاً سأله ماذا صار بالغول والرجام بعد اندراس الديار ومفارقة الأحبة لها فقال: إنهما قد تأبدا أي توحشا بعدهم.

(٢) المدافع جمع مدفع وهو مجرى الماء (الريان) اسم لجبل (عُرِّيَ) تجرَّد (الرسم) ما كان لاحقاً بالأرض من آثار الديار (الخلق) البالي ونصبه على الحال من الرسم (الوحيّ) جمع وَحْي وَوَحًى ووَحاة وهي الكتابة (السلام) الحجارة ومفردها سَلِمة. والمعنى أن منازل الأحبة خلت برحيلهم ولم يبق من آثارهم إلا ما كان بالياً لاصقاً التي حفظته كما تحفظ الحجارة ما يُكتب عليها.

(٣) الدمن: جمع دمنة وهو ما يتركه القوم بعد رحيلهم من آثارهم كالرماد ونحوه (تجرَّم الشيء) انقضى بحيث لم يبق منه شيء (الحجج) السنون وهي جمع حجة بمعنى السنة (خلون) مضين وذهبن (حلالها وحرامها) المقصد أنها مضت كلها فلم يبق منها باقية. وأيام السنة منها أشهر حُرم وهي التي كان يحرم بها القتال، وهي أربعة المحرَّم ورجب وذو القعدة وذو الحجة. وسائرها حلال.

وَجَلاَ السُّيُولُ عَنِ الطُّلُولِ، كَأَنَّهَا زُبُرٌ تُجِدُّ مُتُونَهَا أَقْلاَمُهَا(١)
فَوَقَفْتُ أَسْأَلُهَا، وَكَيْفَ سُؤَالُنَا صُمّاً خَوَالِدُ، يَبِينُ كَلاَمُهَا؟(٢)
عَرِيَتْ، وَكَانَ بِهَا الجَمِيعُ، فَأَبْكَرُوا مِنْهَا، وَغُودِرَ نُؤْيُهَا وَثُمَامُهَا(٣)
شَاقَتْكَ ظُعْنُ الحَيِّ حِينَ تَحَمَّلُوا، فَتَكَنَّسُوا قُطُناً، تَصِرُّ خِيَامُهَا(٤)
بَلْ مَا تَذَكَّرُ مِنْ نَوَارِ، وَقَدْ نَأَتْ، وَتَقَطَّعَتْ أَسْبَابُهَا وِرِمَامُهَا؟(٥)

(١) جلا: كشف (السيول) جمع سيل (الطلول) جمع طَلَل وهو الشاخص من آثار الديار. (الزُّبُر) جمع زَبور وهو الكتاب (تجد متونها) تجدّدها أي تعيدها جديدة (المتون) جمع متن ومعناه في الأصل الظهر والمراد بها هنا الكتابة التي تكون في الزُّبر ومفعول جلا محذوف، والتقدير جلت السيول التراب عن الطلول. والمعنى: كشفت السيول عن آثار الديار التراب المتراكم الذي كان قد غطاها فكأن الآثار كُتُبٌ قد انطمست كتابتها، وكأن السيول التي أزالت عن هذه الآثار ما كان قد أخفاها أقلامٌ أعادت تلك الكتابة في الكتب إلى ما كانت عليها ـ أنظر ما صنع جرير لما سمع هذ البيت في الصفحة «١٧٦».
(٢) الصم: جمع أصم للمذكر وصماء للمؤنث. يقال: حجر أصم إذا كان صلباً (الخوالد) البواقي (ما يبين) ما يظهر.
(٣) عريت: تجردت من سكانها وخلت من أهلها. فكأن أهلها كانوا لبوساً لها فكان رحيلهم عنها تجريداً لها من لبوسها (ابكروا) رحلوا بكرة (غُودر) ترك (النؤي) حفيرة تُحفر حول الخيمة ليجري إليها ماء المطر فلا يدخل الخيمة (الثمام) نبت ضعيف لا يطول تُحشى بخوصه خصاص البيوت. والمفرد ثمامه.
(٤) شاقتك: هاجت بك الشوق (الظعن) جمع ظعينة وهي المرأة ما دامت في الهودج، فإن لم تكن فيه فليست بظعينة (تحملوا) حملوا أمتعتهم وتهيأوا للمسير (تكنسوا) دخلوا الكناس. والمراد بالكناس هنا الهودج وأصل معناه بيت الظبي فشبه الهودج به تشبيهاً لمن دخله بالظباء (القطن) بضم الطاء وسكونها: معروف. والمراد أنهم دخلوا هوادج من القطن (تصر) تصوت. من الصرير وهو صوت الباب والرحْل ونحوهما.
(٥) بل: هي هنا للإضراب الانتقالي لأنه يُنتقل بها من موضع إلى آخر دون إبطال ما قبله (تذكر) أصلها تتذكر بتائين حذفت إحداهما تخفيفاً (نوار) اسم إمرأة. وهي مبنية على الكسر كما هي القاعدة فيما كان على وزن فَعالِ من أعلام النساء كحذامِ. والنوار في الأصل هي المرأة النفور من الريبة وجمعها نُورٌ (نأت) بعدت (الأسباب) الحبال ومفرده سبب (الرمام) جمع رمة وهي القطعة البالية من الحبل. والمراد بالأسباب والرمام الصلات القوية والضعيفة.

مُــرِّيَّــةٌ، حَلَّتْ بِفَيْــدَ، وَجَــاوَرَتْ أَهْلَ الحِجَازِ، فَأَيْنَ مِنْكَ مَرَامُهَا؟[1]
فَــاقْــطَعْ لُبَــانَــةَ مَنْ تَعَــرَّضَ وَصْلُهُ، وَلَشَــرُّ وَاصِــلُ خُلَّةٍ صَــرَّامُهَــا[2]
أَفَــتِلْكَ؟ أَمْ وَحْــشِيَّــةٌ مَــسْبُــوعَــةٌ خَذَلَتْ، وَهَادِيَةُ الصُّوَارِ قِــوامُهَا؟[3]
خَنْسَــاءُ، ضَيَّعَتِ الفَرِيــرَ، فَلَمْ يَرِمْ عُــرْضَ الشَّقَائِقِ طَــوْفُهَا وَبُغَــامُهَا[4]

---

(١) مرية: منسوبة إلى بن مُرَّة (فيد) اسم موضع (مرامها) مطلبها.

(٢) اللبانة: الحاجة (تعرَّض الشيء) تعوَّج، أو دخله فساد. والمراد بالتعرُّض هنا التعذّر. وتعرَّض الشيء في غير هذا المقام: أبدى عرضه (الخلة) بضم الخاء: المحبة والصداقة التي لا خَلل فيها. وأما بفتح الخاء فمعناها الخصلة وجمعهما خلال (الصرَّام) مبالغة اسم فاعل من الصرم بمعنى القطع. بعد أن قال اقطع حاجتك وميلك عمن تعذّر عليك وصاله رجع إلى نفسه، وقال: إن شر من يصل الصداقة وهو من يقطعها. ويروى ولخير وأصل خلة صرامها. والمعنى حينئذ: إن خير واصل هو من يحسن القطيعة فلا يتعجل بها. ولعل هذه الرواية أجمل وأوقع في النفس، فإن من لا يعرف كيف يقطع الوداد لا يعرف كيف يصله.

(٣) أفتلك: الهمزة للاستفهام والإشارة إلى حمارة الوحش في أبيات قبل هذا أهملناها كما أهملنا غيرها من أبيات هذه القصيدة. وقد شبه بها ناقته. فهو يقول أناقتي تشبه تلك الأتان الوحشية أم تشبه بقرة وحشية من صفتها كذا وكذا كما ستأتي أوصافها (وحشية) أي بقرة وحشية (مسبوعة) أي أكل السبع ولدها (خذلت) تخلفت عن القطيع يقال: خذلت الظبية وغيرها إذا تأخرت عن صواحبها وخلفت عن قطيعها، فكأنها أصيبت بالخذلان بسبب ذلك (الهادية) من يتقدم على القطيع ليهديه. ومنه هادية الجيش (الصوار) القطيع من البقر (قوام كل شيء) ما يقوم به ويعتمد عليه. والمعنى أنها تبحث عن ولدها غير أنها دائماً تلتفت إلى القطيع فيكون معتمدها هاديته فإن رأته طابت نفسها وأنست به حذراً من أن تضل عن صواحبها.

(٤) الخنساء: البقرة الوحشية. والخنس في الأصل هو تأخر الأنف مع قصره والمذكر أخنس والمؤنث خنساء. والجمع خُنُس. والبقر كلها خُنُس (الفرير) هـو ولد البقـرة والنعجة والماعزة. وجمعه فُرار (لم يرم) لم يبرح. رام المكان يريمـه، أي لازمه فلم يبـرحه (عرض الشقائق) ناحيتها. والشقائق: جمع شقيقة وهي أرض غليظة بين رملتين (طوفها) طوافها. وهو فاعل يرم (بغامها) صوتها ومثله البغوم. والفعل من الثاني بَـغَمَ يبغم من باب نصر وضرب. ومن الأول بَغِم يبغَم من باب علم.

لِمُعَفَّرٍ قَهْدٍ، تَنَازَعَ شِلْوَهُ غُبْسٌ، كَوَاسِبُ، لاَ يُمَنُّ طَعَامُهَا(١)
صَادَفْنَ مِنْهَا غِرَّةً فَأَصَبْنَهَا إِنَّ المَنَايَا لاَ تَطِيشُ سِهَامُهَا(٢)
بَاتَتْ، وأَسْبَلَ واكِفٌ مِنْ دِيمَةٍ؛ يُرْوِي الخَمَائِلَ دَائِماً تَسْجَامُهَا(٣)
يَعْلُو طَرِيقَةَ مَتْنِهَا مُتَوَاتِرٌ، فِي لَيْلَةٍ كَفَرَ النُّجُومَ ظَلاَمُهَا(٤)
فَبِتِلْكَ (إِذْ رَقَصَ اللَّوَامِعُ بِالضُّحَى واجْتَابَ أَرْدِيَةَ السَّرَابِ إِكَامُهَا)(٥)
أَقْضِي اللُّبَانَةَ، لاَ أُفَرِّطُ رِيبَةً، أَوْ أَنْ يَلُومَ بِحَاجَةٍ لَوَّامُهَا(٦)

---

(١) لمعفر: أي هي تبغم وتبكي لأجل ولد معفر أي عُفّر بالتراب. والمعفر أيضاً هو الذي أرضع مرة وترك أخرى ليعوّد الطعام (القهد) ولد البقرة، وقيل: هو الصغير اللطيف من البقر وهو بدل من معفّر (شلوه) بقيته (غبس) أي ذئاب غبس وهي التي فيها الغبسة أي صفرة ضاربة إلى السواد (كواسب) أي تكسب ما تأكله (لا يُمَنُّ طعامها) أي هي تأكل من كسبها فلا يمن عليها أحد بإطعامها.

(٢) منها: أي من هذه البقرة (غرة) غفلة (أصبنها) الضمير للغرة (لا تطيش) لا تخطىء.

(٣) باتت: الضمير للبقرة الوحشية (أسبل) سال (الواكف) المطر (الديمة) مطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق. والمراد بالديمة السحابة لأن المطر منها ينزل. فقد اطلق المسبب وهو الديمة وأراد السبب وهو السحابة (الخمائل) جمع خميلة وهو الشجر الملتف، والموضع الكثير الشجر (تسجامها) صبّها. يقال سجّم الدمعَ تسجيماً وتسجاماً أي صبه. وسجم الدمعُ سُجوماً وسِجاماً ـ من باب نصر ـ سال.

(٤) المتن: الظهر، وطريقته ما بين الحارك إلى الكفل (متواتر) أي مطر متواتر أي متتابع، أي متقطع، فالمتواتر يجيء بالمعنيين (كفر النجوم) سترها وغطاها. ومنه كفر الحبَّ إذا ستره بالتراب. ولهذا قيل: للزارع كافر. ومنه الكافر شرعاً لأنه يستر الحق باعتقاده الباطل.

(٥) فبتلك: الإشارة إلى ناقته «رقص» اضطرب «اللوامع» جمع لامعة. يقال لمع البرق ونحوه إذا أضاء. وأراد باللوامع الآل وهو الذي يراه الإنسان في الضحى وآخر النهار كأنه يرتفع وينحط «اجتاب» لبس «الأردية» جمع رداء «السراب» ما يراه الإنسان عند اشتداد الحر كأنه ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً، وهو يكون لاصقاً بالأرض «الأكام» الأماكن المرتفعة من الأرض. ومفردها الأصلي أكمة. وجمع الأكمة أكم، وأكمات وجمع الأكم: إكام، وجمع الإكام أُكم، وجم الأكم آكام.

(٦) لا أفرط: لا أضيع. يقال فرَّط الشيء وفرَّط فيه إذا ضيعه وقدَّم العجز فيه. ومفعول أفرط محذوف والتقدير لا أفرطها أو لا أفرط فيها أي اللبانة «الريبة» الشك والتهمة وأصل

أَوَ لَمْ تَكُـنْ تَـدْرِي نَـوَارِ بِـأَنَّنِـي وَصَّـالُ عَقْدِ حَبَـائِلٍ ، جَـذَّامُهَا؟[1]
تَـرَّاكُ أَمْكِنَـةٍ إِذَا لَـمْ أَرْضَـهَـا ، أَوْ يَعْتَقِي بَعْضَ النُّفُوسِ حِمَامُهَا[2]
بَـلْ أَنتِ لاَ تَـدْرِينَ كَـمْ مِنْ لَـيْلَةٍ طَلْقٍ ، لَـذِيـذٍ لَهْـوُهـا وَنِـدَامُهَـا[3]
قَـدْ بِتُّ سَـامِـرَهَـا ؛ وَغَـايَـةَ تَـاجِـرٍ وافَيْتُ ، إِذْ رُفِعَتْ وَعَـزَّ مُـدَامُهَـا[4]
وَلَقَدْ حَمَيْتُ الحَيَّ ، تَحْمِلُ شِكَّتِي فُرُطٌ ، وِشَاحِي إِذْ غَدَوْتُ لِجَامُهَـا[5]
فَعَلَوْتُ مُـرْتَقِيـاً عَلَى ذِي هَبْـوَةٍ ، حَـرِجٍ إِلَى أَعْـلاَمِهِنَّ قَتَـامُهَـا[6]

= معناها قلق النفس واضطرابها «اللوام» الكثير اللوم. والمعنى: اقضي حاجتي لا أفرط فيها حذراً من أن يرتاب بي الناس ويتهموني. فإني لا أباليهم، إلا إذا لامني في طلب حاجتي لائم فلا أعبأ بملامته.

(١) نوار: مبنية على الكسر ومحلها الرفع لأنها فاعل تدري «بأنني» الباء حرف جر زائد للتوكيد وليست باء التعدية لأن دري يتعدى بنفسه «وصال» مبالغة اسم فاعل من أوصل «الحبائل» جمع حبالة وهي المصيدة، والمراد بها هنا المودة والمحبة مجازاً لأن الحب مصيدة يشاب بها العاشق «الجذام» مبالغة اسم فاعل من الجذم وهو القطع.

(٢) تراك: مبالغة من-الترك «أمكنة» جمع مكان «يعتقي» يحبس أو يأتي «بعض النفوس» أراد بالبعض نفسه «الحمام» الموت. ويروى بدل يعتقي يعتلق. يقال اعتلق به أي تعلّق.

(٣) الليلة الطلق: التي لا برد فيها ولا ريح ولا مطر، أو لا حر فيها ولا برد «الندام» المنادمة.

(٤) سامرها: الضمير يعود إلى الليلة. والسامر هو من يجلس للحديث ليلاً وجمعه سُمّار «الغاية» الراية، وأراد بها راية الخمار ينصبها على حانوته ليهتدى إليه. وغاية بالنصب على أنها مفعول لوافيت مقدّم عليه وبالجر عطفاً على ليلة، أو على أن الواو واو ربّ «عزّ» غلا وارتفع «المدام» الخمر.

(٥) الشكة: السلاح «الفرط» الفرس السريعة السابقة لأنها تنفرط الخيل أي تتقدمها «الوشاح» هو شيء يتخذ للزينة تشده المرأة بين عاتقها وكشحها. وقد جعل لجام فرسه وهو على عاتقه كالوشاح «غدوت» ذهبت وقت الغداة «مرتقياً» بفتح القاف وكسرها.

(٦) فالفتح على أنه اسم مكان من الارتقاء فهو مفعول به لعلوت. أي علوت مكاناً عالياً يرتقى إليه. والكسر على أنه اسم فاعل فهو حال من فاعل علوت. أي علوت حين كوني مرتقياً «على ذي هبوة» أي على مهر ذي هبوة و«الهبوة» الغبار. وإنماوصفه بأنه ذو هبوة لأن وقع حوافره يثير الغبار «حرج» مجتمع، وهو صفة لهبوة يقال حرج الغبار ـ من باب علم ـ فهو حَرِجٌ إذا انضم أو ثار في موضع ضيق فانضم إلى حائط أو سند «الأعلام» جمع عَلَم =

حَتَّى إِذَا أَلْقَتْ يَـداً فـي كـافِـرٍ، وأَجَنَّ عَـوْرَاتِ الثُّغُـورِ ظَـلامُهَـا(١)
أَسْهَلْتُ، وانْتَصَبَتْ كَجِذْعِ مُنِيفَةٍ، جَـرْدَاءَ، يَحْصَرُ دُونَهَـا جُـرَّامُهَـا(٢)
وكَثِيـرَةٍ غُـربَـاؤُهَـا، مَجْهُـولَـةٍ، تُـرْجَى نَوَافِلُهَـا، ويُخْشَى ذَامُهَـا(٣)
أَنْكَـرْتُ بَـاطِلَهَـا، وبُؤْتُ بِحَقِّهَـا عِنْـدِي، ولَمْ يَفْخَرْ عَلَيَّ كِـرَامُهَا(٤)

= وهو الجبل والبيرق والثاني هو المراد على ما نظن والضمير يرجع إلى جموع الأعداد المعروفة من المقام «القتام» الغبار والضمير يرجع إلى الهبوة والمعنى: علوت مرتقياً على هذا المهر ذي الهبوة التي كانت تثار وتجتمع منضماً بعضها إلى بعض فتصل إلى الأعداء لقربي منهم. يريد بذلك أنه كان يحمي الحي وهو قريب من الأعداء بحيث أن غبار فرسه كان يصل إليهم. يشير بذلك إلى ما كان يحيق به من الخطر وهو غير مبال به. وقد رفع القتام على أنه فاعل لشبه الفعل وهو «حرج».

(١) القت: الضمير المستتر يعود إلى الشمس المعلومة من المقام. وهذا الصنيع شائع في كلام العرب. قال تعالى: ﴿**كلا إذا بلغت التراقي**﴾ أي بلغت الروح ولم يذكرها ولم يسبق لها ذكر، إلى أن المقام يعينها «الكافر» الليل. سمي بذلك لأنه يكفر الأشياء بظلامه أي يسترها. «أجنَّ» ستر. يقال أجنّة الليل وجنَّ عليه الليل «العورات» جمع عورة وهي الخَلل في الثغر وغيره يخاف أن يأتي العدو منه. وعورات الثغور: مواضع المخافة فيها بحيث لا تكون محصنة أو لا يكون فيها من يدافع عنها ممن يحميها. والثغور: جمع ثغر وهو من البلاد الموضع الذي يخاف منه هجوم العدو فهو كالثلمة في الحائط يخاف هجوم السارق منها «ظلامها» الضمير يرجع إلى عورات الثغور. والإضافة لأدنى ملابسة.

(٢) أسهلت: نزلت إلى السهل، وهو جواب إذا «انتصبت» الضمير يرجع إلى الفرس «الجذع» ساق الشجرة التي تقوم عليها «منيفة» أي نخلة منيفة أي طويلة «جرداء» أي متجردة من النقصان لأنها لم تمس بقطع شيء منها «يحصر» يضيق صدره «الجرَّام» جمع جارم. وأراد بالجرام الذين يقطعون ما على النخل من الثمر، يقال: جرم الشيء إذا قطعه. وصف فرسه بالنخلة الطويلة التي لم يقطع منها شيء لأنها أعيت من يجرمها واتعبته دون أن ينال منها منالاً.

(٣) وكثيرة: أي ربَّ قبة كثيرة غرباؤها. وأراد بها قبة النعمان بن المنذر. والواو واو رب ولذا جرَّت ما بعدها «مجهولة» أي مجهولة عواقبها «نوافلها» عطاياها وهي جمع نافلة «يخشى» يخاف «الذام» العيب.

(٤) بؤت: رجعت وفي هذا البيت وما قبله إشارة إلى ما جرى له مع الربيع بن زياد العبسي بحضرة النعمان. وقد تقدمت القصة في الصفحة «١٦٤» إلى الصفحة «١٦٨».

إِنَّـا إِذَا التقَتِ المَجَامِـعُ لَمْ يَزَلْ مِنَّـا لِـزَازُ عَـظِيمَـةٍ، جَشَّـامُهَـا(١)
مِـنْ مَعْشَـرٍ سَنَّتْ لَهُـمْ آبَـاؤُهُمْ وَلِكُـلِّ قَـوْمٍ سُنَّـةٌ وإِمَـامُهَـا(٢)
لا يَـطْبَعُـونَ؛ وَلاَ يَبُـورُ فَعَـالُهُمْ: إِذْ لاَ يَمِيـلُ مَعَ الهَـوَى أَحْـلاَمُهَـا(٣)
فَـاقْنَـعْ بِمَـا قَسَمَ المَلِيـكُ، فَـإِنَّمَـا قَسَمَ الخَـلاَئِقَ بَيْنَنَـا عَـلاَّمُهَـا(٤)
وإِذَا الأَمَـانَـةُ قُسِّمت فِي مَعْشَـرٍ أَوْفَى بِـأَوْفَـرِ حَـظِّنَـا قَسَّـامُهَـا(٥)
فَبَنَى لَنَـا بَيْتـاً رَفِيعـاً سَمْكُـهُ، فَسَمَـا إِلَيْـهِ كَهْلُهَـا وغُـلاَمُهَـا(٦)
وهُمُ السُّعَـاةُ إِذَا العَشِيـرَةُ أُفْـظِعَتْ وهُمُ فَـوَارِسُهَـا وهُمْ حُكَّـامُهَـا(٧)
وهُـمُ رَبِيـعٌ لِـلْمُجَـاوِرِ فِيـهِـمُ، والمُـرْمِـلاَتِ إِذَا تَـطَاوَلَ عَـامُهَـا(٨)

---

(١) لزاز عظيمة: ملازم لها موكل بها قادر عليها. واللزاز في الأصل خشبة يُلزّ بها الباب أي يشد (الجشام) المتكلف من الأمور ما فيه عسر ومشقة. يقال: جشَمَ الشيء وتجشمه، إذا تكلفه بمشقة.

(٢) سنت: أي سنت لهم هذه السنة. و(السنة) الطريقة (الإمام) المثال الذي يقتدى به ويسار بهديه.

(٣) لا يطبعون: لا تدنس أخلاقهم وأعراضهم. يقال: فلان يطْبَع: إذا لم يكن له نفاذ في مكارم الأمور كما يطبع السيف ـ أي لا يقطع ـ إذا كثر عليه الصدأ، وهو من باب علم والطَّبَع ـ بالتحريك ـ الدنس، والوسخ الشديد من الصدأ والشين، والعيب. يقال: «ربَّ طمع يهدي إلى طَبَع» (لا يبور) لا يهلك (الفَعال) بفتح الفاء: المحمود من الأفعال (الأحلام) العقول، ومفرده حِلْم. بكسر أوله وسكون ثانيه. والضمير يعود إلى المعشر وإنما أنث الضمير لأن المعشر بمعنى الجماعة.

(٤) الخلائق: جمع خليقة وهي السجية والطبيعة. (٥) أوفى: وفى ولم ينقص (أوفر) أتمّ.

(٦) سمكه: سقفه. وأراد أنه رفيع شرفه. لأن المراد بالبيت هو المجد (سما) علا وارتفع (كهلها وغلامها) كبيرها وصغيرها. والكهل هو من وخطه الشيب أو من جاوز الثلاثين أو أربعاً وثلاثين إلى إحدى وخمسين. وجمعه: كهلون وكهول وكُهلان وكِهال.

(٧) السعاة: الساعون بأمرها القائمون بحاجاتها (أُفظعت) دهيت بأمر فظيع.

(٨) ربيع: أي أهل خير لمن يجاورهم، ووصفهم بأنهم ربيع لأن الخيرات تكثر في هذا الفصل (المرملات) النساء اللاتي فني زادهن ولم يبق معهن طعام. يقال: أرمل الإنسان إذا فني زاده (تطاول عامها) امتدّ عام أرمالها وفناء زادها.





عمرو بن كلثوم

توفي سنة (٦٠٠) م و (٥٢) قبل الهجرة

هو (عمرو بن كُلثـوم بن مالـك بن عتَّاب بن زُهيـر التغلبي) من (بني تَغْلب بن وائل) وينتهي نسبه إلى (مَعَدِّ بن عدنـان). وأمه هي (ليلى) بنت (مُهَلْهِلْ) الذي هو أخو (كُلَيب) المشهور.

وقد ساد (عمرو بن كلثوم) قومه وهو ابن خمسة عشر عاماً. ومات وله من العمر مئة وخمسون سنة (١٥٠).

وكان فارساً أبياً جريئاً، حتى بلغ من أمره أن فتك بالطاغية (عمرو بن هند) في بلاط سلطانه. كما سيأتي تفصيل ذلك.

وكـان له أخ يقـال لـه (مُـرَّة بن كلثـوم) وهـو الـذي قتـل المنـذر بن النعمان. وأخاه. وإياهما عني (الأخطل) بقوله:

أَبَـني كُـلَيْـبٍ، إنَّ عَـمَّـيَّ الـلَّذا ... قَتَـلا المُلُوكَ، وفَكَّكـا الأَغْـلاَلاَ(١)

وقال (الفرزدق) يرد على (جرير) في هجائه (الأخطل):

مَا ضَرَّ تَغْلِبَ وَائِـل ؟ أَهَجَوْتَهَـا؟، ... أَمْ بِلْتَ حَيْثُ تَنَـاطَـحَ البَحْـرَانِ؟

(١) اللذا: اللذان.

قَــوْمٌ هُــمُ قَتَـلُوا ابْنَ هِـنْـدٍ عَنْــوَةً عَمْراً، وَهُـمْ قَسَطُوا عَلَى النُّعْمَانِ[1]

وكان له ابن يقال له (عبَّاد) وهو قاتل (بشر بن عمرو بن عدس).

وكان (عمرو بن كلثوم) شجاعاً مظفراً مقداماً فتّاكاً. وبه يُضرب المثل في الفتك، فيقال: أفتك من (عمرو بن كلثوم)، لفتكه بعمرو بن هند.

وكان من حديث (عمرو بن كلثوم) أنه أغار على (بني تميم). ثم مرَّ من غزوه ذلك على حيٍّ من (بني قيس بن ثعلبة)، فملأ يَدَيه منهم، وأصاب أسارى وسبايا. وكان فيمن أصاب (أحمد بن جَندل السعدي). ثم انتهى إلى بني (حنيفة) باليمامة وفيهم أناس من (عِجل). فسمع به أهل (حِجر) فكان أولَ من أتاه من بني حنيفة (بنو سُحَيم) عليهم (يزيد بن عمرو بن شِمر). فلما رآهم (عمرو بن كلثوم) ارتجز فقال:

مَنْ عَـاذَ مِنِّي بَعْـدَهَـا فَـلَا اجْتَبَـرْ، ولَاَ سَقَى المَـاءَ ولا أَرْعَى الشَّجَرْ[2]
بَنُــو لُجَـيْمٍ وجَـعَــاسِيسُ مُـضَــرْ بِجَـانِبِ الـدُّوِّ، يُـديهـونَ العَكَـرْ[3]

(١) عنوة قوة واقتداراً (قسطوا) جاروا وظلموا.

(٢) عاذ مني، أي عاذ بشيء مني. يقال: عاذ به من كذا يعوذ عوذاً ومَعاذاً وعِياذاً ومَعاذة أي التجأ إليه. ومنه: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، أي أعوذ إلى الله وألتجىء إليه من الشيطان (اجتبر) انتعش. يقال جبرته فاجتبر أي انعشته فانتعش. (ارعى) رعى.

(٣) جعاسيس: جمع جعسوس وهو القصير الدميم (الدو) المفازة وهي الأرض المخوفة وأراد بها أرضاً معينة مسماة عندهم بهذا الاسم (يديهون) هذه هي الرواية ولم نظفر لها بتفسير في كتب اللغة التي بين أيدينا كلسان العرب والقاموس. ولعلها يدهدون بمعنى يسوقون. يقال: دهدى الحجر ودهدهه بمعنى دحرجه (العكر) الإبل التي فوق خمس مئة.

فانتهى إليه (يزيد بن عمرو) فطعنه فصرعه عن فرسه وأسره.

وكان (يزيد) شديداً جسيماً فشدَّه في القِدِّ[1]، وقال له: أنت الذي تقول؟:

مَتَى تُعْقَدْ قَرِينَتُنَا بِحَبْلٍ   تَجُذَّ الحَبْلَ أَوْ تَقِصِ القَرِينَا[2]

أما اني سأقرنك إلى ناقتي هذه فأطردكما جميعاً. فنادى (عمرو بن كلثوم): «يَا لَربيعة، أمُثلة[3]؟». فاجتمعت فنهوه (ولم يكن يريد ذلك به) فسار به حتى أتى قصراً في (حِجْر) من قصورهم. وضرب عليه قبة ونحر له وكساه وحمله على نجيبه[4] وسقاه الخمر فلما أخذت الخمر برأسه تغنى فقال:

أَأَجْمَعَ صُحْبَتِي السَّحَرَ ارْتِحالاً،   ولَمْ أَشْعُرْ بِبَيْنٍ مِنْكَ هَالاَ[5]

ولَمْ أَرَ مِثْلَ هَالَةَ فِي مَعَدٍّ   أُشَبِّهُ حُسْنَهَا إِلَّا الهِلاَلاَ[6]

أَلاَ أَبْلِغْ بَنِي جُشَمِ بْنِ بَكْرٍ   وتَغْلِبَ (كُلَّمَا أَتَيَا حَلاَلاَ)[7]:

(١) القد: قَيْد من جلد يُقيّد به الأسير.

(٢) سيأتي تفسيره في معلقته.

(٣) المثلة: التنكيل، ومنه التمثيل بالقتلى.

(٤) النجيب الجمل الكريم. وأصل معناه: الكريم الحسيب من الإنسان والحيوان. والجمع نُجباء نجب وأنجاب.

(٥) السَحر: وقت قبيل الصبح (البين) البعد والفراق (هال) أي هالني. يقال: هاله الأمر إذا فزعه وعظُم عليه.

(٦) هالة: أراد بها قبيلة بعينها. والهالة في الأصل هي ما يحيط بالقمر كالطفاوة لما يحيط بالشمس.

(٧) حَلال: اسم صنم كان لبني فزارة هذا إن كان بفتح الحاء. وأما إن كان بكسرها فالمراد أتيا قوماً حِلالاً أي نازلين وفيهم كثرة. أو أتيا مجتمعات الناس. ولعل هذا أقرب. والحِلال بكسر الحاء جمع حِلة بكسرها أيضاً. وهي المجتمع، والقوم النزول فيهم كثير.

بِـأَنَّ المَـاجِـدَ القَـرْمَ بْنَ عَمْـرٍو   غَـدَاةَ نُـطَاعُ قَـدْ صَـدَقَ القِتَـالاَ[1]
كَـتِـيـبَـتُـهُ مُـلَمْـلَمَـةٌ رَدَاحٌ،   إِذَا يَـرْمُـونَـهَـا تُفْنِي الـنِّبَـالاَ[2]
جَـزَى اللهُ الأَغَـرَّ يَـزِيـدَ خَيْـراً،   وَلَـقَّـاهُ الـمَـسَـرَّةَ والـجَـمَـالاَ[3]

قيل: إنَّ أُمه (ليلى) لما حملت به قالت: أتاني آتٍ في المنام فقال:

يَـا لَـكِ لَـيْـلَى مِـنْ وَلَـدْ،   يُـقْـدِمُ إِقْـدَامَ الأَسَـدْ
مِـنْ جُـشَـمٍ، فِـيـهِ الـعُـدَدْ   أَقُـولُ قَـوْلاً لاَ فَـنَـدْ[4]

فولدتْ غلاماً وسمته (عَمراً). فلما أتت عليه بسنة قالت: «أتاني ذلك الآتي في الليل فأشار إلى الصبي» وقال:

إِنِّي زَعِيـمٌ لَـكِ، أُمَّ عَـمْـرِو،   بِمَـاجِـدِ الجَـدِّ كَـرِيمِ النَّجْـرِ[5]
أَشْجَـعَ مِنْ ذِي لِبْـدَةٍ هِـزَبْـرِ،   وقَّـاصِ آدَابٍ، شَـدِيـدِ الأَسْرِ[6]
يَسُودُهُمْ فِي خَمْسَةٍ وَعَشْرِ

---

(١) الماجد: العزيز الرفيع القدر الشريف الكريم (القرم) السيد العظيم. وأصل معناه الفحل الذي لم يمسه حبل ولم يحمل عليه.
(٢) الكتيبة: القطعة من الجيش مجتمعة (ململمة) مجموعة (الرداح) الكتيبة الثقيلة الجرار.
(٣) الأغر: الكريم الأفعال الواضحها.
(٤) العُدَد: جمع عُدة، وهو الاستعداد للأمر (الفند) الكذب.
(٥) النجر: الأصل.
(٦) ذي لبدة: أي أسد ذي لبدة. واللبدة هي الشعر المجتمع بين كتفي الأسد. وذو لبدة: لقب للأسد (الهزبر) من أسماء الأسد «وقاص» مبالغة من الوقص وهو كسر العنق ودقّها. وأراد بقوله: وقاص آداب أنه سيكون له أدب جمٌّ. على حد قولهم نحر العلم نحراً وقتل الأدب علماً. «الأسر» القوة.

فكان كما قال، ساد وهو ابن خمسة عشر عاماً.

فتله (عمرو بن هند) الملك:

كانت (بنو تَغلِب بن وائل) قوم (عمرو بن كلثوم) من أشد الناس في الجاهلية. ولو أبطأ الإسلام قليلاً لأكلت (بنو تغلب الناس).

وقد قال (عمرو بن هند) الملك ذات يوم لندمائه: «هل تعلمون أحداً من العرب تأْنف أمهُ من خدمة أمي». قالوا: «نعم، أُمُّ عمرو بن كلثوم» قال: «وَلِمَ؟». قالوا: «لأن أباها (مهلهل بن ربيعة) وعمها (كليب بن وائل) أعزُّ العرب، وبعلها (كلثوم بن مالك) أفرس العرب، وابنها (عمرو) وهو سيد قومه». فأرسل (عمرو بن هند) إلى (عمرو بن كلثوم) يستزيره، ويسأله أن يُزيرَ أُمَّهُ أُمَّهُ. فأقبل (عمرو) من (الجزيرة) إلى (الحيرة) في جماعة من (بني تغلب). وأقبلت (ليلى بنت مهلهل) في ظُعن[1] من (بني تغلب).

فأمر (عمرو بن هند) برِواقه[2] فضُرب فيما بين (الحيرة) و (الفرات) وأرسل إلى جوه أهل مملكته فحضروا، فدخل (عمرو بن كلثوم) على (عمرو بن هند) في رواقه. ودخلت (ليلى أم عمرو بن كلثوم) و (هندام عمرو بن هند) في قبَّة من جانب الرواق.

وقد كان (عمرو بن هند) قد أَمَرَ أُمه أن تنحِّي الخدم إذا دعا

---

(١) الظعن: بسكون العين وضمها: النساء. ومفردها ظعينة وتجمع أيضاً على ظعائن وجمع الجمع أظعان. وأصل معنى الظعينة الهودج فيه امرأة أولاً.

(٢) الرواق: البيت. وقيل سقف في مقدم البيوت. والمراد بالرواق هنا بيت عظيم من بيوتهم نصبه لهم. وجمعه رواقات وأروقة ورُوقة.

بالطُّرَف[١] وتستخدم (ليلى). فدعا (عمرو بن هند) بمائدة، ثم دعا بالطُّرَف. فقالت (هند) «ناوليني يا ليلى ذلك الطَّبَق»[٢]. فقالت ليلى: «لِتقم صاحبة الحاجة إلى حاجتها». فأعادت عليها وألحَّت. فصاحت (ليلى): «واذُلَّاه، يَا لَتغلِب». فسمعها ولدها (عمرو) فثار الدم في وجهه. ونظر إليه (عمرو بن هند) فعرف الشر في وجهه. فوثب (عمرو بن كلثوم) إلى سيف (عمرو بن هند) معلَّق بالرواق - ليس هناك سيفاً غيره - فضرب به رأس (عمرو بن هند). ونادى في (تغلب). فانتهبوا ما في الرواق وساقوا نجائبه[٣] وساروا نحو الجزيرة. ففي ذلك يقول «عمرو بن كلثوم» في معلقته:

أَلَا لَا يَجْهَلَنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا ... فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الجَاهِلِينَا[٤]
بِأَيِّ مَشِيئَةٍ - عَمْرَو بْنَ هِنْدٍ - ... نَكُونُ لِقَيْلِكُمْ فِيهَا قَطِينَا
تُهَدِّدُنَا وَتُوعِدُنَا؟ رُوَيْداً، ... مَتَى كُنَّا لأُمِّكَ مَقْتَوِينَا؟
فَإِنَّ قَنَاتَنَا - يَا عَمْرُو - أَعْيَتْ ... عَلَى الأَعْدَاءِ قَبْلَكَ أَنْ تَلِينَا

وفي ذلك يقول «أُفنون بن صريم التغلبي» يفخر بفعل «عمرو بن كلثوم»:

لَعَمْرُكَ مَا عَمْرُو بْنُ هِنْدٍ - وَقَدْ دَعَا ... لِتَخْدِمَ أُمِّي أُمَّهُ - بِمُوَفَّقِ

---

(١) الطرف: جمع طُرفة. ومعناها المُلحة، والغريب المستحسن المعجب. وأراد بالطرف ما يقدم بعد الطعام من حلوى وفاكهة.
(٢) الطبق ما يؤكل فيه من وعاء.
(٣) نجائبه: إبله والمفرد نجيبة.
(٤) سيأتي تفسير هذه الأبيات في معلقته.

فَقَامَ ابْنُ كُلْثُومٍ إِلَى السَّيْفِ مُصْلَتاً، فَـأَمْسَـكَ مِنْ نَـدمَـانِـهِ بِـالمُخَنَّقِ[١]
وجَلَّلَهُ عَمْـرٌو عَلَى الرَّأْسِ ضَـرْبَـةً بِذِي شُطَبٍ، صَافِي الحَدِيدَةِ، رَوْنَقِ[٢]

وفاة عمرو بن كلثوم:

عمرو بن كلثوم مذكور في طبقـات المعمَّرين الـذين بلغوا من الكِبَـرِ عُتِيّاً[٣].

وقد ذكروا أنه لما حَضَرَتْهُ الوفاةُ جمع بنيه، فقال:

«يَا بَنِيَّ، قَدْ بَلَغْتُ مِنَ العُمْـرِ مَا لَمْ يَبْلُغْـهُ أَحَدُ مِنْ آبَـائِي. ولا بُدَّ أَنْ يَنْزِلَ بِي مَا نَزَلَ بِهِمْ مِنَ المَوْتِ. وَإِنِّي والله مَا عَيَّرْتُ أَحَـداً بِشَيْءٍ إِلَّا عُيِّرْتُ بِمِثْلِهِ؛ إِنْ كَانَ حَقّاً فَحَقّاً، وإِنْ كَانَ بَاطِلاً فَبَـاطِلاً. ومَنْ سَبَّ سُبَّ، فَكُفُّـوا عَنِ الشَّتْمِ، فَإِنَّهُ أَسْلَمُ لَكُمْ. وأَحْسِنُوا جِوَارَكُمْ يَحْسُنْ ثَنَاؤُكُمْ. وامْنَعُوا مِنْ ضَيمِ[٤] الغَـرِيبِ، فَـرُبَّ رَجُـلٍ خَيْـرٌ مِنْ أَلْفٍ، وَرَدٍّ خَيْـرٌ مِنْ خُلْفٍ. وإِذَا حُدِّثْتُمْ فَعُوا[٥]، وإِذَا حَدَّثْتُمْ فَأَوْجِـزُوا، فَإِنَّـهُ مَعَ الإِكْثَـارِ يَكُونُ الإِهْـذَارُ[٦].

---

(١) مصلتاً: مجرداً من غمده (الندمان) المنادم على الشراب (المخنق) العنق لأنه موضع حبل الخنق.

(٢) جلّله ضربة: جعل الضربة غطاء له كما يجلل الغطاء الرأس (بذي شطب) أي بسيف ذي طرائق في متنه. ومفرد الشطب شطبة وهي الطريقة في متن السيف (رونق) أي ذي رونق. ورونق السيف طلاوته. ورونق الضحى حسنه وإشراقه.

(٣) أي وصلوا إلى حالة من الكبر لا سبيل إلى إصلاحها ومداواتها. يقال عتا الرجل عتياً ـ بكسر العين وضمها ـ أي طعن في السن وولى أمره.

(٤) الضيم: الظلم والقهر.

(٥) عوا: احفظوا ما تسمعونه ولا تهملوه والماضي منه وعى والمضارع يعي.

(٦) «الاهذار والهذر» الكلام بما لا ينبغي وهو الهذيان.

وأَشْجَعُ القَوْمِ العَطُوفُ[1] بَعْدَ الكَرِّ، كَمَا أَنَّ أَكْرَمَ المَنَايَا[2] القَتْلُ. ولاَ خَيْرَ فِيمَنْ لاَ رَوِيَّةَ[3] لَهُ عِنْدَ الغَضَبِ، وَلا فِيمَنْ إِذَا عُوتِبَ لَمْ يُعْتِبْ[4]. وَمِنَ النَّاسِ مَنْ لاَ يُرْجى خَيْرُهُ، وَلاَ يُخافُ شَرُّهُ، فَبُكْؤُهُ خَيْرٌ مِنْ دَرِّهِ[5]، وعُقُوقُهُ خَيْرٌ مِنْ بِرِّهِ[6]. ولاَ تَتَزَوَّجُوا فِي حَيِّكُمْ، فَإِنَّهُ يُؤَدِّي إِلى قَبيحِ البُغْضِ».

وكانت وفاته سنة (٦٠٠) لميلاد المسيح عليه السلام، وسنة (٥٢) قبل الهجرة النبوية. وله من العمر خمسون سنة ومئة (١٥٠).

الكلام على شعره:

كان شاعراً فحلاً مطبوعاً، صافي الديباجة، كثير الطِّلاوة، حسن السبك، واضح المعاني. شديد الفخر، قوي الشكيمة في الحماسة. ولم أَرَ بين شعراء المعلقات وغيرهم من شعراء الجاهلية من يدانيه في فخرياته إلا (الحارث بن حلزة اليشكري) صاحب المعلقة السابعة، وفي حماسيَّاته إلا (عنترة بن شداد) صاحب المعلقة السادسة. فهو في شعره مهبط

---

(١) العطوف: الذي يعطف على المنهزمين فيحميهم. ومن معانيه: الشفوق الحسن الخلق المحسن.

(٢) المنايا: جمع منية وهي الموت.

(٣) الروية: التروي والتأني.

(٤) لم يعتب: لم يعط العُتبى وهي الرضى يقال: أعتبه، إذا أعطاه العتبى أي الرضا وترك ما كان يغضب لأجله. والمعنى لا خير فيمن إذا استرضِيَ لم يرضَ.

(٥) البكوء: قلة اللبن. يقال: بكأت الناقة والشاة إذا قل لبنها. وبكأت البئر إذا قل ماؤها. وبكأت العين إذا قل دمعها. فهي بكيء وبكيئة (الدرّ) كثرة اللبن.

(٦) العقوق: العصيان وترك الشفقة والإحسان. يقال عقّ الولد أباه، إذا عصاه ولم يُحسن إليه. وبابه نصر (البر) الإحسان.

الحماسة، وموحى الفخر. مع لفظٍ جزل وأسلوب رائع. ومن شعره قوله يخاطب أحد أمراء (غسّان):

أَلَا فَاعْلَمْ ـ أَبَيْتَ اللَّعْنَ ـ أَنَّا عَلَى عَمْدٍ سَنَأْتِي مَا نُرِيدُ[1]
تَعَلَّمْ أَنَّ مَحْمَلَنَا ثَقِيلٌ، وأَنَّ زِنَادَ كُبَّتِنَا شَدِيدُ[2]
وأَنَّا لَيْسَ حَيٌّ مِنْ مَعَدٍّ يُوازِينَا إِذَا لُبِسَ الحَدِيدُ[3]

وهجا (النعمان بن المنذر) هجاءً كثيراً. منه قوله يُعيِّره بأمه:

حَلَّتْ سُلَيْمَى بِخَبْتٍ بَعْدَ فَرْتَاجِ وَقَدْ تَكُونُ قَدِيماً فِي بَنِي تَاجِ[4]
إِذْ لَا تُرَجِّي سُلَيْمَى أَنْ يَكُونَ لَهَا مَنْ بِالخَوَرْنَقِ مِنْ قَيْنٍ وَنَسَّاجِ[5]
وأَنْ يَكُونَ عَلَى أَبْوَابِهَا حَرَسٌ، كَمَا تَلَفَّفَ قِبْطِيٌّ بِدِيبَاجِ[6]
تَمْشِي بِعِدْلَيْنِ مِنْ لُؤْمٍ وَمَنْقَصَةٍ مَشْيَ المُقَيَّدِ فِي اليَنْبُوتِ وَالحَاجِ[7]

---

(١) أبيت اللعن: هي تحية الملوك في الجاهلية. معناها امتنعت عما يوجب اللعن لأنك لم تفعل ما تستوجب به اللعن.

(٢) تعلم: إعلم (الزناد والزَّند) العود الأعلى الذي يقتدح به لتكون النار كما أن الزندة العود الأسفل (الكبة) إن كانت بضم الكاف فمعناها الجماعة من الخيل. وإن كانت بفتحها فمعناها الحملة في الحرب والمعنى أن عود حملتنا قوي. فمتى أردنا الحرب هجناها وكنّا الفائزين. شبه إهاجة الحرب بالزناد الذي يستقدح به.

(٣) يوازينا: يماثلنا ويطاولنا.

(٤) خبت وفرتاج: موضعان.

(٥) تقدم الكلام عنه في الصفحة (١١٣) (القين) العبد، والصانع، والحداد وجمعه قِيان (النساج) الذي ينسج الثياب. والمعنى، من في الخورنق من عبيد وصناع يصنعون لها ما يلزمها من المصنوعات ونُسّاج ينسجون ما تطلبه من الثياب والرياش.

(٦) الديباج، الثوب الذي سداه ولحمته حرير.

(٧) الينبوت، ضرب من الشجر ذو شوك ومفرده ينبوتة (الحاج) نوع من الشوك.

وقال فيه:

لَحَا اللهُ أَدْنانا إلى اللُّؤْمِ زُلْفَةً، وأَلأَمَنَا خَالاً، وأَعْجَزَنَا أَبَا[1]
وأَجْدَرَنَا أَنْ يَنْفُخَ الكِيرَ خَالُهُ، يَصُوغُ القُرُوطَ والشُّنُوفَ بِيَثْرِبَا[2]

ومن شعره قوله:

مَعَاذَ الإلٰهِ أَنْ تَنُوحَ نِساؤُنَا عَلَى هَالِكٍ، أَوْ أَنْ تَضِجَّ مِنَ القَتْلِ
قِرَاعُ السُّيُوفِ بِالسُّيُوفِ أَحَلَّنَا بِأَرْضٍ بَرَاحٍ ذِي أَرَاكٍ وذِي أَثْلِ[3]
فَمَا أَبْقَتِ الأَيَّامُ مِلْمَالٍ عِنْدَنَا سِوَى جِذْمِ أَذْوَادٍ مُحَذَّفَةِ النَّسْلِ[4]
ثَلاثَةُ أَثْلاثٍ: فَأَثْمَانُ خَيْلِنَا، وأَقْوَاتُنَا، وَمَا نَسُوقُ إِلَى القَتْلِ[5]

---

(١) لحا، معناها هنا أخزى. وفي غير هذا المقام يقال لحا فلان فلاناً أي شتمه وسبه وعابه ولامه. ولحا الشجرة، قشّرها. يقال منه، لحا يلحو، ولحى يلحى (أدنانا) أقربنا (زلفة) منزلة. جمعها زلفٌ. والزلفة تأتي أيضاً بمعنى القربة والطائفة من أول الليل وجمعها زُلف.

(٢) القروط، جمع قرط وهو ما يعلق في الأذن من درة ونحوها (الشنوف) القروط ومفردها شَنْف. وقد قيل؛ إن القرط ما يعلق في أسفل الأذن والشَنْف ما يعلق في أعلاها (يثرب) هي المدينة، مدينة الرسول ﷺ.

(٣) القراع والمقارعة: مضاربة القوم في الحرب. والكلام على حذف مضاف. والتقدير: قراع أصحاب السيوف بالسيوف (البراح) الأرض التي لا بناء فيها ولا عمران. وإعرابه أنه بدل من أرض لا صفة لها. ولو كان صفة لها لوجب أن يقال: ذات أراك. ولكنه جعل ذي صفة لبراح فوجب أن يكون براح بدلاً من أرض لا صفة لها لأن الصفة لا توصف إلا إذا أقيمت مقام الاسم وليست هنا كذلك (الإثل والأراك) نوعان من الشجر.

(٤) ملمال: أي من المال (الجذم) الأصل (الأذواد) جمع ذَوْد وهو ما دون العشرة من الإبل (محذفة النسل) مقطوعة. والمعنى أن الحرب قد أفنت أموالنا وأهلكت ما نملك.

(٥) ثلاثة: خبر لمبتدأ محذوف والتقدير: أموالنا ثلاثة أثلاث: ثلث نشتري به الخيل وثلث نشتري به القوت وثلث نعطيه في الديات بسبب ما نقتله من غيرنا.

معلقته وسبب نظمها :

معلقه (عمرو بن كلثوم) أشهر شعره وأشعره. وهي حماسية فخرية. قيل: انها كانت ألف بيت ونَيِّفاً. وما وصل إلينا هو جزءٌ يسيرٌ منها. قال (معاوية بن أبي سفيان): «قصيدة (عمرو بن كلثوم) وقصيدة (الحارث ابن حِلِّزة) من مفاخر العرب، وكانتا معلقتين بالكعبة».

وقد قام (عمرو) بها خطيباً في (سوق عكاظ)، وقام بها في موسم (مكة). (وبنو تغلب) تعظمها جداً، ويرويها صغارهم وكبارهم. حتى هُجوا بذلك. قال بعض شعراء (بكر بن وائل):

أَلْهى بَني تَغْلِبٍ عَنْ كُلِّ مَكْرُمَةٍ قَصِيدَةٌ قَالَهَا عَمْرُو بْنُ كُلْثُومِ
يَرْوُونَها أَبداً مُذْ كَانَ أَوَّلُهُمْ يا لَلرِّجَالِ لِشِعْرٍ غَيْرِ مَسْؤُومِ[1]

والخطب الذي دعا إلى نظمها ليس واحداً على ما يتراءى لمن يَتتبَّع أبيات القصيدة. ويُفهم ذلك من اختلاف الرُّواة في سبب نظمها. ففي (كتاب الأغاني) يصرح أنه قالها على أثر ما جرى لأمه عند (عمرو بن هند) كما ذكرنا ذلك في ترجمته. وفي كتاب (خزانة الأدب) للبغدادي نقلاً عن (الخطيب التبريزي) أنه أنشدها بحضرة الملك (عمرو بن هند). فلعله نظمها في واقعتين: الأولى كانت على أثر الخلاف الذي كان بين قومه (التغلبيين) وبين بني أعمامهم (البكريين)، وتقاضيهم إلى (عمرو بن هند) وكان قد أصلح بينهما بعد حرب (البسوس) الشهيرة. وشرط عليهما شروطاً إذا اختصما. فلما

(١) غير مسؤوم: غير مملول.

جاؤوه للتقاضي كان (ابن كلثوم) سيد (تغلب). و(النعمان بن هَرِم) سيد (بكر) فجرى بينهما جدال بين يديْ (عمرو بن هند) ملك (الحيرة). وكان (ابن هند) يُؤثِرُ (بني تغلب) على (بني بكر) فغضب غضباً شديداً حتى همَّ بطرد (النعمان). فأنشدَ إذ ذاك (عمرو بن كلثوم) قصيدته. وأنشد (الحارث بن حِلِّزة) صاحب المعلقة السابعة قصيدته. (كما سيأتي تفصيل الحادثة بأوسع من هذا الكلام على ترجمة (الحارث بن حِلِّزة) إن شاء الله تعالى).

والواقعة الثانية كانت على أثر احتقار (أم عمرو بن هند) لأم (عمرو بن كلثوم) كما فصلنا ذلك من قبل. ثم أتمّ قصيدته مُفصلاً فيها هذه الواقعة الثانية.

* * * * * *

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

نخبة من معلقته

أَلاَ هُبِّي بِصَحْنِـكِ، فَـاصْبَحِينـا (وَلاَ تُبْقِي خُمُـورَ الأَنْـدَرِينـا)(١)
مُشَعْشَعَـةً، كَـأَنَّ الحُصَّ فِيهـا، إِذَا مَـا المَـاءُ خَـالَـطَهَـا سَخِينـا(٢)
تَجُـورُ بِـذِي اللُّبَـانَـةِ عَنْ هَـوَاهُ (إِذَا مَـا ذَاقَـهَـا) حَتَّـى يَلِينَـا(٣)
تَـرَى اللَّحِـزَ الشَّحِيـحَ إِذَا أُمِـرَّتْ عَلَيْـهِ لِمَـالِـهِ فِيهَـا مُـهِينَـا(٤)

(١) هي: استيقظي من نومك (الصحن) القدح الضخم (أصبحينا) اسقينا الصبّوح وهو شرب أول النهار (الأندرين) قيل قرية بالشام. هكذا أطبق المفسرون واللغويون. وقال صاحب معجم البلدان ـ وقوله الحق على ما يظهر ـ: إنها قرية في جنوبي حلب بينهما مسيرة يوم للراكب وإياها عنى عمر بن كلثوم بقوله. وهذا مما لا شك فيه. وقد سألت عنه أهل المعرفة من أهل حلب فكل وافق عليه. هذا ملخص كلامه. ويجوز أن تعرب اعراب ما لا ينصرف للعلمية والتأنيث ولا يضرها في عدم صرفها وجود «أل» لأنها زائدة. ويجوز أن تعرب إعراب جمع المذكر السالم: بالواو رفعاً والياء نصباً وجراً، كما تُعرب «عليّون».

(٢) مشعشعة: ممزوجة بالماء (الحص) الزعفران أو الورْس (سخيناً) إن كان اسماً فهو بمعنى مسخناً، ونصبه على الحال من ضمير خالط العائد إلى الماء. والمعنى اسقينا خمراً ممزوجة بالماء كأنها ـ وقد خالطها الماء الساخن ـ مزجت بالزعفران لاصفرار لونها. ـ وإن كان سخيناً فعلاً ماضياً من السخاء ونا فاعله فالمعنى إذا مزجت بالماء وروَّت عروقنا نجور عند ذلك ويشتد كرمنا. ونصبت مشعشعة إما على أنها مفعول ثانٍ لأصبحي لأن معناهما اسقي، وإما على الحال من خمور.

(٣) تجور تميل (اللبانة) الحاجة.

(٤) اللحز: البخيل الضيق الخُلق (الشحيح) البخيل مع حرص، والحريص (أمرت) أُديرت على القوم.

وإِنَّـا سَوْفَ تُـدْرِكُنَـا المَنَـايَـا مُـقَـدَّرَةً لَـنَـا، ومُـقَـدَّرِينَـا(١)
قِفِي قَبْـلَ التَّفَـرُّقِ ـ يَـا ظَعِينَـا ـ نُخَبِّـرْكِ اليَقِينَ، وتُـخْبِـرِينَـا(٢)
بِيَـوْمِ كَـرِيهَـةٍ ضَـرْبـاً وَطَعْنـا أَقَـرَّ بِـهِ مَـوَالِيـكِ العُيُـونَـا(٣)
قِفِي نَسْـأَلْكِ: هَـلْ أَحْدَثْتِ صَـرْماً لِـوَشْـكِ البَيْنِ، أَوْ خُنْتِ الأَمِينـا(٤)
وإِنَّ غَـداً وإِنَّ الـيَـوْمَ رَهْـنٌ وبَـعْـدَ غَـدٍ بِمَـا لاَ تَـعْلَمِينَـا(٥)
أَبَـا هِنْـدٍ، فَـلاَ تَعْجَـلْ عَلَيْنَـا وأَنْـظِرْنَـا نُـخَبِّـرْكَ الـيَقِـينَـا(٦)
بِـأَنَّـا نُـورِدُ الـرَّايَـاتِ بِيضـاً، ونُصْـدِرُهُنَّ حُمْـراً قَـدْ رَوِينَـا(٧)
وأَيَّـامٍ لَـنَـا غُـرٍّ طِـوَالٍ، عَصَيْنَـا المَلْكَ فِيهَـا أَنْ نَـدِينَـا(٨)

---

(١) المنايا: جمع منية وهي الموت. والمعنى أن المنايا لا بد أنها توافينا مقدرة لنا ومقدرينا لها فلماذا نبخل على أنفسنا بالذات.

(٢) يا ظعينا: يا ظعينة. وحذفت التاء للترخيم. والألف أُتي بها اشباعاً ـ لفتحة النون. والظعينة: المرأة ما دامت في الهودج.

(٣) بيوم: متعلق بنخبرك (كريهة) وقعة مكروهة. ولما جرت كريهة مجرى الأسماء كالنطيحة دخلتها التاء، ولو بقيت جارية مجرى الصفات لم يجزِ لأن فعيلاً إن كان بمعنى مفعول فمذكره ومؤنثه سواء تقول إمرأة قتيل ورجل قتيل. وكثير من كتّاب العصر يغفل عن ذلك كما يغفلون عن كثير غيره (قرَّت عين فلان بالأمر) أي ناله فكان به قرير العين. وأقررتُ عين فلان أعطيته أمله (الموالي) أبناء العم.

(٤) صرماً: قطيعة (لوشك البين) لسرعة الفراق.

(٥) المعنى: إن الأيام رهن بيد الغيب فلا يعرف المرء ما تحدثه له من الحوادث ولا ما تأتيه به من النوائب.

(٦) أراد بأبي هند عمرو بن هند ملك العرب الذي تقدمت حادثته معه (انظرنا) امهلنا.

(٧) الرايات البيارق «نورد ونصدر» يقال أورد الإبل إذا أتى بها المورد للشرب وأصدرها إذا رجع بها بعد السقي، فهو يقول إننا نأتي براياتنا إلى ساحة الحرب بيضاً ونرجع بها حمراً قد روين من دم الأعداء.

(٨) أيام مجرور بواو رب. والمراد بالأيام الوقائع «غُر» حسنة جميلة. وهي جمع غراء «الملك» بفتح الميم وسكون اللام وهو الملك بكسر اللام «ندين» نطيع ونأتمر بما يقول.

وسَيِّدِ مَعْشَرٍ قَدْ تَوَّجُوهُ بِتَاجِ المُلْكِ، يَحْمِي المُجْحَرِينَا[1]
تَرَكْنَا الخَيْلَ عَاكِفَةً عَلَيْهِ؛ مُقَلَّدَةً أَعِنَّتَهَا صُفُونَا[2]
مَتَى نَنْقُلْ إِلَى قَوْمٍ رَحَانَا يَكُونُوا في اللِّقَاءِ لَهَا طَحِينَا[3]
نَزَلْتُمْ مَنْزِلَ الأَضيافِ مِنَّا، فَأَعْجَلْنَا القِرى أَنْ تَشْتُمُونَا[4]:
قَرَيْنَاكُمْ ـ فَعَجَّلْنَا قِرَاكُمْ قُبَيْلَ الصُّبْحِ ـ مِرْدَاةً طَحُونَا[5]
نُطَاعِنُ مَا تَرَاخَى النَّاسُ عَنَّا ونَضْرِبُ بِالسُّيُوفِ إِذَا غُشِينَا[6]
نَشُقُّ بِهَا رُؤُوسَ القَوْمِ شَقّاً، ونُخْلِيهَا الرِّقَابَ فَتَخْتَلِينَا[7]

---

(١) سيد: مجرور أيضاً بواو رب ومحل المجرور الرفع على الابتداء وجملة تركنا في البيت بعده خبره «المجحرون» الذين أجحرهم الضعف أو المرض عن الخروج إلى الحرب. يقال: أجحره الشتاء إذا منعه من الخروج.

(٢) عاكفة مقيمة «مقلدة أعنّتها» أي أرسانها معلقة في رقابها كالقلائد في الأعناق «صفوناً» صافنات. والصافنات من الخيل هي التي إذا وقفت كان وقوفها على ثلاث وهو من صفات جياد الخيل. والمفرد للمذكر صافن وللمؤنث صافنة.

(٣) الرحى: الطاحون. ويعني بها رحى الحرب. ومثناها رحيان ورحوان ـ فهي يائية واوية ـ وجمعها ارحٍ وأرحاء ورحي وارحيّ.

(٤) القرى: ما يُقدم للضيف من الطعام (أن تشتمونا) أي حذراً من أن تشتمونا. وقد فسر ذلك القرى في البيت الآتي.

(٥) قريناكم: قدمنا إليكم القرى (مرداة) مفعول قريناه والمردى: الصخرة التي تردى بها الصخور أي تكسر، ودائرة الحرب. والمردى أيضاً: الحجر أو الآلة التي يكسر بها النوى ـ أي بذور اللوز والفستق ونحوهما ـ ليستخرج ما فيها من اللب ـ فائدة ـ البزور تُكتب بالذال والزاي. ومفردها بالذال (بَذرة) بفتح الباء، وبالزاي (بِزرة) بكسرها. وتجمع البذرة والبزرة أيضاً على بَذْر وبِزْر (الطحون) الكثيرة الطحن ـ والمعنى أن لكل ضيف قرى يُضاف به فضيف السلم ينزل على الرحب والسعة ويقرى بما تقر به عينه. وضيف الحرب قراه الطعن والضرب، فلذا قريناكم ما طحن عظمكم واجرى دماءكم واطعم للوحش لحومكم.

(٦) تراخى: تباعد وتأخر. أي نطاعن الخصم بالرماح إن بعد عنا فلم تصل إليه سيوفنا (غشينا) غشينا الأعداء فكانوا قريباً منا. يقال غشيه الأمر، أي غطّاه. وغشيه النعاس: تسلط عليه حتى صار كالغشاء والغطاءِ له.

(٧) نُخليها الرقاب: نتركها تخليها أي تقطعها (تختلين) النون ضمير جمع المؤنث أي فتخليها =

كَــأَنَّ جَمَــاجِمَ الأَبْــطَالِ فِيهَــا وُسُــوقٌ، بِـالأَمَــاعِزِ يَــرْتَمِينَـا[1]
وإِنَّ الضِّغْنَ بَعْــدَ الـضِّغْـنِ يَبْــدُو عَلَيْـكَ؛ ويُخْرِجُ الـدَّاءَ الـدَّفِينـا[2]
ورِثْنـا المَجْـدَ ـ قَـدْ عَلِمَتْ مَعَـدٌّ ـ نُــطَاعِـنُ دُونَـــهُ، حَتَّـى يَبِـينـا[3]
نَـجُــذُّ رُؤُوسَهُــمْ فِي غَـيْــرِ بِــرٍّ، فَـمَــا يَــدْرُونَ مَــاذَا يَتَّـقُــونَـا[4]
كَــأَنَّ سُيُــوفَنَــا ـ فِينَـا وفِـيهِـمْ ـ مَـخَــارِيقٌ بِــأَيْـدِي لاعِـبِينَـا[5]
كَــأَنَّ ثِـيَــابَنَــا ـ مِـنَّــا ومِنْـهُـمْ ـ خُضِبْنَ بِـأُرْجُــوانٍ، أَوْ طُلِينَـا[6]
إِذَا مَــا عَــيَّ بِـالإِسْنَــافِ حَــيٌّ (مِنَ الهَـوْلِ المُشَبَّـهِ أَنْ يَكُـونَـا)[7]
نَصَبْـنَـا مِثْـلَ رَهْـوَةَ ذَاتَ حَـدٍّ، مُحَــافَـظَةً، وكُنَّـا السَّـابِقِينَـا[8]

= أي تقطعها. أو المعنى نطعمها الرقاب فتأكلها. لأنه يقال: أخلى ناقته إذا علفها الخَلى وهو النبات الرطب. واختلت الناقة إذا رعت الخَلى. فشبه الرقاب بالخَلى الذي يُرعى وشبه سيوفهم بالنوق التي ترعاها.

(١) الجماجم: (جمع جُمْجُمة بضمتين بينهما سكون. وهي عظم الرأس الذي فيه الدماغ والمراد بها هنا الرؤوس (الوسوق) الأحمال. ومفردها وَسْقٌ وهو مقدار حمل بعير (الأماعز) الأماكن الغليظة ـ التي فيها حصى. ومفردها أمْعَز (يرتمين) يسقطن. شبه ما يتساقط من الرؤوس وهي تقطع بالأحمال وهي تلقى وتطرح.

(٢) الضغن: الحقد (يبدو) يظهر (الدفين) المستكن المستتر.

(٣) يبين: يظهر.

(٤) نجذ: نقطع (في غير بر) من غير شفقة ولا مرحمة ويروى (في غير بَرّ) بفتح الباء أي نقطعها فلا تقع على الأرض بل في بحر من الدماء (يتقون) يدافعون ويقون أنفسهم منها.

(٥) مخاريق: جمع مخراق وهو شيء أو ثوب يُفتل ويلعب به. ويسمونها عندنا اليوم المقارع ومفردها مِقْرَعة.

(٦) خضبن: صبغن (الأرجوان) صبغ أحمر يصبغ به.

(٧) عيَّ بالأمر: عجز عنه. وأصلها عَيي (الإسناف) شدُّ البعير بالسناف وهو ما يشد على عنق البعير بالرحل ليمنع تأخره فهو بمنزلة اللبب للفرس. والفعل منه أسنفه إذا شده بالسِّناف. والإسناف أيضاً التقدم. ومن الكناية قولهم: فلان عيّ بالإسناف، أي دهش من الفزع كمن لا يدري اين يشد السناف. وهذا المعنى هو المراد هنا. ويقويه دلالة الشطر الثاني عليه. أو المعنى إذا عجزوا عن التقدم من الهول أي الخوف. وجواب إذا في البيت بعده.

(٨) مثل رهوة أي كتيبة مثل رهوة و(رهوة) جبل (ذات حد) ذات بأس وقوة وشدة.

بِشُبَّانٍ يَرَوْنَ القَتْلَ مَجْداً، وشِيبٍ فِي الحُرُوبِ مُجَرَّبِينا(١)
أَلَا لَا يَعْلَمُ الأَقْوَامُ أَنَّا تَضَعْضَعْنَا، وأَنَّا قَدْ وَنِينا(٢)
أَلَا لَا يَجْهَلَنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا، فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الجَاهِلِينَا(٣)
بِأَيِّ مَشِيئَةٍ - عَمْرَو بْنَ هِنْدٍ - نَكُونُ لِقَيْلِكُمْ فِيهَا قَطِينَا(٤)
بِأَيِّ مَشِيئَةٍ - عَمْرَو بْنَ هِنْدٍ - تُطِيعُ بِنَا الوُشَاةَ، وَتَزْدَرِينا(٥)
تُهَدِّدُنَا وتُوعِدُنا؟ رُوَيْداً، مَتَى كُنَّا لأُمِّكَ مَقْتَوِينا؟(٦)
فَإِنَّ قَنَاتَنَا - يَا عَمْرُو - أَعْيَتْ عَلَى الأَعْدَاءِ قَبْلَكَ أَنْ تَلِينَا(٧)
مَتَى نَعْقِدْ قَرِينَتَنَا بِحَبْلٍ تَجُذَّ الحَبْلَ أَوْ تَقِصِ القَرِينَا(٨)

(١) الشيب: جمع أشيب وهو ذو الشيب.

(٢) تضعضعنا: تهدمت قوتنا، أو ذللنا وخضعنا (ونينا) فترنا وكللنا.

(٣) الجهل: السفه.

(٤) عمرو بن هند: هو ملك العرب الذي تقدمت حادثته مع صاحب هذه القصيدة (القيل) الملك دون الملك الأعظم، وجمعه أقيال (القطين) الخَدم والأتباع. ومفردها قاطن. وفي غير هذا المعنى يقال: قطن في المكان وفيه قطوناً فهو قاطن والجمع قُطّان وقاطنة وقَطين: أي نزل فيه وتوطنه.

(٥) الوشاة: جمع واشٍ، وهو من ينقل كلام الناس قَصْدَ الإضرار بهم (تزدرينا) تحتقرنا يقال: ازدراه أي احتقره واستخف به. وزرى على فلان عمله زَرْياً وزِراية إذا عابه عليه.

(٦) رويداً: مهلاً. وهو مصدر أورد مصغراً تصغير الترخيم أي بطرح الزوائد وإبقاء المادة الأصلية. ومصدر أرود هو إرواد. يقال أرود في السير إرواداً، أي ترفق وتأنى (المقتوون) الخدَّام الذين يخدمون الناس بطعام بطونهم وغلب اطلاقه على خدام الملوك، ومفرده مقتويٌّ ومَقتى. وقد يقال: مقتوين. بالياء والنون بلا تنوين مراعاة لصيغة الجمع - للمفرد والمثنى والجمع.

(٧) القناة: الرمح. وجمعها قنوات وقنيات وقناً وقُنّي (أعيت على الأعداء) أعجزتهم يقال. أعيا الماشي، أي تعب وكلَّ. واعيا السير البعير، أي أتعبه. وأعيا الداء الطبيب أي أعجزه. واعيا الأمر على فلان، أي أعجزه (تلين) يقال: لانت قناة بني فلان، أي ذلوا وضعفوا.

(٨) القرينة التي تُقرن إلى غيرها (تجذ) تقطع وهو جواب الشرط مجزوم بمتى وجزمه تقديري مراعاة لحركة الادغام (تقص) تقتل. وأصل معنى الوقص دق العنق، والماضي منه وقص من باب ضرب.

وَنُـوجَـدُ نَحْنُ أَمْنَعَهُمْ ذِمـاراً؛ وأَوْفَـاهُـمْ إِذَا عَقَـدُوا يَـمِـينَـا[١]
وَنَـحْنُ غَـدَاةَ أُوقِـدَ فِي خَـزَازى رَفَـدْنَـا فَـوْقَ رَفْـدِ الـرَّافِـدِينَـا[٢]
وكُـنَّـا الأَيْمَـنِيـنَ إِذْ الـتَـقَـيْـنَـا، وكَـانَ الأَيْسَـرِينَ بَـنُـو أَبِينَـا[٣]
فَصَـالُـوا صَـوْلَـةً فِيمَنْ يَلِيهِمْ، وصُلْنَـا صَـوْلَـةً فِيمَنْ يَـلِينا[٤]
فَـآبُوا بِـالنِّهَـابِ وبِـالسَّبَـايَـا، وأُبْـنـا بِـالمُـلُوكِ مُصَـفَّـدِينـا[٥]
إِلَـيْكُـمْ - يَـا بَنِـي بَكْـرٍ - إِلَـيْكُـمْ أَلَمَّـا تَعْـرِفُـوا مِنَّـا اليَقِينَـا؟[٦]
أَلَمَّـا تَعْـرِفُـوا - مِـنَّـا ومِنْـكُمْ - كَتَـائِبَ يَـطَّعِنَّ، ويَـرْتَمِينَـا؟[٧]
عَلَيْنَـا البَيضُ، وَاليَلَبُ اليَمـاني، وأَسْيَـافٌ يُقَـمْنَ، ويَـنْحَنِيـنَـا[٨]
عَـلَيْنَـا كُـلُّ سَـابِـغَـةٍ دِلَاصٍ، تَـرَى فَـوْقَ النِّـطَاقِ لَهَـا غُضُـونَـا[٩]

---

(١) الذمار: ما يجب على الرجل حمايته.
(٢) خزازى: اسم لمكان (رفدنا) أعطينا والرفد العطية.
(٣) الأيمن: من كان على جهة اليمين (الأيسر) من كان على جهة اليسار. أراد انهم كانوا عن يمين العدو وأن بني عمهم كانوا عن يساره. وأراد ببني الأب أبناء عمهم. وهذا شائع في كلامهم.
(٤) صالوا: حملوا (يليهم) يدانيهم ويقرب منهم.
(٥) آبوا: رجعوا والضمير راجع لبني العم المكنى عنهم ببني الأب (النهاب) الغنائم التي انتهبوها (مصفدين) مقيدين بالأغلال. والصفَد هو الغلّ والقيد.
(٦) إليكم: أي إليكم عنا، بمعنى تنحوا أو ارجعوا عنا.
(٧) الكتائب: جمع كتيبة وهي الجيش أو القطعة منه (يطّعن) يتطاعنون مع الأعداء (يرتمين) يترامون معهم بالنبل.
(٨) البيض: ما يوضع على الرأس في الحرب. ومفردها بيضة (اليلب) الدروع من جلود الإبل (يقمن) ينتصبن عند الضرب بهن (ينحنين) أي تنحني على من ضرب بها.
(٩) سابغة: أي درع سابغة أي طويلة (الدلاص) الدرع الملساء اللينة (النطاق) ما يشد به الإنسان وسطه (الغضون) جمع غَضْنٍ وهو التجعد والتثنيَ يكون في الجلد والثوب والدرع ونحوهما لما وصفها بأنها دلاص أي لينة ملساء قال: إنك ترى لها تجعدات فوق النطاق كما ترى تجعدات الثوب فوقه.

عَلَى آثـارِنَـا بِيضٌ حِسَـانٌ، (نُحَـاذِرُ أَنْ تُقَسَّمَ، أَوْ تَهُـونَـا)[١]
يُقُتْنَ جِيَـادَنَـا. ويَقُلْنَ: لَسْتُمْ بُعُـولَتَنَـا، إِذَا لَمْ تَـمْنَعُـونَـا[٢]
إِذَا لَـمْ نَـحْمِهِـنَّ فَـلاَ بَقِـينَـا لِشَيْءٍ بَعْـدَهُـنَّ، وَلاَ حَـيِينَـا
كَـأَنَّـا ـ والسُّيُـوفُ مُسَلَّلاَتٌ ـ ولَـدْنـا النَّـاسَ طُـرّاً، أَجْمَعِينَـا[٣]
وَقَـدْ عَلِمَ القَبَـائِـلُ مِنْ مَعَـدٍّ (إِذَا قُبَبٌ بِـأَبْـطَحِهَـا بُنِينـا)[٤]
بِـأَنَّـا المُـطْعِمُـونَ بِكُـلِّ كَحْلٍ، وأَنَّــا المُهْلِكُـونَ إِذَا ابْتُلِينـا[٥]
وأَنَّـا المَـانِعُـونَ لِمـا أَرَدْنَـا، وأَنَّـا النَّـازِلُـونَ بِحَيْثُ شِينَـا[٦]
وأَنَّـا التَّارِكُـونَ إِذَا سَخِـطْنَـا، وأَنَّـا الآخِـذُونَ إِذَا رَضِـينَـا[٧]
وأَنَّـا العَـاصِمُـونَ إِذَا أُطِـعْنَـا، وأَنَّـا العَـارِمُـونَ إِذَا عُصِينَـا[٨]

---

(١) أراد بالبيض الحسان نساءهم (تهون) يصيبها الهوان فيما لو قُتلنا أو أسرنا الأعداء.
(٢) يقتن: يطعمن (جيادنا) خيولنا (بعولتنا) أزواجنا.
(٣) مسللات: مجردات من أغمادها.
(٤) قبب: جمع قُبة «الأبطح» هو أبطح مكة لأن الناس تقصده من كل جهة. وأصل معنى الأبطح هو مسيل أو واد فيه دقاق الحصي.
(٥) الكحل: السنة الشديدة المجدبة «ابتلينا» اختبرنا. أي إذا أراد الأعداء أن يختبروا بأسنا وشدتنا أهلكناهم.
(٦) شينا: شئنا.
(٧) سخطنا: غضبنا. أي إن سخطنا على شيء فتركناه فلا يقدر أحد أن يجبرنا على أخذه، وإذا رضينا امراً فعلناه دون معارض.
(٨) العاصمون: المانعون. أي نحن نعصم من يطيعنا ونمنعه «العارمون» اولو العرامة وهي الشراسة، أو أولو الشدة. يقال: عرمَ فلان ـ من باب ضرب ونصر ـ عَراما، أي اشتد وفارق القصد وخرج عن الحد. وعَرِم ـ من باب علم ـ عرامة، مثله. وعرمت فلاناً، إذا أصبته بأذى وشراسة. وأعرمت فلاناً، إذا جنيت عليه ما لم يجنه. ورجل عارم، أي شرس مؤذ، ويوم عارم، هو نهاية في البرد. والعُرام: الشراسة والأذى. والعرم، الجاهل، والشرس المؤذي. ومنه سيل العُرم المشهور، لأنه كان سيلاً عظيماً آذى البلاد والعباد.

ونَشْـرَبُ إنْ وَرَدْنـا المـاءَ صَفْـواً، ويَشْــرَبُ غَيْــرُنَــا كَــدِراً وَطِينــاً
إِذَا مـا المَلْكُ سَـامَ النَّـاسَ خَسْفـاً أَبَـيْـنَـا أَنْ نُـقِـرَّ الــذُّلَّ فِـيـنَـا[1]
مَــلأْنَــا البَـرَّ، حَتَّى ضَــاقَ عَنَّــا وظَهْــرُ البَـحْــرِ نَمْـلَؤُهُ سَفـينــا[2]
إِذا بَلَغَ الــرَّضِيــعُ لَـنَـا فِــطَامَـا تَخِـرُّ لَـهُ الجَبَـابِـرُ سَـاجِـدِينَـا[3]

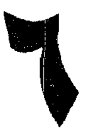
* * * * * *

(١) سام الناس خسفاً: ظلمهم وقهرهم. يقال: سام البائع السلعة يسومها سوماً إذا عرضها للبيع وذكر ثمنها. وسمْتُ فلاناً الأمر، إذا كلفته إياه. وأكثر ما يستعمل هذا في العذاب والشر، كما هنا. والخسف، الإذلال والقهر. يقال: سمته الخسف، إذا ألزمته به واردته عليه (نقر) نثبت.

(٢) ملأنا البر: أي بالجيوش والخيل (ظهر) يجوز رفعه على الابتداء وخبره جملة نملأ. ويجوز على أنه مفعول به لفعل محذوف مفسر بالفعل بعده المشتغل بضميره عنه (السفين) جمع سفينة. وتجمع أيضاً على سفائن وسُفن.

(٣) الجبابر والجبابرة: جمع جبار وهو العاتي المتمرد. والجبار من أسماء الله الحسنى. ولكنه على غير هذا المعنى بل هو على معنى يليق بذاته العلية الرحيمة، ومعناه بالنسبة إليه أنه قوي على كل شيء وبقبضته كل مخلوق واليه يرجع كل أمر. ومن ذلك قولهم: (ويل لجبار الارض من جبار السماء).





٦ عنترة بن شداد

توفي سنة (٦٠٠) أو (٦١٥) وسنة (٢٢) قبل الهجرة

هـو (عَنْتَرة بن شَـدَّاد بن عمرو بن مُعـاوية بن قُـراد العبسي) من أهل نجد وينتهي نسبه إلى مضر، قال الكلبي :

«شـداد جَـدُّه غلب على اسم أبيـه، وإنمـا هـو عنتـرة بن عمـرو بن شداد». وقال غيره «شداد عمه تَكفّله بعد مـوت أبيه ونشـأ في حُجره فنُسب إليه».

ويُلقب (عنترة) بالفَلحاء، فيقال (عنترة الفلحاء)[١].

وكانت أمه أَمَةً حبشية يقال لها (زَبيبـة) وكان لهـا أولاد عبيد من غيـر شداد، وكانوا أخوة عنترة لأمه.

وكان أبوه قد نفاه (وكان العرب في الجاهلية إذا كان لأحدهم ولد من أمَةٍ استعبده) ثم ادعاه بعد الكبر واعترف به وألحقه بنسبـه. وكانت العـرب

(١) الأفلح : المشقوق الشفة السفلى، ومؤنثه فلحاء وقد لقب عنترة بذلك لانشقاق شفته. وإنما قيل له الفلحاء بالتأنيث حملاً على تأنيث اسمه، أو على إرادة الشفة الفلحاء. وعلى الأول تكون الفلحاء نعتاً له. وعلى الثاني تكون مضافاً إليها، كما قالوا عنترة الفوارس والعنترة في الأصل واحدة العنتر وهو الذباب، وقد سمي بذلك لأنه كان كثير الجلبة والتصويت في الحرب.

تفعل ذلك: تستعبد بني الإماء، فإن أنجبوا اعترفوا بهم، وإلا بقوا عبيداً.

وكان سبب ادعاء أبيه إياه أن بعض أحياء العرب أغاروا على (بني عبس) فأصابوا منهم واستاقوا إبلاً فتبعهم (العبسيون) فلحقوهم فقاتلوهم عمّا معهم، و (عنترة) يومئذ فيهم، فقال له أبوه: «كِرَّ يا عنترة» فقال عنترة: «العبد لا يُحسن الكرَّ، إنما يُحسن الحِلاب والصَر»[1] فقال: «كرَّ وأنت حُرّ. فكرَّ، وقاتل يومئذ قتالاً حسناً فادَّعاه أبوه بعد ذلك وألحقه بنسبه.

وقيل: إن السبب في هذا أن عبساً أغاروا على طيء فأصابوا نعماً، فلما أرادوا القسمة قالوا لعنترة: لا نقسم لك نصيباً مثل أنصبائنا، لأنك عبد. فلما طال بينهم الخطب كرت عليهم طيء فاعتزلهم عنترة، وقال: «دونكم القوم، فإنكم عددهم». واستنقذت طيء الإبل، فقال له أبوه: «كر يا عنترة» فقال: «أوَ يُحسن العبد الكر؟» فقال له أبوه: «العبد غيرك» فاعترف به، فكر واستنقذ النَّعم.

وكان عنترة أحد أغرِبة العرب[2] في الجاهلية، وهم ثلاثة: (عنترة وخُفاف ابن ندبة السلمي (ونُدبة أمه) والسُّلَيْك بن سُلَكَة).

أخلاقه وشجاعته:

هو من الشعراء الفرسان. وكان شاعر بني عبس وفارسهم المشهور. وكان جريئاً شديد البطش. وكان مع شدة بطشه ليِّن الطباع، حليماً، سهل الأخلاق، لطيف الحاضرة. وكان من أشد أهل زمانه وأجودهم بما ملكت

(١) الحلاب الإناء الذي يُحلب فيه «الصرّ» أن يُشد ضرع الناقة بالصرار لئلا يرضعها ولدها. وفعله صر من باب نصر.
(٢) أغربة العرب: سودانهم.

يــداه. وكـــان سمحـــاً، أبيَّ النفس، لا يقــرُّ على ضيم ولا يغمض على قذى[1]. ولما أُنشد للنبيّ ﷺ قوله:

وَلَقَــدْ أَبِيـتُ عَلَى الـطَّوَى وَأَظَـلُّهُ   حَتَّى أَنَـالَ بِـهِ كَـرِيمَ المَـأْكَـلِ[2]

قال عليه الصلاة والسلام: «ما وُصِف لي أعرابي قط فأحببتُ أن أراه إلا عنترة».

قـال (الهيثم بن عـدي): قيـل لعنتـرة: أنت أشجــع العـرب وأشدها. قال: لا. قيل: فبماذا شاع لك هذا في الناس؟. قال: كنت أُقدِمُ إذَا رأيت الإقدام عزماً، وأُحجِمُ إذَا رأيت الإحجامَ حَزمـاً. ولا أدخل موضعاً إلاَّ أرى لي منه مخرجاً. وكنت أعتمد الضعيف الجبان فأضربه الضربة الهائلة يطير لها قلب الشجاع، فأثنِّي عليه فأقتله».

وحدَّث (عمر بن شبة) قال: قال عمر بن الخطاب للحُطَيْئَـة: «كيف كنتم في حربكم؟ قال: كنـا ألف فارس حـازم. قال: وكيف يكون ذلك؟ قال: كان (قيس بن زهير) فينا وكان حازماً فكنا لا نعصيه، وكان فارسنا (عنترة) فكنا نحمل إذا حمل ونُحجم إذا أحجم، وكان فينا (الربيع بن زياد) وكان ذا رأي فكنـا نستشيره ولا نخـالفه، وكـان فينا (عُروة بن الورد) فكنا نَأتمُّ بشعره. فكنا كما وصفتُ لك. فقال عمر: صدقت».

وقد بلغ من شجاعته أن قومه (بني عبس) غزوا (بني تميم)، وعليهم (قيس بن زهيـر)، فانهـزمت بنو عبس، وطلبتهم بنـو تميم،

(١) القذى: ما يقع في العين فيؤذيها.
(٢) الطوى: الجوع.

فوقف لهم عنترة، ولحقتهم كوكبة من الخيل، فحامى عنترة عن الناس، فلم يُصَب مدبر. وكان (قيس بن زهير) سيدهم، فساءه ما صنع (عنترة) يومئذ فقال حين رجع: «ما حمى الناس إلَّا ابن السوداء» وكان (قيس) أكولاً فبلغ (عنترة) ما قال قيس بن زهير، فقال يعرّض به:

بَكَرَتْ تُخَوِّفُنِي الحُتُوفَ كَأَنَّنِي
أَصْبَحْتُ عَنْ غَرَضِ الحُتُوفِ بِمَعْزِلِ (١)

فَأَجَبْتُهَا: إِنَّ المَنِيَّةَ مَنْهَلٌ؛ ... لَا بُدَّ أَنْ أُسْقَى بِكَأْسِ المَنْهَلِ (٢)
فَاقْنِي حَيَاءَكِ ـ لَا أَبَا لَكِ ـ واعْلَمِي ... أَنِّي امْرُؤٌ سَأَمُوتُ إِنْ لَمْ أُقْتَلِ (٣)
إِنَّ المَنِيَّةَ لَوْ تُمَثَّلُ مُثِّلَتْ ... مِثْلِي، إِذَاً نَزَلُوا بِضَنْكِ المَنْزِلِ (٤)
إِنِّي امْرُؤٌ مِنْ خَيْرِ عَبْسٍ مَنْصِباً ... شَطْرِي، وأَحْمِي سَائِرِي بِالمُنْصُلِ (٥)
وإِذَا الكَتِيبَةُ أَحْجَمَتْ وَتَلَاحَظَتْ ... أُلْفِيتُ خَيْراً مِنْ مُعَمٍّ مُخْوَلِ (٦)
وَالخَيْلُ تَعْلَمُ وَالفَوَارِسُ أَنَّنِي ... فَرَّقْتُ جَمْعَهُمُ بِضَرْبَةِ فَيْصَلِي (٧)
إِذْ لَا أُبَادِرُ فِي المَضِيقِ فَوَارِسِي، ... ولَا أُوَكَّلُ بِالرَّعِيلِ الأَوَّلِ (٨)

---

(١) بكرت: تقدمت. وبابه نصر، ومصدره البكور «الحتوف» جمع حتف وهو الموت «الغرض» الهدف الذي يُنصب ليرمى إليه.
(٢) المنية: الموت «منهل» مورد.
(٣) أقني حياءك: الزميه.
(٤) ضنك المنزل: المنزل الضيق. فإضافة الضنك إلى المنزل من أضافة الصفة للموصوف.
(٥) المنصل: السيف.
(٦) الكتيبة: القطعة من الجيش مجتمعة «احجمت» تأخرت «تلاحظت» صار يلحظ بعضها بعضاً مما نزل من الضيق «الفيت» وجدت «معم مخول» كريم الأعمام والأخوال.
(٧) الفيصل: السيف.
(٨) المضيق: ما ضاق من الأماكن والأمور «الرعيل» القطعة القليلة من الجيش. قيل كل قطعة متقدمة من خيل ورجال وطير وغير ذلك. والجمع رعال. يريد أنه لا يكون أول المنصرفين من ساحة الحرب.

إنْ يُلْحَقُوا أَكْـرُرْ، وإنْ يُسْتَلْحَمُـوا أَشْـدُدْ، وإنْ يُلْفَـوا بِضِيقٍ أَنْـزِلِ[١]
والخَيْـلُ سَاهِمَـةُ الوُجُـوهِ، كَـأَنَّمَـا تُسْقَى فَـوَارِسُهَـا نَقِيـعَ الحَنْـظَلِ[٢]
ولَقَـدْ أَبِيـتُ عَلَى الـطَّوَى وأَظَـلُّهُ حَتَّى أَنَـالَ بِـهِ كَـرِيمَ المَـأْكَـلِ[٣]

وكـان قد حضـر (حرب داحس والغبـراء)[٤] وحَسن فيها بـلاؤه وحُمدت مشاهده. وحدثت حروب بين (جَديلة) و(ثُعَل) وكان عنترة مع (جديلة) فنصرهم فانتصروا. فشكاه (الثعليون) إلى (غَطْفان).

ووقائعه كثيرة يشتبه فيها الصحيح بالموضوع.

وكان (عمرو بن معد يكرب) معاصراً لعنترة، وقد روي عنه أنه قال: «لو سرت بظعينة[٥] وحدي على مياه (مَعَدٍّ) كلهـا ما خفت أن أغلب عليها، ما لم يَلقني حُرَّاها أو عبداها. فأما الحران (فعامر بن الطفيل) و(عُتَيبة بن الحارث بن شهاب)، وأما العبدان فأسـود بني عبس (يعني عنتـرة) و(السلَيك بن سُلَكـة)، وكلهم قد لقيت، فـأما (عامر بن الطفيل) فسريع الـطعن على الصوت، وأمـا (عُتيبة) فـأول الخيل إذا أغارت وآخرها إذا آبت[٦]، وأما (عنترة) فقليل الكبوة شديد

(١) إن يستلحموا: أن يعلقوا في شباك الحرب فلم يجدوا نصيراً. يقال استُلحِمَ الرجل ـ ببناء الفعل للمجهول ـ أي وقع في مصيبة فلم يجد مخلصاً «يلفوا» يوجدوا.
(٢) ساهمة الوجوه: عابستها. يقال سهم الرجل ـ من باب قطع ـ سهوماً وسهومة، أي تغير لونه وبدنه مع هزال ويبس. ويقال: سهم وجهه، أي عبس «نقيع الحنظل» أي ماء منقوعاً بالحنظل. وهو شجر مر الثمر.
(٣) الطوى: الجوع.
(٤) تقدم الكلام على هذه الحرب في الصفحة «١٥٧» فراجعه.
(٥) الظعينة: المرأة في الهودج.
(٦) آبت: رجعت.

الجَلَب[1]، وأما (السليك) فبعيد الغارة كالليث الضاري[2].

موت عنترة:

ذكروا لموته أسباباً:

فقال (ابن حبيب) و (ابن الكلبي): «أغار (عنترة) على (بني نَبَهان) من طيء، فأطرَدَ لهم طريدة وهو شيخ كبير، فجعل يرتجز[3] وهو يطردها. وكان (وَزَر ابن جابر النبهاني) في فتوَّة فرماه وقال خذها وأنا ابن سلمى، فقطع مطاه[4]. فتحامل بالرميَّة[5] حتى أتى أهله، فقال وهو مجروح:

وإنَّ ابْنَ سَلْمَى عِنْدَهُ ـ فَاعْلَمُوا ـ دَمي ... وَهَيْهَاتَ لاَ يُرْجَى ابْنُ سَلْمَى وَلاَ دَمِي
إذَا مَا تَمَشَّى بَيْنَ أَجْيَالِ طَيِّءٍ ... مَكَانَ الثُّرَيَّا؛ لَيْسَ بِالْمُتَهَضَّمِ[6]
رَمَانِي ـ ولَمْ يَدْهَشْ ـ بِأَزْرَقَ لَهْذَمٍ، ... عَشِيَّةَ حَلُّوا بَيْنَ نَعْفٍ وَمَخْرِمِ[7]

---

(١) الكبوة: السقطة «الجلب» الصياح، واختلاط الأصوات. ومثله الجلبة.
(٢) الليث: الأسد «الضاري» الفاتك. والضواري من الحيوانات هي الأسود والذئاب والنمور ونحوها.
(٣) يرتجز: يقول شعراً من بحر الرجز.
(٤) المطا: الظهر.
(٥) الرمية: فعلية بمعنى مفعولة. والمراد بها السهم الذي أصيب به.
(٦) أجيال: جمع جيل (الثريا) سبعة كواكب في عنق الثور ـ اسم نجم ـ سميت بذلك لكثرة كواكبها مع ضيق المحل وأصل معنى الثريا: المرأة المتمولة، وهي مصغَّر ثَرواء. والمذكر أثرى (المتهضم) الذليل، والمظلوم، والمغصوب.
(٧) الأزرق: السهم (لهذم) قاطع حاد (نعف ومخرم) موضعان.

قال ابن الكلبي: وكان الذي قتله يُلقب بالأسد الرهيص[1].

وذكر (أبو عمرو الشيباني) أنه غزا (طيئاً) مع قومه، فانهزمت (عبس) فخرَّ (عنترة) عن فرسه، ولم يقدر من الكبر أن يعود فيركب، فدخل دَغَلاً[2]. وأبصره ربيئة طيء[3]، فنزل إليه، وهاب أن يأخذه أسيراً، فرماه وقتله.

وذكر أبو عبيدة أنه كان قد أسنَّ واحتاج وعجز بكبر سنه عن الغارات. وكان له على رجل من (غطفان) دين. فخرج يتقاضاه إياه. فهاجت عليه ريح من صيف، وهو بين (شرج) و(ناظرة)[4] فأصابته وقتلته. والله أعلم.

قصته:

لم يشتهر أحد من أهل الجاهلية وكثير من أهل الإسلام بين العامة والخاصة اشتهار عنترة، فلا تكاد ترى رجلاً أو امرأة أو صبياً أو صبية، عالماً أو جاهلاً، فقيراً أو غنياً، إلا وهو يعرف اسمه أو يسمع شيئاً عنه. وسبب اشتهاره قصته المشهورة التي لم يَعِبْ أحد سماعها. والقصة عبارة عن رواية تاريخية وُضعت بعد صدر الإسلام، ولم يُعرف واضعها، غير أنهم ينسبونها إلى (الأصمعي) - في أوائل القرن الثالث

(١) الأسد الرهيص: أصل معناه الأسد الذي لا يبرح من مكانه فكأنما هو رهيص، أي حائط مبني.

(٢) الدغل: الشجر الكثير الملتف. ومن معانيه كل ما دخل في الأمر فأفسده.

(٣) أي طليعتهم. وربيئة الجيش: طليعته وجمعها: ربايا.

(٤) شرج وناظرة: موضعان.

للهجرة ـ لأنه قد ورد اسمه فيها رواية عنه. وأكثر ما ورد عنه إنما هو من قبيل الروايات الخيالية وكثيراً ما تُنسب وقائع جرت لغيره له. لذلك قد التبس الصحيح منها بالموضوع. غير أن بعضها صحيح لأنه يُقوّيه ما ورد في كتب التاريخ والأدب. والقصة لم تؤلف دفعة واحدة على ما يظهر، وإنما وضعت شيئاً فشيئاً حتى بلغت ما هي عليه الآن. وقد جُمعت بمصر في أواخر القرن الرابع الهجري في زمن الخليفة الفاطمي (العزيز بالله). وقد رووا في سبب جمعها وتدوينها أن رجلاً يقال له (الشيخ يوسف بن إسماعيل) كان له اتصال بباب (العزيز بالله). فاتفق أن حدثت ريبة في دار العزيز فلهج بها الناس، فساء العزيزَ ذلك، فأشار على (الشيخ يوسف) هذا أن يضع للناس ما يلهيهم عما حدث، وكان (الشيخ يوسف) كثير الرواية لأخبار العرب واسع التحديث بها كثير النوادر، وهو يروي روايات كثيرة عن (أبي عبيدة) و (نجد بن هشام) و (جُهَينة الأخبار) و (الأصمعي) وغيرهم من الرواة المشهورين. فجمع شتات هذه القصة وزاد فيها كثيراً من أخبار العرب ووقائعهم، وأسند روايتهاإلى الأصمعي، ووزعها على الناس فأعجبوا بها حتى شغلتهم عن ذلك. وقد قسمها إلى اثنين وسبعين كتاباً، وكان يقطع الكلام حيث يشوق القارىء إلى ما بعده، فيضطر إلى البحث عن الكتاب التالي. فإذا وقف عليه انتهى به إلى مثل ما انتهى في الأول، وهكذا حتى يحدوه الشوق إلى إتمام القصة.

* * * * * *

الكلام على شعره:

كان (عنترة) شاعراً مجيداً فصيح الألفاظ، بَيِّن المعاني نبيلَها. كان كأنما الحماسة أنزلت عليه آياتها. وكان رقيق الشعر، لا يؤخذ مأخذ الجاهلية في ضخامة الألفاظ وخشونة المعاني. وكان يهوى ابنة عمه (عبلة بنت مالك بن قُراد)، فهاجت شاعريته لذلك، وكان كثيراً ما يذكرها في شعره، وكان أبوها يمنعه من زواجه بها، فهام بها حتى اشتدَّ وجده، وقيل: إنه قد تزوجها بعد جهد وعناء. ومن رقيق شعره فيها:

يا عَبْلَ لا أَخْشى الحِمَامَ وإنَّما ... أَخْشى عَلَى عَيْنَيْكِ وَقْتَ بُكَاكِ[1]

وله شعر سار مسير الركبان. ومن جيد شعره قوله:

بَكَرَتْ تُخَوِّفُني كَأَنَّني ... أَصْبَحْتُ عَنْ غَرَضِ الحُتُوفِ بِمَعْزِلِ

إلى آخر القصيدة التي ذكرناها قبل هذا الفصل.

وقوله يفتخر بأخواله السودان:

إنِّي لَتُعْرَفُ فِي الحُرُوبِ مَوَاقِفِي، ... مِنْ آلِ عَبْسٍ مَنْصِبِي وفَعَالِي[2]
مِنْهُمْ أَبِي شَدَّادُ أَكْرَمُ وَالِدٍ ... والأُمُّ مِنْ حَامٍ، فَهُم أَخْوالي[3]

ومن إفراطه في الحماسة قوله:

---

(١) الحمام: الموت.
(٢) الفعال، بفتح الفاء: المحمود من الأعمال والأخلاق.
(٣) من حام: يريد أنها سوداء، لأن بني حام هم السودان.

وأَنَـا المَنِيَّـةُ فِي المَـوَاطِنِ كُلِّهـا، والـطَّعْـنُ مِنِّي سـابِقُ الآجَـالِ

ومن تشابيهه قوله يصف النجوم:

أُراعي نُجُـومَ اللَّيْلِ، وهِيَ كَـأَنَّهَـا قَـوَارِيـرُ، فِيهـا زِئْبَقٌ يَتَـرَجْـرَجُ[1]

وقوله يصف روضة:

وخَـلاَ الـذُّبَـابُ بِهَـا فَلَيْسَ بِبَـارِحٍ غَرِداً، كَفِعْلِ الشَّـارِبِ المُتَرَنِّمِ[2]
هَـزِجـاً يَحُـكُّ ذِرَاعَـهُ بِـذِرَاعِـهِ، قَدْحَ المُكِبِّ عَلَىٰ الزِّنَادِ الأَجْذَمِ[3]

ومما ينسب إليه وليس له:

أُحِبُّـكَ يَـا ظَلُومُ، فَـأَنْتَ عِنْـدِي مَكَـانَ الـرُّوحِ مِنْ جَسَـدِ الجَبَـانِ
ولَـوْ أَنِّـي أَقُـولُ مَـكَـانَ رُوحِـي خَشِيتُ عَلَيْـكِ بَـادِرَةَ الـطِّعَـانِ

وكان (عنترة) قبل أن يدَّعِيه أبوه شكته امرأة أبيه. قالت: «إنه يُراودني عن نفسي». فغضب أبوه من ذلك غضباً شديداً، وضربه ضرباً مُبْرّحاً[4]، وضربه بالسيف. فوقعت عليه امرأة أبيه، وكفَّته عنه. فلما رأت ما به من الجراح بكت. وكان اسمها (سُمَيَّة)[5] فقال (عنترة):

---

(١) قوارير: جمع قارورة، وهي القنينة.
(٢) ليس ببارح: ليس بزائل (غرداً) مصوتاً (المترنم) الذي يطرب نفسه دون أن يرفع صوته.
(٣) هزجاً: مصوتاً. والهزَج: الترنم والتطريب مع تدا،ُ الصوت وتقاربه. والهـزج أيضاً: صوت الذُّبان (يحك ذراعه بذراعه) يُمر أحداهما على الأخرى كما يفعل من يحك حجر القدح (قدح) منصوب على المفعولية المطلقة (المكب) يقال أكب فلان على عمله أي انكب عليه وأقبل (الزناد) الحجر الذي يقدح به لتكون النار (الأجذم) المقطوع اليد وهو صفة للمكب. وإنما وصف المكب بأنه مقطوع اليد لأن حركته عند الاستقداح تكـون أعظم.
(٤) أي شديداً مؤذياً.
(٥) السمية في الأصل هي مصغّر السماء.

أَمِنْ (سُمَيَّةَ) دَمْعُ العَيْـنِ مَذْرُوفُ؟، لَـوْ أَنَّ فِيكَ قَبْـلَ اليَـوْمِ مَعْـرُوفُ[1]
كَـأَنَّهَا ـ يَـوْمَ صَدَرَتْ مَـا تُكَلِّمُنِي ـ
ظَبْيٌ بِعُسْفَانَ، سَاجِي العَيْنِ، مَطْرُوفُ[2]
تَجَلَّلَتْنِـي ـ إِذْ أَهْوَى العَصَـا قَبْلِي ـ كَـأَنَّهَـا صَنَمٌ يُعْتَـادُ، مَعْكُـوفُ[3]
أَلْعَبْـدُ عَبْـدُكُمُ وَالمَـالُ مَـالُكُمُ فَهَلْ عَذَابُكَ عَنِّي اليَوْمَ مَصْـرُوفُ؟
تَنْسَى بَـلاَئِي إِذَا مَـا غَـارَةٌ لَحِقَتْ، تَخْرُجُ مِنْهَا الطُّوالاتُ السَّراعِيفُ[4]
يَخْـرُجْنَ مِنْهَا ـ وَقَـدْ بُلَّتْ رَحَائِلُهَـا بِالماءِ ـ يَقْدُمُهَا الشُّمُّ الغَـطَارِيفُ[5]

ومن جيد ما ينسب إليه قوله:

سَيَـذْكُرُنِي قَـوْمِي إِذَا الخَيْلُ أَقْبَلَتْ وَفِي اللَّيْلَةِ الـظَّلْمَـاءِ يُفْتَقَـدُ البَـدْرُ
يَعِيبُـونَ لَـوْنِي بِـالسَّـوَادِ جَهَـالَـةً ولَـوْلاَ سَوَادُ اللَّيْـلِ مَـا طَلَعَ الفَجْـرُ
وإِنْ كَـانَ لَـوْنِي أَسْـوَداً فَفَعَـائِلِي بَيَاضٌ، وَمِنْ كَفَّيَّ يُسْتَنْزَلُ القَـطْرُ[6]

---

(١) مذروف: مصبوب.

(٢) الظبي: الغزال (عسفان) اسم لمكان (ساجي العين) ساكنها وهادئها، أو أسودها (مطروف) قد طُرفت عينه. يقال طُرفت عين فلان أي أصيبت بشيء فدمعت. شبه الطرف المتكسر الأهداب ـ وذلك ممدوح عندهم ـ بالمطروف.

(٣) تجللتني: غمرتني وأحاطت بي (معكوف) أي معكوف عليه. يقال عكف على الشيء أي لازمه.

(٤) الطوّالات الخيل الطوالات: أي الطوال وهي جمع طُوالة وطُوال ـ بضم الطاء ـ بمعنى الطويل والطويلة (السراعيف) الخيل الطويلة. ومفردها للمذكر سُرعوف وللمؤنث سُرعوفة.

(٥) رحائلها: سروجها. وهي جمع رحالة. والرحالة، السرج من جلود لا خشب فيه يتُخذ للركض الشديد (الماء) أراد به العرق (يقدمها) يتقدم عليها ويسبقها. وهو من باب نصر (الشم) جمع أشم وهو الأبي الممتنع الحمي الأنف (الغطاريف) جمع غِطريف وهو السيد.

(٦) القطر: المطر. وأراد به الندى والكرم.

وقوله:

لَقَدْ وَجَدْنَا زَبِيداً غَيْرَ صَابِرَةٍ ... يَوْمَ التَقَيْنا، وخَيْلُ المَوْتِ تَستَبِقُ
إِذْ أَدْبَرُوا، فَعَمِلْنَا فِي ظُهُورِهِمُ ... مَا تَعْمَلُ النَّارُ فِي الحَلْفى فَتَحْتَرِقُ(١)
خُلِقْتُ لِلْحَرْبِ أَحْمِيهَا إِذَا بَرَدَتْ، ... وأَصْطَلِي بِلَظَاهَا حَيْثُ أَخْتَرِقُ(٢)
وأَلْتَقِي الطَّعْنَ تَحْتَ النَّقْعِ مُبْتَسِماً ... والخَيْلُ عَابِسَةٌ قَدْ بَلَّهَا العَرَقُ(٣)
لَوْ سَابَقَتْنِي المَنَايَا وَهِيَ طَالِبَةٌ ... قَبْضَ النُّفُوسِ أَتَانِي قَبْلَهَا السَّبَقُ
أَنَا الهِزَبْرُ إِذَا خَيْلُ العِدى طَلَعَتْ ... يَوْمَ الوَغَى، ودِمَاءُ الشُّوسِ تَنْدَفِقُ(٤)
مَا عَبَّسَتْ حَوْمَةُ الهَيْجَاءِ وَجْهَ فَتًى، ... إِلَّا وَوَجْهِي إِلَيْهَا بَاسِمٌ طَلِقُ(٥)

وقوله:

قِفْ بِالمَنَازِلِ إِنْ شَجَتْكَ رُبُوعُهَا، ... فَلَعَلَّ عَيْنَكَ تَسْتَهِلُّ دُمُوعُهَا(٦)
وَاسْأَلْ عَنِ الأَظْعَانِ: أَيْنَ سَرَتْ بِهَا ... آباؤُهَا؟، ومَتَى يَكُونُ رُجُوعُهَا؟(٧)
دَارُ لِعَبْلَةَ شَطَّ عَنْكَ مَزَارُهَا، ... وَنَأَتْ، فَفَارَقَ مُقْلَتَيْكَ هُجُوعُهَا(٨)
فَسَقَتْكِ يَا أَرْضَ الشُّرَبَّةِ مُزْنَةٌ ... مُنْهَلَّةٌ، يُرْوِي ثَرَاكِ هُمُوعُهَا(٩)

---

(١) الحلفى: نوع من الشجر
(٢) أصطلي: أستدفىء «اللظى» النار «اخترق» أي أحرق جمع الأعداء.
(٣) النقع: الغبار.
(٤) الهزبر: الأسد «الوغى» الحرب «الشوس» جمع أشوس وهو الشجاع الجريء على القتال الشديد. والأشوس أيضاً. من ينظر بمؤخر عينيه تكبراً أو تغيظاً.
(٥) الحومة: موضع القتال «الهيجاء» الحرب.
(٦) شجتك: احزنتك «الربوع» الديار. ومفردها ربع «تستهل» تسيل.
(٧) الأظعان: النساء اللاتي في الهوادج.
(٨) شط: بعد «المزار» مكان الزيارة «نأت» بعدت «مقلتيك» عينيك «هجوعها» نومها.
(٩) المزنة: السحابة والمطرة «منهلة» سائلة منصبة «الثرى» التراب «هموعها» انصبابها ونزولها.

وَكَسَا الـرَّبِيـعُ رُبَـاكِ مِنْ أَزْهَـارِهِ   حُلَلاً، إِذَا مَا الأَرْضُ فَاحَ رَبِيعُهَـا(١)
يَـا عَبْلَ لاَ تَخْشَيْ عَلَيَّ منَ العِـدَى   يَوْماً؛ إذا اجْتَمَعَتْ عَلَيَّ جُمُوعُهَا:
إِنَّ الـمَنِيَّـةَ يَـا عُـبَيْـلَةُ دَوْحَـةٌ،   وأَنَـا وَرُمْحِي أَصْلُهَـا وفُـرُوعهـا(٢)

وقوله:

سَلُوا صَرْفَ هَذَا الدَّهْرِ كَمْ شَنَّ غَارَةً،   فَفَرَّجْتُهَا ـ وَالمَـوْتُ فِيهَا مُشَمِّـرُ ـ(٣)
بِصَـارِمِ عَـزْمٍ لَـوْ ضَـرَبْتُ بِحَـدِّهِ   دُجَى اللَّيْلِ وَلَّى وَهْوَ بِالنَّجْمِ يَعْثُرُ(٤)

وقوله (وكان قد أُخذ أسيراً في حرب بين العرب والعجم، وكانت عبلة في جملة السبايا):

لَهْفي عَلَيْـكِ إِذَا بَـقِيـتِ سَبِيَّـةً،   تَـدْعِينَ عَنْتَـرَ وَهُـوَ عَنْـكِ بَعِيـدُ
ولَقَـدْ لَقِيتُ الفُرْسَ يَـا ابْنَةَ مَـالِكٍ،   وَجُيُـوشُهَا قَـدْ ضَـاقَ عَنْهَـا البِيـدُ(٥)
وَتَمُـوجُ مَـوْجَ البَحْـرِ، إِلاَّ أَنَّهَـا   لاَقَـتْ أُسُـوداً فَـوْقَهُـنَّ حَـدِيـدُ

---

(١) الربى: جمع ربوة وهي المرتفع من الأرض. ومثلها الرابية «الأزهار» جمع زهر. ويغلط من يجمعه على زهور «الحلل» جمع حلة وهي الثوب الساتر لجميع البدن، أو هي اللبوس لا يكون إلا من ثوبين «الربيع» الفصل المعروف وأراد به هنا ما ينبت فيه من الأزهار ذات الرائحة الذكية.

(٢) الدوحة: الشجرة العظيمة.

(٣) صرف الدهر: نائبته ومصيبته. وجمعه صروف «شن الغارة» صبها من كل جهة «مشمر» قد شمر عن ساعديه وساقيه مستعداً لقبض الأرواح.

(٤) الصارم: السيف القاطع «دجى الليل» ظلمته «النجم» الثريا. وهي مجموعة في السماء معروفة. وحيثما أُطلق النجم فالمراد به الثريا. وأراد بالنجم هنا واحد النجوم على ما يظهر.

(٥) البيد: جمع بيداء وهي القفر المهلك.

جَـارُوا، فحَكَّمَنَـا الصَّوارِمَ بَيْنَنَـا، فَقَضَتْ، وأَطْرَافُ الرِّمَـاحِ شُهُودُ[1]
يَـا عَبْـلَ كَمْ مِنْ جَحْفَـلٍ فَـرَّقْتُـهُ، والجَـوُّ أَسْـوَدُ، والجِبَـالُ تَمِيـدُ[2]
فَسَـطَا عَلَيَّ الـدَّهْـرُ سِـطْوَةَ غَـادِرٍ والـدَّهْـرُ يَبْخَـلُ تَـارَةً، وَيَجُـودُ

وقوله يخاطب امرأة من بجيلة كانت تلومه في فرس كان مولعاً به (وهذا الشعر من الثابت له):

لَا تَـذْكُـرِي فَـرَسِي وَمَـا أَطْعَمْتُـهُ، فَيَكُـونَ جِلدكِ مِثْـلَ جِلْدِ الأَجْـرَبِ
إِنَّ الـرِّجَـالَ لَهُمْ إِلَيْـكِ وَسِيلَةٌ: إِنْ يَـأْخُـذُوكِ تَكَحَّلِي وتَخَضَّبي[3]
وأَنَـا امْـرُؤٌ، إِنْ يَـأْخُـذُونِي عَنْـوَةً أُقْـرَنْ إِلـى قِدِّ الـرِّكَـابِ وأُجْنَبِ[4]
وَيَكُـونُ مَـرْكَبُـكِ القَعُـودَ ورَحْلَهُ وابْنُ النَّعَـامَةِ عِنْدَ ذَلِـكَ مَـرْكَبِي[5]

وقوله يتوعد (النعمان بن المنذر) ملك العرب ويفتخر بقومه:

لَا يَحْمِلُ الحِقْدَ مَنْ تَعْلُو بِهِ الرُّتَبُ، وَلَا يَنَـالُ العُـلَا مَنْ طَبْعُـهُ الغَضَبُ
قَدْ كُنْتُ فِيمَا مَضَى أَرْعَى جِمَالَهُمُ، واليَوْمَ أَحْمِي حِمَاهُمُ كُلَّمَـا نُكِبُوا[6]
للهِ دَرُّ بَـنِي عَـبْسٍ: لَـقَـدْ نَـسَـلُوا مِنَ الأَكَارِمِ مَا قَـدْ تَنْسُلُ العَرَبُ[7]

---

(١) جاروا: ظلموا (الصوارم) السيوف القواطع (قضت) حكمت بيننا فيما حكّمناها فيه.
(٢) الجحفل: الجيش العظيم (تميد) تضطرب وتتحرك من هول ما ترى من الشدة.
(٣) وسيلة: حاجة. وجمعها وسائل (تخضبي) تُزيِّن أطراف يديك بالخضاب، وهو ما يُصبغ به من حناء ونحوها.
(٤) عنوة: قوة وقهراً (أقرن) أُشدّ. يقال: قرن الشيء بالشيء إذا شده به ووصله إليه (القد) قيد من جلد يقيد به الأسير (أُجنب) أدفع وأطرد. يقال: جنبه وأجنبه إذا دفعه ونحّاه.
(٥) القعود: الجمل الذي يتخذ ليستخدم في كل حاجة. وجمعه أقعدة وقُعُد وقعدان (الرحل) هو للجمل كالسرج للفرس (ابن النعامة) هو القيد.
(٦) نُكبوا: أصيبوا بنكبة ومصيبة.
(٧) الدَّر: اللبن. يقال: لله در فلان، والمعنى التعجب من حسن فعله أو خلقه (تنسل) تلد. وبابه نصر.

لَئِنْ يَعِيبُوا سَوَادِي فَهْوَ لِي نَسَبٌ ... يَوْمَ النِّزَالِ، إِذَا مَا فَاتَنِي النَّسَبُ[1]
إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ يَا نُعْمَانُ أَنَّ يَدِي ... قَصِيرَةٌ عَنْكَ، فَالأَيَّامُ تَنْقَلِبُ
إِنَّ الأَفَاعِي ـ وإِنْ لاَنَتْ مَلاَمِسُهَا ـ ... عِنْدَ التَّقَلُّبِ فِي أَنْيَابِهَا العَطَبُ[2]
والخَيْلُ تَشْهَدُ لِي أَنِّي أُكَفْكِفُهَا، ... والطَّعْنُ مِثْلَ شِرَارِ النَّارِ يَلْتَهِبُ[3]
إِذَا التَقَيْتُ الأَعَادِي يَوْمَ مَعْرَكَةٍ، ... تَرَكْتُ جَمْعَهُمُ المَغْرُورَ يُنْتَهَبُ:
لِيَ النُّفُوسُ، ولِلطَّيْرِ اللُّحُومُ، ـ ... ـ ولِلْوَحْشِ العِظَامُ، ولِلْخَيَّالَةِ السَّلَبُ[4]

وهذا الشعر لو ثبت له لكان له الفخر أبد الدهر.

* * * * *

(١) النزال: منازلة الأعداء في الحرب.
(٢) الأفاعي: جمع أفعى وهي الحية العظيمة. ومذكرها أفعوان.
(٣) أكفكفها: أصدها وأدفعها.
(٤) السلب: ما يُسلب ويُنهب.

معلقته وسبب نظمها:

معلقته هي الشعر الثابت له بلا اختلاف. أما غيرها فمنها ما هو ثابت له، ومنها ما هو مختلف فيه، ومنها ما ليس له قطعاً. كأكثر ما في ديوانه المشهور.

وسبب نظمها ما حكوا من أنه جلس يوماً في مجلس (بعد ما كان قد أبلى وحسنت وقائعه واعترف به أبوه وأعتقه) فسابَّه رجل من (بني عبس(وعاب عليه سوادَ أمه وإخوته وأنه لا يقول الشعر. فسبه -(عنترة) وفخر عليه وقال له:

«وَالله إنَّ النَّـاسَ لَيَتَرَافَـدُونَ لِلْطُّعْمَةِ(١)، فَمَـا حَضَرْتَ أَنْتَ وَلاَ أُبوكَ وَلاَ جَدُّكَ مَرَافِدَ(٢) النَّاسِ قَطُّ وإنَّ النَّاسَ لَيُـدْعَوْنَ فِي الغَـارَاتِ فَيُعْرَفُونَ بِتَسْوِيمِهِمْ(٣)، فَمَا رَأَيْتُكَ في خَيْلٍ مُغِيرَةٍ فِي أَوَائِلِ النَّـاسِ قَطُّ. وإِنَّ اللَّبْسَ(٤) لَيَكُونُ بَيْنَنَا فَمَا حَضَرْتَ أَنْتَ وَلاَ أَبُـوكَ وَلاَ جَدُّكَ خُطَّةَ فَصْلٍ(٥). وَإِنَّمَا أَنْتَ فَقْعٌ بِقَرْقَرٍ(٦). وإِنِّي لأَحْتَضِرُ البَأْسَ، وَأُوافي

---

(١) يترافدون: يتعاونون (الطعمة) الدعوة إلى الطعام وجمعها طُعَم.

(٢) مرافد الناس: مجامعهم للرفد وهو العطاء والمعونة.

(٣) التسويم: الإغارة. يقال: سوَّم على القوم، أي أغار عليهم فعاث فيهم.

(٤) اللبس: الحيرة والتباس الأمور واختلاطها.

(٥) خطة الفصل: طريقة أو أمراً يكون فيه فصل الأُمور وإزالة التباسها. والخطة - بضم الخاء - هي الأمر والطريقة.

(٦) الفقع: البيضاء الرخوة من الكمأة «القرقر والقرقرة» الأرض المنخفضة. وقولهم: «هو أذل من فقع بقرقر أو قرقرة» هو مَثل يضرب للذليل المهان. أي هو أذل وأهون من كمأة في أرض منخفضة، لأنها لا تمتنع على من يجتنيها، أو لأنها تداس بالأرجل.

المَغْنَمَ، وأَعِفُّ عِنْدَ المَسْأَلَةِ، وأَجُودُ بِمَا مَلَكَتْ يَدِي، وأَفْصِلُ الخُطَّةَ الصَّمَّاءَ[1]. وَأَمَّا الشِّعْرُ فَسَتَعْلَمُ».

فكان أول ما قال معلقته. وكان قبل ذلك ينظم البيت والبيتين.

وقد استهل معلقته بالغرام وشكوى البعد وغير ذلك من أنواع النسيب. ثم تخلص إلى الفخر والحماسة وذكر وقائعه ومشاهده.

* * * * * *

(١) الخطة الصماء: الأمر الصعب الحل. شبهها بالصخرة الصماء.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

نخبة من معلقته

هَلْ غَادَرَ الشُّعَـرَاءُ مِنْ مُتَرَدَّمِ ؟، أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ ؟[1]
يَـا دَارَ عَبْلَةَ بِـالجِـوَاءِ، تَكَلَّمِي وعَمِي صَبَاحاً دَارَ عَبْلَةَ وَاسْلَمِي[2]
فَـوَقَفْتُ فيهـا نَـاقَتِي ـ وَكَـأَنَّهَـا فَدَنٌ ـ لأَقْضِي حَاجَـةَ المُتَلَوِّمِ[3]
حُيِّيتَ مِنْ طَلَلٍ تَقَـادَمَ عَهْـدُهُ أَقْـوَى وأَقْفَـرَ بَعْـدَ أُمِّ الهَيْثَمِ[4]
ولَقَـدْ نَزَلْتِ ـ فَـلاَ تَظُنِّي غَيْـرَهُ ـ مِنِّي بِمَنْـزِلَـةِ المُحِبِّ المُكْـرَمِ
إِنْ تُغْـدِفِي دُونِي القِنَاعَ فَـإِنَّنِي طَبٌّ بِأَخْذِ الفَارِسِ المُسْتَلْئِمِ[5]
أَثْني عَلَيَّ بِمَـا عَلِمْتِ، فَـإِنَّنِي سَمْحٌ مُخَالَطَتِي، إِذَا لَمْ أُظْلَمِ[6]

---

(١) غادر: ترك (المتردم) المرقع. أي هل ترك الشعراء شيئاً يحتاج إلى الرقع فلم يرقعوه. أراد أنهم لم يتركوا شيئاً من فنون الشعر إلا قالوه ولم يدعوا مذهباً إلا ذهبوه فلم يتركوا له شيئاً ليقوله (التوهم) التفرس والتخيل والتمثل. ويأتي بمعنى الظن وليس مراداً هنا.

(٢) الجواء: مكان بنجد.

(٣) الفدن: القصر (المتلوم) المنتظر. يقال، تلوَّم في الأمر أي تمكّث فيه وانتظر. والمتلوم في غير هذا المقام يكون بمعنى المتكلف اللوم.

(٤) الطلل: الشاخص من آثار الديار (أقوى) خلا من سكانه. ومثله اقفر (ام الهيثم) امرأة.

(٥) تغدفي: ترخي وترسلي (القناع) ما تغطي به المرأة وجهها (طب) حاذق خبير (المستلئم) اللابس اللأمة وهي الدرع. يقال منه، استلأم، أي لبس اللامة.

(٦) سمح: سهل لين.

فَـإِذَا ظُلِمْتُ فَإِنَّ ظُلْمِيَ بَـاسِلٌ، مُـرٌّ مَـذَاقَتُـهُ، كَـطَعْمِ العَلْقَمِ[1]
ولَقَدْ شَرِبْتُ مِنَ المُدَامَةِ (بَعْدَمَا رَكَدَ الهَوَاجِرُ، بِالمَشُوفِ المُعْلَمِ)[2]
بِـزُجَـاجَـةٍ صَفْـرَاءَ ذَاتِ أَسِـرَّةٍ، قُرِنَتْ بِأَزْهَرَ فِي الشِّمَالِ مُفَدَّمِ[3]
فَـإِذَا شَـرِبْتُ فَـإِنَّنِي مُسْتَهْلِكٌ مَالِي، وَعِرْضِي وافِرٌ، لَمْ يُكْلَمِ[4]
وإِذَا صَحَوْتُ فَمَا أُقَصِّرُ عَنْ نَدًى، وَكَمَا عَلِمْتِ شَمَائِلِي وَتَكَـرُّمِي[5]

---

(١) باسل: كريه. ولذلك يوصف الشجاع بالبسالة لأنه يكون كريه اللقاء تهابه الأعداء (العلقم) الحنظل الذي أدركت مرارته.

(٢) المدامة: الخمر «ركد الهواجر» أي سكنت هواجر الشمس. والهاجرة، وقت اشتداد الحر «المشوف المعلم» هو الدينار المجلو الذي له علامة. يقال، شاف الشيء أي جلاه والمعنى، شربت الخمر التي اشتريتها بهذا الدينار بعد أن سكنت هواجر الحر. فالجار في قوله بالمشوف متعلق بمحذوف معلوم من المقام. والتقدير، شربتها وقد اشتريتها بالمشوف المعلم. وقد يكون أراد: شربتها وقد ركدت الهواجر بالجمال بمعنى منعتها عن السير فأسكنتها، لأنهم كانوا لا يسيرون عند الهاجرة. فتكون الباء للتعدية ومتعلقها ركد. والمشوف يكون بمعنى الجمل المطلي بالقطران. يقال، شاف الجمل بالقطران أي طلاه به. والمعنيان جائزان.

(٣) بزجاجة: الجار متعلق بشربت «ذات أسرة» أي ذات خطوط وطرائق. ويقال للخطوط التي في باطن الكف وللتجعدات الذي في الجبين أسرَّة. ومفردها سرار. ويقال لها الأسرار أيضاً. ومفرد الأسرار سِرٌّ وسَرَرٌ وسُرُرٌ. وقيل: الغالب أن يقال لخطوط الجبهة أسرَّة، ولخطوط الكف أسرار «قرنت بأزهر» أي جعلت مع ابريق أزهر أي أبيض. يقال: زهر السراجِ والوجه والقمر زهوراً ـ من باب قطع ـ أي تلألأ وصفاً لونه وأضاء. وزهر الرجل زُهورةً ـ من باب حَسُن ـ إذا كان ذا زهرة أي بياض وحُسن وتلألؤ. ـ فائدة ـ الأميانط الذي يستعملونه لأزهار الضوء وجعله أبيض صافياً يجوز أن نطلق عليه اسم «المزهرة أو المزهر» وذلك خير من استعمال تلك اللفظة الإفرنجية ويكون معنى المزهرة: ذلك الشيء الذي يجعل الضوء أبيض زاهراً «في الشمال» في جهة الشمال «مفدم» عليه الفدام وهو المصفاة التي توضع على فم الأبريق ونحوه ليصفى بها ما فيه.

(٤) العرض: موضع المدح والذم من الرجل، وما يجب عليه الدفاع عنه. ولذلك يقال للنساء عرض «وافر» تام «لم يكلم» لم ينله أحد بذم. وأصل معناه: لم يجرح.

(٥) الشمائل: الأخلاق. ومفردها شِمال.

وَحَلِيلِ غَانِيَةٍ تَرَكْتُ مُجَدَّلاً، تَمْكُو فَرِيصَتُهُ كَشِدْقِ الأَعْلَمِ(١)
سَبقَتْ يَدَايَ لَهُ بِعَاجِلِ طَعْنَةٍ، وَرِشَاشِ نَافِذَةٍ كَلَوْنِ العَنْدَمِ(٢)
هَلَّا سَأَلْتِ الخَيْلَ يَا ابْنَةَ مَالِكٍ، إِنْ كُنْتِ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِي(٣)
(إِذْ لا أَزَالُ عَلَى رِحَالَةِ سَابحٍ نَهْدٍ، تَعَاوَرَهُ الكُمَاةُ مُكَلَّمِ(٤)
طَوْراً يُجَرَّدُ لِلطِّعَانِ، وتَارَةً يَأْوِي إِلَى حَصْدِ القِسِيِّ، عَرَمْرَمِ)(٥)
يُخْبِرْكِ مَنْ شَهِدَ الوَقِيعَةَ أَنَّنِي أَغْشَى الوَغَى، وأَعِفُّ عِنْدَ المَغْنَمِ(٦)
ومُدَجَّجٍ (كَرِهَ الكُمَاةُ نِزَالَهُ لاَ مُمْعِنٍ هَرَباً وَلاَ مُسْتَسْلِمِ)(٧)

---

(١) الحليل: الزوج «الغانية» المستغنية بزوجها. والشابة المستغنية بحسنها عن الزينة. والمعنى الأول هو المراد «مجدَّلاً» مصروعاً مطروحاً على الجدالة. وهي الأرض «تمكو» تصفر. والمكاء الصفير «الفريصة» لحمة بين الجنب والكتف أو بين الثدي والكتف تُرْعَد وتضطرب عند الفزع «الأعلم» الجمل. وكل مشقوق الشفة العليا فهو أعلم. وكل جمل أعلم ـ شبه صوت انصباب الدم من الفريصة بصوت نفس الجمل من شدقه.

(٢) الرشاش: ما تطاير وتفرق من الماء ونحوه. وأراد به ما تطاير من الدم «نافذة» أي طعنة نافذة إلى الجوف «العندم» صِبغ أحمر.

(٣) هلاَّ سألت الخيل، أي عن وقائعي ومشاهدي. وقوله فيما بعد يخبرك بمنزلة الجواب للسؤال.

(٤) الرحالة: السرج من جلود لا خشب فيه يتخذ للركض الشديد «سابح» فرس سابح شديد الجري «النهد» الفرس الحسن الجميل المشرف. ومن معانيه الأسد، والكريم يُنهد إليه في معالي الأمور «تعاوره الكماة» أتوه واحداً بعد آخر. والكماة: الشجعان ومفرده كميّ «مكلّم» مجرَّح من كثرة ما أصابه من الطعن.

(٥) إلى حصد القسي، أي إلى جيش حصد القسي، أي قويها أو كثيرها. يقال: حصد الحبل ـ من باب علم ـ إذا كان محكم الفتل قوياً. فهو حَصِدٌ «العرمرم» الكثير.

(٦) الوقيعة: وقعة الحرب «أغشى الوغى» اجيئها. والوغى: الحرب.

(٧) المدجج: المستتر بسلاحه «نزالة» منازلته ومصادمته «لا ممعن هرباً» أي لا يترك القتال هرباً منه. يقال أمعن الفرس، أي تباعد في سيره. ونصب هرباً على أنه مفعول لأجله «ولا مستسلم» لا يستسلم فيؤسر وإنما يثبت على القتال.

جَـادَتْ لَهُ كَفِّي بِعَـاجِـلِ طَعْنَـةٍ بِمُثَقَّفٍ، صَدْقِ الكُعُوبِ، مُقَوَّمِ (١)
فَشَكَكْتُ بِالرُّمْحِ الأَصَمِّ ثِيَابَـهُ، (لَيْسَ الكَرِيمُ عَلَى القَنَا بِمُحَرَّمِ)(٢)
فَتَـرَكْتُـهُ جَـزَرَ السِّبَـاعِ يَنُشْنَـهُ، يَقْضُمْنَ حُسْنَ بَنَانِهِ وَالمِعْصَمِ (٣)
نُبِّئْـتُ عَمْـراً غَيْرَ شَـاكِرِ نِعْمَتِي وَالكُفْـرُ مَخْبَثَـةٌ لِنَفْسِ المُنْعِمِ (٤)
وَلَقَدْ حَفِظْتُ وَصَاةَ عَمِّي بِالضُّحَى؛
إِذْ تَقْلِصُ الشَّفَتَانِ عَنْ وَضَحِ الفَمِ (٥)
فِي حَوْمَةِ الحَرْبِ الَّتِي لَا تَشْتَكِي غَمْرَاتِهَا الأَبْطَالُ، غَيْرَ تَغَمْغُمِ (٦)
إِذْ يَتَّقُـونَ بِيَ الأَسِنَّـةَ؛ لَمْ أَخِمْ عَنْهَـا، وَلَكِنِّي تَضَايَقَ مُقْـدَمِي (٧)

---

(١) بمثقف: برمح مثقف أي مقوَّم مُصلح (صدق الكعوب) صلبها مستويها. والكعوب: عُقَدَ الأنانيْب.

(٢) الأصم: الصلب المتين (ثيابه) أي ما تحت ثيابه. وذكر الثياب وأراد ما تحتها مجاز لأن الثياب تضم الجسم (القنا) الرماح ومفردها قناة.

(٣) الجزر: الشاة المذبوحة. والمعنى تركته فريسة للسباع (ينشنه) يتناولنه (القضم) الأكل أو الكسر بأطراف الأسنان (البنان) الأصابع أو أطرافها ومفردها بنانة (المعصم) موضع السوار من الساعد.

(٤) مخبثة: مفسدة. يقول: إن كفران النعمة يفسد نفس المنعِم ويحمله على قطع نعمته عن المنعم عليه.

(٥) الوصاة: الوصية (تقلص) تقصر (وضح الفم) أسنانه، ولا يقال لها وضح إلا إذا كانت واضحة البياض نقية. وأصل معنى الوضح: بياض الصبح، والضوء.

(٦) حومة الحرب: دائرتها. وحومة كل شيء: معظمه (غمراتها) شدائدها. ومفردها غمرة. سميت بذلك لأنها تغمر القلوب وتغطّيها (التغمغم) أن يقال شيء يُسمع ولا يفهم. والغمغمة: صوت لا يُفهم منه شيء.

(٧) يتقون بين الأسنة: أي يجعلونني وقاية لهم منها. وهي جمع سنان. وسنان الرمح: ما يطعن به (لم أخم) لم أنكص ولم أجبن. وماضيه خام من باب باع (تضايق) ضاق (مقدمي) مصدر ميمي بمعنى الإقدام. يقول: لم أجبن عن تلقّي الأسنة ولم أرجع خوفاً منها ولكن تعذر عليَّ الإقدام وضاق أمامي مجاله.

لَمَّـا رَأَيْتُ القَـوْمَ أَقْبَـلَ جَمْعُهُمْ يَتَذَامَرُونَ، كَرَرْتُ غَيْرَ مُـذَمَّمِ[١]
يَـدْعُونَ عَنْتَـرَ، والرِّمَـاحُ كَـأَنَّهَـا أَشْـطَانُ بِئْـرٍ فِي لَبَـانِ الأَدْهَمِ[٢]
مَـا زِلْتُ أَرْمِيهِمْ بِثُغْرَةِ نَحْـرِهِ وَلَبـانِهِ، حَتَّى تَسَـرْبَلَ بِـالـدَّمِ[٣]
فَـازْوَرَّ مِنْ وَقْـعِ القَنَـا بِلَبَـانِـهِ، وَشَكَـا إِلَيَّ بِعَبْـرَةٍ وَتَحَمْحُمِ[٤]
لَوْ كَانَ يَدْرِي مَا المُحَاوَرَةُ اشْتَكَى، وَلَكَانَ ـ لَوْ عَلِمَ الكَلاَمَ ـ مُكَلِّمِي[٥]
ولَقَـدْ شَفَى نَفْسِي وأَبْرَأَ سُقْمَهَـا قِيلُ الفَوَارِسِ : وَيْكَ عَنْتَرَ أَقْدِمِ[٦]
والخَيْـلُ تَقْتَحِمُ الخَبَارَ عَـوابِساً، مِن بَيْنِ شَيْظَمَةٍ وأَجْرَدَ شَيْظَمِ[٧]
ذُلُلٌ رِكَابِي ؛ حَيْثُ شِئْتُ مُشَايِعِي لُبِّي، وأَحْفِـزُهُ بِـأَمْـرٍ مُبْـرَمِ[٨]
إِنِّي عَدَانِي أَنْ أَزُورَكِ ـ فَاعْلَمِي ـ مَا قَدْ عَلِمْتِ؛ وبَعْضُ مَا لَمْ تَعْلَمِي[٩]

(١) يتذامرون: يحض بعضهم بعضاً على القتال. أو المعنى يلوم بعضهم بعضاً على عدم الإقدام. والمعنيان جائزان. يقال، تذامر القوم وتذمروا (غير مذمم) غير مذموم.
(٢) الأشطان: الحبال. ومفردها شَطَن (اللبـان) الصدر (الأدهم) أراد به فرسه.
(٣) ثغرة النحر: النقرة بين الترقوتين (تسربل بالدم) صار الدم له كالسربال وهو القميص أو الدرع أو كل ما يُلبس.
(٤) ازورَّ: مال وأعرض (وقع القنا) شدة طعن الرماح. والوقع، صوت وقعة الضرب بالشيء. يقال: «سمعت وقْع حوافر الدابة» أي شدة ضربها (العبرة) الدمعة. وهي بفتح العين. أما بكسرها فمعناها العِظة أي الموعظة (التحمحم) أن يسمع للفرس صوت داخل صدرها. والحمحمة، ذلك الصوت.
(٥) المحاورة: المخاطبة.
(٦) ويك: ويلك.
(٧) تقتحم: تدخل. والاقتحام، الدخول في الشيء بسرعة وعزم (الخَبار) الأرض اللينة المسترخية التي لا يأمن السائر فيها من أن تسيخ فيها أرجل دابته وتغوص. وفي المثل «من تجنّب الخَبار مِنَ العِثار» (الشيظمة والشيظم) الفرس الطويل (الأجرد) القصير الشعر.
(٨) الذلل: جمع ذلول وهو الجمل الذي ليس بصعب (مشايعي) مرافقتي (لبي) عقلي (احفزه) ادفعه وأسوقه (الأمر المبرم) الأمر المحكم الذي لا يُنقض فكأنه حبل أحكم فتله.
(٩) عداني أن أزورك: منعني وشغلني عن زيارتك.

حَالَتْ رِمَاحُ ابْنَيْ بَغِيضٍ دُونَكُمْ،
وَزَوَتْ جَوَانِي الحَرْبِ مَنْ لَمْ يُجْرِمِ[1]

وَلَقَدْ خَشِيتُ بِأَنْ أَمُوتَ، وَلَمْ تَدُرْ لِلْحَرْبِ دَائِرَةٌ عَلَى ابْنَيْ ضَمْضَمِ[2]

الشَّاتِمَيْ عِرْضِي، وَلَمْ أَشْتُمْهُمَا والنَّاذِرَيْنِ إِذَا لَقِيتُهُمَا دَمِي

إِنْ يَفْعَلَا، فَلَقَدْ تَرَكْتُ أَبَاهُمَا جَزَرَ السِّبَاعِ، وكُلِّ نَسْرٍ قَشْعَمِ[3]

* * * * * *

---

(١) حالت: عرضت ومنعت (ابنا بغيض) عبس وذبيان. يشير إلى ما كان بينهما من الحرب المعروفة بحرب داحس والغبراء (زوت) أي جعلته ينحاز إلى ناحية ولا يباشر قتالاً (جواني الحرب) جناياته وجرائره. ومفردها جانية.

(٢) ابنا ضمضم، هما حُصين وهرم ابنا ضمضم المري. وكان عنترة قد قتل ضمضماً أباهما في حرب داحس والغبراءِ يوم المريقب فبلغه أنهما يشتمانه ويتوعدانه. فقال فيهما هذه الأبيات.

(٣) جزر السباع: مقتولاً تأكله السباع (القشعم) الكبير من النسور.



٧

الحارث بن حلزة اليشكري

توفي سنة (٥٢٠) وقيل سنة (٦٥٠)

وقيل سنة (٥٨٠) م وسنة (٥٢) قبل الهجرة

هو (أبو عُبَيْدَةَ الحارث بن حِلِّزَة بن مكروه) من أهل العراق. وبنتهي نسبه إلى (يشكر بن بكر بن وائل) وينتهي نسب (وائل) إلى (نِزار بن مَعَدّ بن عَدْنان).

وقد شهد (الحارث بن حلزة حرب «البَسوس»[1]).

(١) حرب البسوس: هي حرب كانت بين بني بكر وبني تغلب ابني وائل.
قالوا: لم تجتمع معد كلها إلا على ثلاثة رهط من رؤساء العرب. وهم عامر بن الظَّرْب وربيعة بن الحارث، وكليب بن ربيعة الوائلي. وهو الذي يقال فيه: أعزُّ من كليب وائل. وقاد مَعَداً كلها يوم (خزازى) ففضَّ جموع اليمن وهـزمهم. فاجتمعت عليـه معدٌّ كلهـا. وملّكوه عليهم. وأطاعوه حيناً من الدهر. ثم دخله زهو شديد وبغى على قومه حتى بلغ من بغيه أنه كان يحمي مواقع السحاب فلا يُرعى حماه، ويجير على الدهر فلا تخفـر ذمته. ويقول: وحش أرض كذا في جواري فلا يهاج، ولا تورد إبل أحد مع إبله. ولا توقد نار مع ناره. وكان كليب قد تزوج (جليلة) بنت مرة الشيباني أخت (جساس). وكان لجساس خالة تدعى (البسوس) بنت (مُنقذ) من (بني تميم) وهي التي نُسبت إليها هذه الحرب. وكانت نازلة في بني شيبان مجاورة لجسّاس. وكان لها ناقة يقال لها (سراب). وبها يُضرب المثل في الشؤم فيقال: «أشأم من سراب» لأن حرب البسوس بسببها هاجت وذلك أنها قد دخلت حمى (كليب) واختلطت بإبله فأنكرها لما رآها. وقيل: بل داست بيض طير كان قد أجاره. فشد =

معلقته وشيء من أخباره وشعره:

كان (الحارثُ بن حِلِّزَة) خبيراً بقرض الشعر ومذاهب الكلام، ومعلقته قد جمعت طائفة من أيام العرب وأخبارها، وَوَعَت ضروباً من المفاخر يُقام لها ويُقعد. وقد ارتجلها بين يدي (عمرو بن هند) الملك وهو غضبان متوكىء على عَنَزَةٍ أو على قوسه. وقيل: «بل كان قد أعدَّها قبل ذلك». وليس ببعيد عن الصواب. لما سترى من اختلاف الرواية في ذلك.

وسبب هذه المعلقة أن (عمرو بن هند) كان قد جمع (بني تغلب) و (بني بكر) ابْنَي (وائل) عنده وأصلح بينهما بعد حرب (البسوس). وأخذ من كل حي منهما مئة غلام رهناً، ليكفَّ بعضهم عن بعض. فكان أولئك الرهن يسيرون ويغزون معه. فأصابتهم في بعض مسيرهم ريح سموم. فهلك عامَّة التغلبيين. وسلم البكريون. فقالت (بنو تغلب) لبني (بكر بن وائل): «أعطونا ديات أبنائنا، فإن ذلك لازم لكم». فأبت (بكر). فاجتمعت (تغلب) إلى (عمرو بن

= عليها بسهم فخرم ضرعها. فنفرت وهي ترغو. فلما رأتها البسوس قذفت خمارها عن رأسها وصاحت: واذلاه واجاراه. فأحمست جساساً. فركب فرسه وأخذ آلته. حتى دخل الحي على (كليب). فطعنه فقصم صلبه. وكان مع جساس عمرو بن الحارث فطعنه أيضاً من خلفه. فوقع كليب وهو يفحص ـ الأرض برجله.

فلما قُتل كليب ارتحلت بنو شيبان. وتشمّر (المهَلْهِل) أخو كليب ـ واسمه عديّ ابن ربيعة، وإنما قيل له المهلهل لأنه أول من هلهل الشعر أي رققّه ـ واستعد لحرب بني بكر (وبنو شيبان منهم) فكانت بين الفريقين: بكر وتغلب أيام مشهورة ووقائع كثيرة، وقد دامت أربعين سنة، إلى أن أصلح بينهما (عمرو بن هند) كما ستعلم.

كلثوم) ـ صاحب المعلقة الخامسة ـ فقال (عمرو) لتغلب: «بمن ترون (بكراً) تعصب أمرها اليوم؟» قالوا: «بمن عسى إلا برجل من بني ثَعلبة». قال (عمرو): «وأرى الأمر والله سينجلي عن أحمرَ أُصلعَ أُصمَّ من بني يَشكرَ». ثم إن (بكراً) جاءت ومعها (النعمان ابن هرم) أحد (بني ثعلبة بن غُنم بن يَشكر) وهو خطيبها، و (الحارث بن حِلِّزة) وهو شاعرها. وجاءت (بنو تغلب) بفارسها وشاعرها (عمرو بن كلثوم).

فلما اجتمعوا عند الملك (عمرو بن هند) قال (عمرو بن كلثوم) للنعمان بن هرم: «يا أَصمُّ، جاءت بك أولاد (ثعلبة) تناضل عنهم، وقد يفخرون عليك». فقال (النعمان بن هرم): «وعلى من أظلَّت السماء يفخرون ولا يُنكر عليهم ذلك». قال (عمرو بن كلثوم): «والله لو أني لطمتك لطمةً ما أخذوا لك بها». قال: «والله لو فعلتَ ما أفلتَ بها قيس بن أبيك». فغضب (عمرو بن هند) الملك (وكان يؤثر بني تغلب على بني بكر) فقال: «يا نعمان، أيسرّك أني أبوك؟» قال: لا. ولكني وَدِدْتُ أَن تَكُون أُمي». فغضب (عمرو بن هند) حتى همَّ بالنعمان.

ثم تحاكموا. فقال (عمرو بن هند) الملك: ما كنت لأحكم بينكم حتى تأتوني بسبعين رجلاً من أشراف (بكر بن وائل)، فأجعلهم في وثاق عندي. فإن كان الحق لبني (تغلب) دفعتهم إليهم. وإن لم يكن لهم حق خلَّيت سبيلهم» ففعلوا ذلك وتواعدوا يوماً بعينه يجتمعون فيه.

وفي أثناء الهدنة جاء أناس من (بني تغلب) إلى (بني بكر) يستسقونهم. فطردتهم (بكر) للحقد الذي كان بينهم. فرجعوا. فمات منهم سبعون رجلاً عطشاً. ثم إن (بني تغلب) اجتمعوا لحرب (بني بكر) واستعدت لهم (بكر). حتى إذا التقوا كرهوا الحرب وخافوا أن تعود الحرب بينهم كما كانت. فدعا بعضهم بعضاً إلى الصلح. فلما كان اليوم الذي ضربوه موعداً للاجتماع عند (عمرو بن هند) جاءت (تغلب) في ذلك اليوم يقودها (عمرو بن كلثوم) حتى جلس إلى الملك. وقال (الحارث بن حِلِّزة لقومه «وهو رئيس بكر بن وائل»): «إني قد قلت قصيدة فمن قام بها ظَفِرَ بحجته وفَلَج[1] على خصمه» فرواها أناساً منهم. فلما قاموا بين يَدَيْه لم يُرضِهِ إنشادهم. فحين علم (الحارث) أنه لا يقوم بها أحد مقامه قال لهم: «والله إني لأكره أن آتي الملك فيكلمني من وراء سبعة ستور وينضح أثري بالماء إذا انصرفت. غير أني لا أرى أحداً يقوم بها مقامي، وإني محتمل ذلك لكم». (وكان بالحارث وَضَح[2]. وكانوا يفعلون ذلك بمن به برص. وقيل: «بل كان (عمرو بن هند) يفعل ذلك لعظم سلطانه وكبريائه، ولا ينظر إلى أحد به سوء)».

فانطلق (الحارث) حتى أتى الملك. فقيل للملك: «إن به وضحاً». فأمر أن تُمدَّ دونهما سبعة ستور. فجعلت. فلما نظر (عمرو بن كلثوم) إلى (الحارث) قال للملك (عمرو بن هند): «أهذا يناطقني؟ وهو لا يطيق صدر راحلته». فأجابه الملك حتى أفحمه. وأنشدَ

(١) أي استظهر عليه وغلبه.

(٢) أي برص.

(الحارث) معلقته. وهو من وراء سبعة ستور. وكانت (هند) أم الملك تسمع. فلما سمعتها قالت: «تالله ما رأيت كاليوم قط رجلاً يقول مثل هذا القول، يُكلِّم من وراء سبعة ستور». فقال الملك: ارفعوا ستراً. ودنا. فما زالت تقول ويُرفع ستر وستر حتى صار مع الملك على مجلسه. ثم أطعمه في جَفنته. وأمر أن لا ينضح أثره بالماء. وجز نواصي السبعين الذين كانوا في يديه من (بكر) ودفعها إلى (الحارث). وأمره أن لا يُنشد قصيدته إلا متوضئاً[١]. فلم تزل تلك النواصي[٢] في (بني يشكر) بعد (الحارث) يفتخرون بها.

ثم إن (عمرو بن هند) حكم أنه لا يلزم (بني بكر) ما حدث على رهائن (بني تغلب). فتفرَّقوا على هذه الحال. ثم لم يزل في نفسه من ذلك شيء حتى همَّ باستخدام (أم عمرو بن كلثوم) تعرضاً لهم وإذلالاً، فكان من ذلك أن قَتَله (عمرو بن كلثوم). كما تقدم في خبره[٣].

وقد ضُرب (بالحارث) المثل بالفخر فقيل: «أَفخرُ من الحارث بن حِلِّزة».

والمشهور من الروايات أن (الحارث) قال معلقته ارتجالاً وهو متوكىء على قوسه. وقد زعموا أنه اقتطم[٤] كفه من الغضب وهو لا

---

(١) أي مغتسلاً متنظفاً ولا يعني الوضوء المعروف.

(٢) النواصي: جمع ناصية وهي قصاص الشعر حيث تنتهي نبتته في مقدمه. وقيل: هي مقدمة الرأس.

(٣) راجع الصفحة «١٩٥» إلى «١٩٦»

(٤) إقتطم الشيء: عضّه أو تناوله بأطراف أسنانه وذاقه.

يشعر حين إنشادها. وقال (ابن السِّيد) في (أدب الكاتب): «كان متوكئاً على عَنَزة فارتزَّت[1] في جسده وهو لا يشعر».

قال (يعقوب بن السِّكِّيت): كان (أبو عمر الشيباني) يعجب لارتجال (الحارث) هذه القصيدة في موقف واحد. ويقول: لو قالها في حول لم يُلَم». قال: «وقد جمع فيها ذِكرَ عِدَّةٍ من أيام العرب عيَّر ببعضها (بني تغلب) تصريحاً، وعرَّض ببعضها (لعمرو بن هند).

غير أن الرواية التي رويناها هناك تدل على أنه لم يرتجلها، وإنما كان قد اعدَّها قبل إنشادها. والله أعلم بالصواب.

* * * * * *

أما شعره فهو قليل جداً لأنه كان من المقلين. وإنما اشتهر بمعلقته هذه التي رفعت من قدره، وجعلته في صف شعراء الجاهلية المجيدين.

ومن شعره قوله يمدح رجلاً يقال له (قيس بن شراحيل) وكان هذا في جملة من سعى بالصلح:

فَهَلَّا سَعَيْتَ لِصُلْحِ الصَّدِيقِ   كَصُلْحِ ابْنِ مَارِيَةَ الأَقْصَمِ[2]
وقَيْسٌ تَدَارَكَ بَكْرَ العِرَاقِ   وتَغْلِبَ مِنْ شَرِّهَا الأَعْظَمِ[3]

---

(١) ارتزت: انغرزت.
(٢) الأقصم: هو المنكسر الثنية من النصف. ولعله كان لقباً لقيس الممدوح.
(٣) الحلق: الإبل المعلّمة بالحلقة وذلك للدلالة على كرامتها (الجرد) الخيل. ومفردها أجرد وهو الفرس القصير الشعر.

وبَيْتُ شَراحِيلَ في وَائِلٍ   مَكَانُ الثُّرَيَّا مِنَ الأَنْجُمِ
فَأَصْلَحَ مَا أَفْسَدُوا بَيْنَهُمْ   كَذَلِكَ فِعْلُ الفَتَى الأَكْرَمِ

قال (يعقوب بن السِّكِّيت) أنشدني (النَّضْر بن شُمَيل) للحارث بن حلِّزة، وكان يستحسنها ويستجيدها. وذلك قوله:

مَنْ حَاكِمٌ بَيْنِي وبَيْنَ الدَّهْرِ مَالَ عَلَيَّ عَمْدا
أَوْدَى بِسَادَتِنَا، وَقَدْ تَرَكُوا لَنَا حَلَقاً وَجُرْداً[1]
خَيْلِي وَفَارِسُهَا - وَرَبِّ - أَبِيكَ - كَانَ أَعَزَّ فَقْدَا
فَلَوْ أَنَّ مَا يَأْوِي إِلَيَّ أَصَابَ مِنْ ثَهْلاَنَ فِنْدَا[2]
أَوْ رَأْسَ رَهْوَةَ أَوْ رُؤُوسَ شَمَارِخٍ، لَهُدِدْنَ هَدَّا[3]
فَضَعِي قِنَاعَكِ، إِنَّ رَيْبَ الدَّهْرِ قَدْ أَفْنَى مَعَدَّا[4]
فَلَكَمْ رَأَيْتُ مَعَاشِراً قَدْ جَمَّعُوا مالاً وَوِلْدَا[5]
وهُمُ رَبَابٌ حَائِرٌ، لا يُسْمِعُ الآذَانَ رَعْدَا[6]
فَعِشْ بِجَدٍّ لَا يَضُرْكَ النَّوْكُ مَا لاَقَيْتَ جَدَّا[7]

---

(١) الفند: الجبل العظيم، أو القطعة منه طولاً (ثهلان) اسم جبل.
(٢) رهوة اسم لعقبَة في بلاد العرب (شمارخ) أصلها شماريخ. وهي جمعِ شمراخ والشمراخ رأس الجبل (لهددن) جواب «لو» في البيت قبله.
(٣) القناع: ما تستر به المرأة وجهها (ريب الدهر) ما يأتي به من المصائب.
(٤) وُلد: أولاد. ويجوز فيه ضم الواو وكسرها وفتحها مع سكون اللام. ويقال أيضاً: وَلَد بفتح الواو واللام. وكلها يستوي فيها المذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والجمع.
(٥) الرباب: السحاب الأبيض (حائر) أراد أن هذا السحاب ينتقل من جهة إلى جهة دون أن يكون منه مطر ولا رعد. وقد شبهه بالحائر الذي لا يدري كيف يصنع.
(٦) الجد بفتح الجيم: الحظ. وأما بكسرها فهو الاجتهاد على العمل (النوك) بفتح النون ويجوز ضمها: الحمق.

وَالـنَّـوْكُ خَـيْـرٌ فِـي ظِـلَالِ ـ الـعَـيْشِ مِـمَّـنْ عَـاشَ كَـدًّا

والبيت الأخير فيه إيجازٌ مخلّ لأن ألفاظه لا تفي بمراد الشاعر. إذ يريد أن يقول: «إن العيش الرغد مع الحمق خير من العيش الشاق مع العقل».

* * * * * *

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

نخبة من معلقته

تنبيه ـ الرواة مختلفون في ترتيب أبيات هذه القصيدة. وقد رتبنا ما اخترناه منها ترتيباً متسقاً، فجعلنا الأبيات منظمة الحوادث. لتكون المعاني آخذاً بعضها برقاب بعض.

آذَنَـتْنَـا بِـبَـيْـنِـهَـا أَسْـمَـاءُ ... رُبَّ ثـاوٍ يُـمَـلُّ مِـنْـهُ الـثَّـواءُ[1]
لاَ أَرَى مَنْ عَهِـدْتُ فِيهَا، فَـأَبْكِي ـ ... ـ اليَـوْمَ دَلْهاً ومَـا يُحِيرُ البُكَـاءُ؟[2]
وبِعَيْنَيْـكِ أَوْقَـدَتْ هِنْـدُ النَّـارَ ـ ... أَخِيـراً، تُلْوي بِـهَـا العَـلْيَـاءُ[3]
فَـتَنَـوَّرْتَ نَـارَهَـا مِـنْ بَـعِـيـدٍ ... بِخَزَازَى، هَيْهَاتَ مِنْـكَ الصِّلاءُ[4]
أَوْقَـدَتْهَـا ـ بَيْنَ العَقِيقِ فَشَخْصَيْنِ ـ ... ـ بِعُـودٍ، كَمَـا يَـلُوحُ الضِّيَـاءُ[5]

---

(١) آذنتنا: أعلمتنا ومصدره الإيذان ؛(البين) البعد (الثاوي) المقيم. والمثوى المقام، وثوى أقام (الثواء) الإقامة.

(٢) عهدت: لقيت (دلها) ذاهل العقل. والدَّله ـ بسكون اللام ويجوز فتحها ـ هو مصدر أريد به هنا اسم الفاعل. والفعل منه دَلِه ـ من باب فرح ـ بمعنى تحير ودهش (يحير) يرجع ويرد. يقال: حار الشيء أي رجع. وأحرتُ الشيء أي أرجعته.

(٣) بعينيك أي بمرأى منك (أوقدت) أضرمت وأشعلت (تلوي) تشير (العلياء) البقعة المرتفعة.

(٤) تنوَّرت: نظرت. والتنور هو النظر إلى النار (خزازى) قال الزوزني: اسم لبقعة. وقال في القاموس: وخزازى جبل كانوا يوقدون عليه غداة الغارة (هيهات) اسم فعل ماض بمعنى بعد (الصلاء) مصدر صَلِيَ بها يصلي صُلِياً وصِلاءِ، إذا احترق بها أو أصابه حرها. والمعنى الأخير هو المقصود.

(٥) العقيق وشخصان: اسمان لموضعين.

وأَتَـانَا مِنَ الحَـوَادِثِ والأَنْبَـاءِ ـ خَـطْبٌ، نُعْنَى بِـهِ، وَنُسَـاءُ[1]:
أَنَّ إِخْـوَانَنَـا الأَرَاقِـم يَـغْلُونَ ـ عَـلَيْنَـا، فِـي قِيـلِهِـمْ إِحْـفَـاءُ[2]
يَخْلِطُونَ البَرِيءَ مِنَّا بِـذِي الذَّنْبِ ـ (وَلَا يَـنْفَـعُ الـخَـلِيَّ الـخِـلَاءُ)[3]
أَجْمَعُـوا أَمْـرَهُـمْ عِشَـاءً فَـلَمَّـا أَصْبَحُـوا أَصْبَحَتْ لَهُمْ ضَوْضَـاءُ[4]
أَيُّـهـا النَّـاطِـقُ الـمُـرَقِّشُ عَـنَّـا عِنْـدَ عَمْـرٍو (وَهَـلْ لِـذَاكَ بَقَـاءُ)[5]
لَا تَـخَـلْنَـا عَـلَى غَـرَاتِـكَ إِنَّـا قَبْـلُ مَـا قَـدْ وَشَى بِنَـا الأَعْـدَاءُ[6]
فَبَقِينَـا ـ عَلَى الشَّنَـاءَةِ ـ تَنْمِينَـا ـ جُـدُودٌ، وعِـزَّةٌ قَـعْـسَـاءُ[7]

---

(١) الخطب: الأمر، صغيراً كان أو كبيراً. وهو هنا الأمر العظيم (نُعنى به) نُشغل به عن غيره. يقال: عُني فلان بالأمر، أي أهمه واشتغلَ به وأصابه مشقة بسببه.
(٢) الأراقم: حي من تغلب (يغلون علينا) يرتفعون علينا (القيل) القول (إحفاء) مبالغة وإلحاح. يعني بذلك ما يشدد به بنو بكر من طلب ديات من مات منهم مع عمرو بن هند. وقد تقدمت القصة في الصفحة (٢٣٥) إلى (٢٣٨).
(٣) الخليُّ: أي الخلي عن الذنب وهو من لا ذنب له (الخلاء) البراءة. وهي الخلاء عن الذنب.
(٤) الضوضاء: الجلبة وهي اختلاط الأصوات. وأكثر ما تستعمل في الحرب. ومثله الضوضاء. والفعل ضوضى يضوضي. وهمزة الضوضاء ليست للتأنيث وإنما هي منقلبة عن الياء لأن أصله ضوضاي، قلبت الياء همزة كما قلبت في نحو أعياء وإبقاء. وإنما أنث الضوضاء في قوله: «أصبحت لهم ضوضاء» ـ ومع أنه مذكر ـ لأنه ضمّنه معنى الجلبة. والتضمين شائع في كلامهم.
(٥) الناطق: يريد به عمرو بن كلثوم حين إنشاده قصيدته (المرقش) المزين كلامه ليجعل الباطل حقاً والحق باطلاً (وهل لذاك بقاء) يريد ليس لقولك بقاء وثبات لأنه باطل، والباطل زاهق.
(٦) لا تخلنا: لا تظننا (الغراة) الاسم من الإغراء وهو الحض على إيقاع العداوة. يقال: أغرى بينهم العداوة، أي ألقاها ليفسد بينهم (ما) زائدة للتأكيد (وشى) نمَّ. والواشي النمَّام ـ يقول لا تظن أننا نعبأ بإفسادك وإغرائك الملك بنا. فقد وشى بنا الأعداء قبلك فلم يلتفت إلى وشايتهم.
(٧) الشناءة: البغضاء. ومثلها الشنآن (تنمينا) ترفعنا (قعساء) منيعة ثابتة والمعنى فبقينا ـ مع بغض الناس لنا وعداوتهم ـ أعزاء أولـي منعة.

مَلِكٌ مُقْسِطٌ، وأَفْضَلُ مَنْ يَمْشِي ؛ ـ وَمِـنْ دُونِ مَـا لَـدَيْـهِ الـثَّـنَـاءُ[1]
مَـلِكٌ أَضْـرَعَ الـبَـرِيَّـةَ، لا ـ يُـوجَـدُ فِيهَـا لِمَـا لَـدَيْـهِ كِفَـاءُ[2]
أَيُّـمـا خُـطَّةٍ أَرَدْتُـمْ فَـأَدُّوهَـا ـ إِلَـيْـنَـا، تَـمْـشِي بِهَـا الأَمْـلاَءُ[3]
لا يُقِيمُ العَـزِيـزُ بِـالبَلَدِ السَّهْـلِ ـ وَلاَ يَـنْـفَـعُ الـذَّلِـيـلَ الـنَّـجَـاءُ[4]
لَيْسَ يُنْـجِي مُـوَائِـلاً مِـنْ حِـذَارٍ رَاسُ طَـوْدٍ، وحَـرَّةٌ رَجْـلاَءُ[5]
أَيُّـهَـا الـنَّـاطِـقُ الـمُـبَـلِّغُ عَـنَّـا عِنْـدَ عَمْرٍو (وهَـلْ لِذَاكَ انْتِهَـاءُ)[6]
مَنْ لَنَـا عِنْـدَهُ مِنَ الخَيْـرِ آيـاتٌ ـ ثَـلاَثٌ، فِي كُلِّهِـنَّ القَـضَـاءُ[7] :
آيَـةٌ شَـارِقُ الشَّقِيقَـةِ إِذْ جَـاءُوا ـ جَـمِـيـعـاً، لِـكُـلِّ حَيٍّ لِـوَاءُ[8]
حَـوْلَ قَيْسٍ ، مُسْتَلْئِمِيـنَ بِكَـبْشٍ قُـرَظِـيٍّ، كَـأَنَّـهُ عَـبْـلاَءُ[9]

---

(١) مقسط: عادل، وأما القاسط فمعناه الجائر الظالم. يقال: قسط، إذا جار وظلم وأقسط، إذا عدل. فالهمزة للإزالة والسلب.

(٢) أضرع: قهر وذلّل (كفاء) مساوٍ ونظير.

(٣) الخطة: الأمر والطريقة (الإملاء) الجماعات ذوو الشرف والشارة. ومفردها ملأ. وهم الأشراف والعلية.

(٤) النجاة: الهرب.

(٥) الموائل: طالب النجاة. وفعله واءل، بمعنى طلب النجاة. ومثله وأل. ومنه الموئل وهو الملجأ والمنجى والمعتصم.

(٦) يريد: وهل لوشايتك يا عمرو بن كلثوم وإسقاطنا لدى الملك انتهاء. والكلام استفهامي اللفظ خبري الدلالة. أي إن الوشاية بنا حداً تنتهي إليه وذلك حيث يتضح الحق ويزهق الباطل.

(٧) آيات: علامات. مفردها آية (في كلهن القضاء) أي لنا عنده علامات تقضي لنا لديه عليكم وقد فسّر هذه الآيات بالأبيات الآتية.

(٨) أي العلامة الأولى شارق الشقيقة وهم قوم من شيبان جاؤوا ـ وعليهم قيس بن معد يكرب ومعه جمع عظيم من أهل اليمن ـ يغيرون على إبل لعمرو بن هند، فردتهم بنو يشكر ـ قوم الحارث بن حلزة ـ وقتلوا فيهم، ولم يوصل إلى شيء من إبل عمرو بن هند.

(٩) قيس: هو ابن معد يكرب المتقدم «مستلئمين» لابسين الدروع «الكبش» السيد العظيم النبيل «قرظي» نسبة إلى البلاد التي ينبت فيها القرظ وهي اليمن «عبلاء» صخرة.

فَـرَدَدْنَـاهُـمْ بِـطَعْنٍ، كَمَـا يَخْـرُجُ ـ مِـنْ خُـرْبَـةِ الـمَـزَادِ الـمَـاءُ(١)

ثُمَّ حُجْـراً، أَعْنِي ابْـنَ أُمِّ قَـطَامٍ وَلَـهُ فَـارِسِـيَّـةٌ خَـضْـرَاءُ(٢)

أَسَـدٌ فِي اللِّقَـاءِ، وَرْدٌ هَـمُـوسٌ وَرَبِـيـعٌ إِنْ شَـمَّـرَتْ غَـبْـرَاءُ(٣)

قَـدْ جَبَهْنَاهُمْ بِـطَعْنٍ، كَمَـا تُنْهَـزُ ـ فِـي جَـمَّـةِ الـطَّوِيِّ الـدِّلَاءُ(٤)

وَفَـعَلْنَـا بِـهِمْ، كَـمَـا عَـلِمَ اللهُ ـ ومـا إِنْ لِـلْـمَـائِـنِـيـنَ دِمَـاءُ(٥)

وأَتَـيْـنَـاكُـمُ بِـتِـسْـعَـةِ أَمْـلَاكٍ ـ كِـرَامٍ أَسْـلَابُـهُـمْ أَغْـلَاءُ(٦)

وَفَكَكْنَـا غُلَّ امْـرِئِ القَيْسِ عَنْـهُ، بَعْـدَ مَـا طَـالَ حَبْسُـهُ والعَنَـاءُ(٧)

(١) الخربة: الثقب (المزاد) القربة ومثلها المزادة.

(٢) حجر: هو حجر الكندي جد امرىء القيس صاحب المعلقة. ونصب حجراً على أنه مفعول لمحذوف والتقدير ثم رددنا حجراً (فارسية) أي كتيبة سلاحها من صنع فارس (الخضراء) الكتيبة يعلوها سواد الحديد وكثيراً ما يذكرون الأخضر ويعنون به الأسود ـ وهذه هي الآية الثانية. وذلك أنهم ردوا حجراً ومن معه. وكان حجر قد غزا أمرأ القيس بن المنذر ومعه جمع من كندة وكانت بكر ـ قوم الحارث بن حلزة ـ مع امرىء القيس، فخرجت إلى حجر فردته وقتلت جنوده.

(٣) أسد وما بعده من صفات حجر. ورفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره «هو». (الورد) الجريء (الهموس) السيَّار بالليل، والأسد الكسَّار لفريسته (ربيع) أي مخصب كالربيع (شمّرت) وافت مشمرة (الغبراء) السنة المجدبة القليلة المطر.

(٤) جبهناهم: ضربنا جباههم (تنهز) تُضرب وتدفع (الجمة) البئر الكثيرة الماء. وأراد بها معظم الماء. (الطوي) البئر (الدلاء) جمع دلو. والمعنى: ضربنا جباههم بطعن شديد كما تضرب الدلو بماء البئر الغزير لتمتلىء.

(٥) المائنين: الكاذبين. يقال: مان يمين ميناً فهو مائن ومَيون وميئان، أي كذب فهو كاذب.

(٦) أغلاء: غالية ـ وذلك أنه كان المنذر قد وجه في طلب بني حجر آكل المرار الكندي خيلاً من بني بكر فظفروا بهم وهم تسعة. فأتوا بهم المنذر فأمر بذبحهم في ظاهر الحيرة فذبحوا. وقد تقدمت هذه الواقعة في ترجمة امرىء القيس في الصفحة (٦٦) و (٦٧).

(٧) الغل: القيد. ويعني بامرىء القيس أمرأ القيس المنذر وهو أخو عمرو بن هند وأبوهما المنذر، غير أن عمراً قد نُسب إلى أمه هند. وقد يُنسب إلى أبيه فيقال: عمرو بن المنذر. وذلك أن غسان كانت قد أسرت أمرأ القيس بن المنذر يوم قتل أبوه. فأغارت بنو بكر على بعض بوادي الشام فقتلوا ملكاً من ملوك غسان واستنقذوا أمرأ القيس وسيأتي توضيح ذلك فيما بعد. وهذه هي الآية الثالثة.

وأَقـدْنَـاهُ رَبَّ غَسَّــانَ بِـالمُنْـذِرِ ـ كَــرْهـاً، إِذْ لَا تُكَــالُ الـدِّمَـاءُ[1]
فَـاتْرُكُـوا الـطَّيْـخَ والتَّعَـاشِي وإِمَّـا تَتَعَـاشَـوْا فَفِي التَّعَــاشِي الـدَّاءُ[2]
أَعَلَيْنَــا جُنَــاحُ كِنْــدَةَ: أَنْ يَغْنَمَ ـ غَــازِيـهُـمُ، ومِـنَّــا الـجَــزَاءُ؟[3]
أَمْ عَلَيْنَـا جَـرَّى إِيـادٍ؟ كَمَـا قِيــلَ ـ لِـطَسْــمٍ: أَخُــوكُــمُ الأَبَّــاءُ[4]
أَمْ عَلَيْنَــا جَـرَّى حَنِيفَــةَ؟، أَوْ مَــا جَـمَّعَـتْ مِنْ مُـحَـارِبٍ غَبْــرَاءُ[5]

---

(١) أقدناه: الضمير يعود إلى رب غسان بعده. والضمير هنا عائد على متأخر لفظاً ورتبة. وليس هـذا بجيد عنـد الجمهور. والمعنى أقـدنا رب غسـان وهو ملكهـا بالمنـذر، أي قتلنـاه بـه (إذ لا تكال الدماء) أي قتلناه حين كانت القتلى كثيرة لا تحصى ولا تكال دماؤها لكثرتها.

(٢) الطيخ: الكبر والعظمة (التعاشي) التجاهل والتعامي. يريد التجاهل عن الحق والتعامي عن الإقرار به.

(٣) أخذ في هذا البيت وما بعده يتهكم على عمرو بن كلثوم التغلبي ويعيره وقومه بأمور سيذكرها (الجناح) الِاثم ـ وذلك أن كندة غزت بني تغلب فقتلت فيهم وسبت واستاقت فلم يأخذوا من كندة بثأرهم. فهو يقول لهم هل علينا ذنب هؤلاء الذين فعلوا بكم ما فعلوا.

(٤) جرَّى: ذنب (إياد) قبيلة لم يكن في نزار أحسن منها وجوهاً ولا أمدَّ أجساماً ولا أشد امتناعاً. وكانوا لا يعطون الإتاوة أحداً من الملوك. فأغاروا مرة على امرأة لكسرى فأخذوها وما معها. فبعث عليهم كسرى بالجيوش مرتين فهزمتهم إياد فيهما. ثم بعث عليهم بجيش كثيف ففرَّقهم (طسم وجديس) قبيلتان. وكانت جديس قد كسرت الخراج على الملك فأخذ طسماً بذنب جديس. يقول: يا بني تغلب هل تحملون علينا ذنوب غيرنا كما قيل لطسم: أخوكم جديس فنحن نأخذكم بجريرته (الإباء) الشديد الإباء والامتناع. ويعني به بني جديس.

(٥) حنيفـة: اسم قبيلة (الغبراء) الأرض. فـابن حلزة يحرض عمـرو بن هنـد على بني حنيفـة حلفاء بني تغلب. لأن شمر بن عمرو الحنفي كان قد قتل المنذ أبا عمرو بن هند غيلة، وذلك أن شمراً كانت أمه غسّانية. فأراد المنذر الشام لغزو غسان. فذهب شمر حتى أتى الحارث بن جبلة الغسّاني فقال له: قد أتاك المنذر لا قِبَل لك به. فندب الحارث مئة من رجاله وجعلهم تحت لواء شمر بن عمرو الحنفي. وقال له: انطلق حتى تأتي المنذر فقل له: إنّا معطوك ما تريد وتنصرف عنا. فإذا رأيتم منه غرة فاقتلوه. فخرج شمر بمن معه وفعل ما أمره به الحارث. فركن المنذر إلى قوله. حتى إذا رأوا منه غفلة اغتاله شمر. وحمل بأصحابه على عسكره فتفرقوا وانتهب القوم ما كان معهم.

أَمْ عَلَيْنَا جَرَّى قُضَاعَةَ؟ أَمْ لَيْسَ ـ عَلَيْنَا فِيمَا جَنَوْا أَنْدَاءُ؟[١]
ثُمَّ خَيْلٌ مِنْ بَعْدِ ذَاكَ مَعَ الغَلَّاقِ ـ لَا رَأْفَةٌ وَلَا إِبْقَاءُ[٢]:
مَا أَصَابُوا مِنْ تَغْلِبِيٍّ فَمَطْلُولٌ ـ عَلَيْهِ ـ إِذَا أُصِيبَ ـ العَفَاءُ[٣]
كَتَكَالِيفِ قَوْمِنَا إِذْ غَزَا المُنْذِرُ: ـ هَلْ نَحْنُ لابْنِ هِنْدٍ رِعَاءُ[٤]
إِذْ تَمَنَّوْنَهُمُ غُرُوراً، فَسَاقَتْهُمْ ـ إِلَيْكُمْ أُمْنِيَّةٌ أَشْرَاءُ[٥]
لَمْ يَغُرُّوكُمُ غُرُوراً، وَلَكِنْ رَفَعَ الآلُ شَخْصَهُمْ والضَّحَاءُ[٦]

* * * * * *

---

(١) أنداء: جمع نَدى، والندى هو ما نزل من الرطوبة آخر الليل. وأراد بها الذنوب والآثام لأنها تصيب الجاني كما يصيب الندى الأرض ـ وكانت بنو قضاعة غزت بني تغلبَ ففعلت بهم كما فعلت بنو كندة فلم يأخذوا بثأرهم فعيرهم بذلك.

(٢) الغلّاق: هو صاحب هجائن النعمان بن المنذر. وكان تميمياً من بني حنظلة. وكان قد أغار على بني تغلب فقتل فيهم فغيّرهم بذلك.

(٣) (مطلول): ذاهب دمه هدراً من غير دية ولا ثأر. يقال: طُلَّ دم فلان، أي ذهب هدراً (العفاء) الاندراس. وسيأتي توضيح معنى البيت مع البيت بعده.

(٤) رعاء: جمع راعٍ. يقول أن من قتله الغلاق ومَن معه منكم يا بني تغلب قد ذهب دمه هدراً كما ذهب دمكم يوم فتك فيكم عمرو بن هند يوم عصيتم أمره ـ وذلك أن عمرو بن هند بعد أن قُتل المنذر أبوه يوم أراد غزو غسان كما قدمنا استعد عمرو للأخذ بثأره فدعا بني تغلب إلى ذلك فامتنعوا وقالوا: لا نطيع أحداً من ولد المنذر أبداً. أيظن ابن هند أننا له رعاء وخوَل؟. فغضب عمرو بن هند. وجمع جموعاً كثيرة من العرب. وآلى أن لا يغزو قبل بني تغلب أحداً. فغزاهم فقتل منهم قوماً. ثم استعطفه من معه عليهم واستوهبوه جريرتهم، فامسك عن بقيتهم. ثم غزا الغسانيين واستنقذ أخاه المنذر من الأسر كما ذكرنا ذلك من قبل. وقتل ملكاً منهم وأخذ بنتاً يقال لها «ميسون».

(٥) تمنونهم، الأصل: تتمنونهم. أي تتمنّون لقاءهم أي لقاء عمرو بن هند ورجاله (اشراء) ذات أشر أي بطر.

(٦) الآل: هو الذي تراه في أول النهار وآخره كأنه يرفع الشخوص (الضحاء) ارتفاع النهار ـ والمعنى لم يأتوكم على حين غفلة منكم بل كان الآل والضحاء يرفعان أشخاصهم إليكم فكنتم ترونهم من بعيد.


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

٨

الأعشى ميمون

توفي سنة (٦٢٩) م. وسنة (٧) هـ

هو (الأعشى بن قَيس بن جَنْدل بن شراحيل) وينتهي نسب شراحيل إلى (بكر بن وائل) وينتهي نسب وائل إلى (مَعَدّ بن عدنان).

وكان يُكَنَّى (أبا بصير). وكانوا يسمونه (صَنَّاجة العرب)[1] لجودة شعره، أو لأنه كان يتغنَّى به. ويقال لأبيه (قتيل الجوع) لأنه دخل غاراً يستظل فيه من الحر، فوقعت صخرة عظيمة من الجبل فسدَّت فم الغار، فمات فيه جوعاً.

شيء من أخباره:

كان قد مدح (سَلامة ذا فائش الحِمْيَريّ) بقصيدته التي مطلعها:

الشِّعْرُ قَلَّدْتُهُ سَلامَةَ ذَا فَائِشَ. والشَّيْءُ حَيْثُ مَا جُعِلا

فلما أنشده هذا الشعر قال: «صدقت، الشيء حيث ما جُعل».

(١) الصناجة: المراد به هنا المطرب. وأصل معناه. صاحب الصَّنج وهو آلة يضرب بها للطرب. وتاء الصناجة للمبالغة لا للتأنيث اذا وصف به المذكر. والصنّاج كالصنّاجة معنى واستعمالاً.

وأعطاه مئة من الإبل وكساه حُللاً كَرِشاً[1] مدبوغة مملوءة عنبراً. وقال: «إياك أن تُخدَع عنها. فانصرف عنه حتى أتى (الحيرة) فباعها بثلاث مئة ناقة حمراء. فخاف أن يُنتهب ماله، فاستجار (بعلقمة بن عُلاثة العامري) فقال له: «أُجيرك من الأسود والأحمر» فقال: «ومن الموت». قال: «لا» فأتى (عامر بن الطفيل) فقال له مثل مقالة (علقمة). فقال له (الأعشى): ومن الموت. قال: نعم. قال: «وكيف؟» قال: «إن متَّ في جواري وديتك»[2]. فلما سمع (علقمة) جواب (عامر) قال: «لو علمت أن ذلك مراده لهان عليَّ. وكان ذلك في أوان منافرة[3] عامر وعلقمة المشهورة. (ولهذه المنافرة قصة طويلة مذكورة في الجزء الخامس عشر من كتاب الأغاني) وكان العرب تهاب أن تنفِّر أحدهما على الآخر[4].

ثم إن الأعشى ركب ناقته ونفَّر (عامراً) وفضَّله على (علقمة) بقصيدة سيأتي بعض أبياتها. فهدر علقمة دمه. وجعل على كل طريق رصداً. فهجاه الأعشى أيضاً بقصيدة يقول فيها:

تَبِيتُونَ فِي المَشْتَى مِلاَءً بُطُونُكُمْ ... وجارَاتُكُمْ غَرْثَى يَبِتْنَ خَمَائِصا[5]

---

(١) الكَرِش ويقال الكِرْش أيضاً: وهي لذي الخف والظلف وكل حيوان مجتر بمنزلة المعِدة للإنسان. وهي مؤنثه وجمعها كروش.

(٢) وديتك: دفعت ديَتك لأهلك.

(٣) المنافرة: المحاكمة في الحسب والنسب والمفاخرة فيهما. وكانوا يتنافرون إلى الناس في ذلك ليقضوا لأحد المتنافرين على الآخر.

(٤) ينفر: يفضل. يقال: نفّر فلاناً على فلان، أي مضى له بالغلبة عليه.

(٥) غرثى: جائعة والرجل غَرْثان (الخمائص) الضامرات البطون. ومفردها خميصة. يعني أنهن ضامرات البطون من الجوع.

وقد كذب في هجوه لعلقمة، فإنه كان من أجواد العرب. وقد أسلم وحسن أسلامه. ولما بلغ ذلك علقمة رفع يديه وقال: «لعنه الله. أنحن نفعل هذا بجاراتنا؟».

ثم إن (الأعشى) سافر ومعه دليل، فأخطأ به الطريق، فألقاه في ديار (بني عامر بن صَعصعة) فأخذه رهط (علقمة بن عُلاثة) فأتوه به. فقال: «الحمد لله الذي أمكنني منك». فقال (الأعشى):

أَعَلْقَمَ، قَدْ صَيَّرَتْنِي الأُمُورُ ... إِلَيْكَ وما أَنْتَ لِي مُنْقِصُ
فَهَبْ لِي نَفْسِي فَدَتْكَ النُّفُوسُ، ... وَلَا زِلْتَ تَنْمُو وَلَا تَنْقُصُ

فقال قوم علقمة: «اقتله وأرِحنا والعرب من شر لسانه». فقال علقمة: «إذن تُطلَبوا بدمه، ولا ينغسل عني ما قاله، ولا يُعرَف فضلي عند القدرة» وقيل: بل دخل (علقمة) على أمه وقال لها: «لقد أمكنني الله من هذا الأعمى الخبيث». قالت: «فما تراك فاعلاً به؟». قال: «سأقتله شر قِتلة». فقالت: «يا بُنيَّ، لقد كنت أرجوك لقومك عامة، وإني اليوم لا أرجوك إلا لنفسك خاصة. وإنما الرأي أن تكسوه وتحمله وتسيره إلى بلاده، فإنه لا يمحو عنك ما قاله إلا هو». ففعل ما أمرته به، وحلَّ وثاقه، وألقى عليه حُلَّة، وحمله على ناقة، وأحسن عطاءه. وقال له: «انجُ حيث شئت». وأخرج معه من (بني كلاب) من يُبلغه مأمنه. فجعل بعد ذلك يمدحه. ومن ذلك قوله فيه:

عَلْقَمَ، يَا خَيْرَ بَنِي عَامِرٍ ... لِلضَّيْفِ وَالصَّاحِبِ وَالزَّائِرِ
والضَّاحِكَ السِّنِّ عَلَى هَمِّهِ، ... والغَافِرَ العَثْرَةِ لِلعائِرِ[1]

(١) العثرة: الزلة. وأراد بها الذنب.

ومن حديثه أنه كان لأبي المحلِّق شرف وكان قد أتلف مالـه. وبقي (المحلّق)[1] وثلاث أخوات له. ولم يترك لهم إلا ناقة واحـدة وحُلَّتيْ برود جيدة كان يسدُّ بها الحقوق[2]. فأقبل (الأعشى) من بعض أسفاره يريد منزله باليمامة. فنزل الماء الذي به (المحلق). فقَراه أهل الماء[3] فأَحسنوا قِراه[4]. فـأقبلت عمة المحلق، فقـالت له: «يـا ابن أخي» هذا الأعشى قد نزل بمائنا، وقد قراه أهل الماء. والعرب تزعم أنه لم يمدح قوماً إلا رفعهم، ولم يهجُ قوماً إلا وضعهم. فانظر ما أقول لك: احتل في زِقٍّ من خمر من عند بعض التجَّار، فأرسل إليه بهذه الناقة والزق وبردَتي أبيك. فوالله لئن اعتلج الكبد والسَّنام[5] والخمر في جوفه ونظر إلى عِطفَيْهِ[6] في البردتين ليقولنَّ فيك شعراً يرفعك به». قال: «ما أملك غير هذه الناقة وأنـا أتوقَّـع رِسلها»[7]. فـأقبل يـدخل ويخرج، ويهُمُّ ولا يفعل. فكلما دخل على عمته حضَّته. حتى دخل عليها فقال: «قد ارتحل الرجل ومضى». . قالت: «الآن والله أحسنُ ما كان القِرى: تُتبعه ذلك مع مولى أبيك (وكان لأبيه مولى أسود شيخ) فحيثما لحقه أخبره عنك أنك كنت غائباً عن الماء عند نزولـه إياه،

---

(١) المحلّق: رجل من ولد بكر بن كلاب من بني عامر. سمي المحلق لأن فرسه عضتّه في خده فتركت به أثراً على شكل الحلقة.

(٢) الحقوق: جمع حق، وهو ما يجب أداؤه. والمراد بالحقوق هنا ما يجب القيام به نحو الضيوف. فكان يستعين المحلّق بالناقة والحلّتين على ذلك.

(٣) أي اضافوه.

(٤) أي أحسنوا ضيافته.

(٥) (إعتلج) تضارب. السنام: ما يعلو ظهر البعير.

(٦) عطفيه: جانبيه عن يمين وشمال.

(٧) رسلها: لبنها.

وإنك لما وردت الماء فعلمت أنه به كرهت أن يفوتك قِراه. فإن هذا هو أحسنُ لموقعه عنده». فلم تزل تحضُّه حتى أتى بعض التجار فكلمه أن يقرضه ثمن زِقّ خمر وأتاه بمن يضمن ذلك عنه فأعطاه. فوجَّه بالناقة والخمر والبردين مع مولى أبيه. فخرج يتبعه. فكلما مرَّ بماء قيل: ارتحل امسِ عنه. حتى صار إلى منزل (الأعشى) في (منفوحة) باليمامة. فوجد عنده عدَّةً من الفتيان قد غدَّاهم بغير لحم وصب لهم فضيخاً[1]. فهم يشربون منه إذ قُرِع الباب، فقال: «انظروا من هذا؟» فخرجوا فإذا رسول (المحلِّق) يقول كذا وكذا. فدخلوا عليه وقالوا: هذا رسول المحلِّق الكلابي أتاك بكيت وكيت. فقال: «وَيْحَكُمْ، أعرابي، والذي أرسل إليَّ لا قَدْرَ له. والله لئن اعتلج الكبد والسَّنام والخمر في جوفي لأقولنَّ فيه شعراً لم أقل قط مثله». ثم أذن للرسول فدخل وأناخ الجزور[2] بالباب ووضع الزقَّ والبُرْدين بين يديه. فقال له: «أقرِهِ السلام وقل له: وصَلَتْكَ رَحِمٌ. سيأتيك ثناؤنا». وقام الفتيان إلى الجزور فنحروها وشقوا خاصرتها عن كبدها وجلدها عن سنامها، ثم جاءوا بهما. فأقبلوا يشوون، وصبوا الخمر فشربوه. وأكل معهم (الأعشى) وشرب ولبس البردَين ونظر إلى عِطْفَيْهِ فيهما فأنشأ يقول:

أَرِقْتُ، وما هذا السُّهَادُ المُؤَرِّقُ؟، وَمَا بِيَ مِنْ سُقْمٍ، وَمَا بِيَ مَعْشَقُ[3]

---

(١) الفضيخ: اللبن يخلط بالماء حتى يغلبه فيرق. وشراب العنب. وشراب يُتخذ من التمر. والمعنى الأول هو المراد على ما نظن.

(٢) الجزور: ما يُهيأ للذبح من الإبل.

(٣) أرقت: ذهب نومي. والأرق: ذهاب النوم. وهو باب علم «السهاد» ذهاب النوم أو قلته. وهو من باب علم أيضاً «معشق» عِشق.

ومنها:

لَعَمْـرِي لَقَـدْ لاَحَتْ عُيُـونٌ كَثِيـرَةٌ إِلَى ضَـوْءِ نارٍ فِي يَفـاعٍ، تُحَرَّقُ[1]
تُشَبُّ لِمَقْـرُورَيْنِ يَصْـطَلِيَـانِـهَـا وبَاتَ عَلَى النَّارِ النَّـدَى والمَحَلِّقُ[2]

إلى أن يقول:

أَبَا مِسْمَعٍ، سارَ الَّذِي قَـدْ فَعَلْتُمْ، فَـانْجَـدَ أَقْـوَامٌ بِـهِ، ثُمَّ أَعْـرَقُـوا[3]
بِـهِ تُعْقَدُ الأَجْمَـالُ فِي كُلِّ مَنْـزِلٍ، وتُعْقَـدُ أَطْرَافُ الحِبَـالِ، وَتُطْلَقُ[4]

فسار الشعر وذاع في العرب. فما أتت على المحلق سنة حتى زوّج أخواته الثلاث، كل واحدة على مئة ناقة. فأيسر[5] وشَرُف.

وقد رُويت هذه القصة على غير هذا الوجه. وفي إحدى الروايات أنه أنشد الشعر بسوق عُكاظ وقد اجتمعت عليه الناس، وإنه حضَّ القوم على زواج بناته، وإنه ناداه بقوله: «مرحباً بسيدي وسيد قومه». وفي هذه الرواية: إن العوانس[6] كن بناته لا أخواته، وكنَّ ثمانية. والله أعلم.

ومن أخباره أنه هجا رجلاً من (بني كلب) فقال:

بَنُـو الشَّهْرِ الحَـرَامِ فَلَسْـتَ مِنْهُمْ ولَسْتَ مِنَ الكِـرَامِ: بَـنِي عُـبَيْـدِ

(١) اليفاع: المرتفع من الأرض.
(٢) تشب: توقد «المقرور» من أصابه البرد «يصطليانها» يستدفئان بحرها «الندى» الكرم.
(٣) أنجد: أتى نجداً (أعرق) أتى العراق. والمراد ساروا به في البلدان.
(٤) الأجمال: جمع جمل.
(٥) أيسر: استغنى.
(٦) العوانس: جمع عانس وهي من طال مكثها في دار أهلها بعد إداركها فلم تتزوَّج. يقال منه: عَنست الجارية تَعْنُس ـ من باب نصر ـ فهي عانس. وأعنست تُعنس فهي مُعنس.

ولا مِــنْ رَهْطِ جَبَّــارِ بْــنِ قُــرْطٍ ولاَ مِــنْ رَهْطِ حَــارِثَــةَ بْــنِ زَيْــدِ

فقال له: «لا أبا لك. أنا أشرف من هؤلاء كلهم». وقد سَبَّه الناس بهجاء الأعشى إياه.

ثم اتفق أن الكلبي أغار على قوم قد بات فيهم الأعشى. فأسر منه نفراً وكان الأعشى أحد المأسورين وهو لا يعرفه. ثم جاء الكلبي حتى نزل على (شُرَيح بن السموأَل بن عادياء الغساني) صاحب (تيماء) بحصنه (الأبلق الفرد) فمرَّ شُرَيح بالأعشى فناداه الأعشى وأنشده قصيدة قد ارتجلها يستجير به. فجاء شُريح إلى الكلبي وقال له: «هَبْ لِي هذا الأسير المضرور». فقال: «هُوَ لَك». فأطلقه. وقال له أقِم عندي حتى أُكرمك وأحبوك». فقال له: الأعشى: «إن من تمام صنيعك أن تعطيني ناقة نجيبة[1] وتخلِّيني الساعة» فأعطاه ناقة فركبها ومضى من ساعته. وبلغ الكلبيَّ أن الذي وهب لشريح هو الأعشى. فأرسل إلى شريح أن «ابعث إليَّ الأسير الذي وهبتُ لك حتى أحبوه وأعطيه». فقال: «قد مضى» فأرسل الكلبي في أثره فلم يلحقه.

والقصيدة التي ارتجلها الأعشى مستجيراً بشريح هي قوله:

شُـرَيْحُ، لاَ تَتْـرُكَنِّي بَعْدَ مَـا عَلِقَتْ ـ حِيَالَكَ اليَوْمَ بَعْدَ القَدِّ ـ أَظْفَارِي[2]

---

(١) نجيبة: كريمة.

(٢) حيالك: بالقرب منك. فهي بالياء، هذا الذي جنحنا إليه فإن المعنى عليه. والرواية الشائعة بالباء. ولعلها من تحريف النسَّاخ. أو المعنى بعد ما علقت أظفاري بحبالك (القد) قيد من جلد يُقيَّد به الأسير (أظفاري) فاعل علقت.

قَـدْ جُلْتُ مَا بَيْنَ بـانِقْيَا إِلَى عَـدَنٍ ، وطَالَ فِي العُجْمِ تَرداديِ وتَسْيَارِي[1]
فَكَـانَ أَكْـرَمَهُم عَهْـداً ، وأَوْثَقَهُمْ مَجْـداً ، أَبُوكَ ، بِعُـرْفٍ غَيْـرِ إنْكَـارِ
كَالغَيْثِ ، مَا اسْتَمْطَرُوهُ جَادَ وَابِلُهُ ، وفِي الشَّدَائِدِ كَالمُسْتَأْسِدِ الضَّارِي[2]
كُنْ كَالسَّمَوْأَلِ ، إِذْ طَافَ الهُمَامُ بِهِ فِي جَحْفَلٍ ، كَهَزِيعِ اللَّيْلِ ، جَرَّارِ[3]
إِذْ سَامَهُ خُـطَّتَيْ خَسْفٍ فَقَالَ لَـهُ : قُلْ مَا تَشَـاءُ ، فَإِنِّي سَـامِعٌ ، حَـارِ[4]
فَقَـالَ : غَـدْرٌ وَثُكْـلٌ أَنْتَ بَيْنَهُمَـا فَـاخْتَرْ (وَمَـا فِيهِمَا حَظٌّ لِمُخْتَـارِ)[5]
فَشَـكَّ غَيْرَ طَـوِيـلٍ ، ثُمَّ قَـالَ لَـهُ : أُقْتُـلْ أَسِيرَكَ . إِنِّي مَـانِعٌ جَـارِي[6]
وَسَـوْفَ يُعْقِبُنِيهِ ـ إِنْ ظَفِـرْتَ بِـهِ ـ رَبٌّ كَـرِيمٌ ، وَبِيضٌ ذَاتُ أَطْهَـارِ[7]
لا سِـرُّهُنَّ لَـدَيْنَـا ذَاهِبٌ هَـدْراً ، وحافِظَاتٌ ـ إِذَا اسْتُودِعْنَ ـ أَسْرَارِي
فَـاخْتـارَ أَدْرَاعَـهُ كَيْ لَا يُسَبَّ بِهَـا وَلَمْ يَكُنْ عَهْـدُهُ فِـيهَـا بِـخَتَّـارِ[8]

---

(١) بانقيا: ناحية من نواحي الكوفة (عدن) مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن.

(٢) الغيث: المطر (استمطروه) طلبوا مطره (جاد وابله) هطل مطره بكثرة والوابل: المطر الغزير، كما أن الطلَّ هو المطر الضعيف.

(٣) الهمام: السيد الشجاع، وأ راد به الحارث بن ظالم. وسيأتي خبره مع السموأل أبي شريح بعد تتمة القصيدة (الجحفل) الجيش العظيم (هزيع الليل) القطعة منه (جرّار) كثير كأنه يجر وراءه جيوشاً.

(٤) سامه الأمر كلفه إياه. وأكثر ما يستعمل في الشر والعذاب (الخطة) الأمر والطريقة (الخسف) الذل والقهر وتحميل الإنسان ما يكره ـ والمعنى: طلب منه أحد أمرين كلاهما فيه ما يكرهه ولا يرضاه (حار) أي يا حارث. فهو منادى مرخَّم بحذف آخره.

(٥) غدر: أراد إنه إما أن يغدر بالوديعة التي عنده ويسلمه إياها وإما أن يقتل ولده فيكون بذلك ثاكلاً أي فاقد الولد.

(٦) شك: أي شك في أمره وتحيَّر فيما يفعل.

(٧) يعقبنيه: يأتيني بعقب غيره (بيض) أي نساء بيض.

(٨) الختَّار: الغادر أقبح الغدر. يقال منه: ختر ـ من باب ضرب ـ ومنه قولهم: «لن تمدّ لنا شبراً من غدر إلا مددنا إليك باعاً من خَتْر».

وكان (امرؤ القيس بن حُجر) قد أودع عند (السموأل) دروعه وأهله. (كما قدمنا ذلك في ترجمته. فراجع الصفحة «٨٣» كلها) فأتاه الحارث ابن ظالم المريَّ) ليأخذها منه عَنوة فتحصَّن منه السموأل. فأخذ الحارث ابناً للسموأل (وكان في الصيد) فقال: إما سلَّمتَ إليَّ الأدراع، وإما قتلت ابنك. فأبى أن يسلِّمها إليه. فضرب الحارث وسط الغلام بالسيف فقطعه قطعتين. فقال (السموأل) في ذلك:

فَبَنَى لِي عَادِياً حُصْناً حَصِيناً، وَبِئْراً كُلَّمَا شِئْتُ اسْتَقَيْتُ[1]
وَأَوْصَى عَادِياً يَوْماً: بِأَنْ لاَ تُهَدِّمْ يَا سَمَوْأَلُ مَا بَنَيْتُ
وَفَيْتُ بِأَدْرُعِ الكِنْدِيِّ إِنِّي إِذَا مَا خَانَ أَقْوَامٌ ـ وَفَيْتُ[2]

وبالسموأل هذا يضرب المثل بالوفاء. فيقال «أوفى من السموأل».

(١) عاديا: وهو أبو السموأل وإياه عنى زهير بقوله: «وأهلك لقمان بن عاد وعاديا» في القصيدة التي ذكرناها له في الصفحة (١٥١) وقد فاتنا أن نذكر هناك عند تفسير هذا الشطر من هو عاديا ذهولاً ولم نتنبه لذلك إلا بعد طبع تلك الكراسة فنحن نذكره هنا استدراكاً لما فات. وعاديا أصله عادياء بالهمزة (حصناً) أراد به الأبلق الفرد المشهور الذي يقول فيه السموأل:

هو الأبلق الفرد الذي شاع ذكره يعزُّ على من رامه ويطول

وفيه بئر كانوا يستقون منها. ولم يزل الحصن إلى الآن وفيه البئر. وهو معروف حتى الساعة بحصن السموأل. وقد شاهده وشاهد البئر صديقنا الطبيب مصطفى السعادة. وحدثنا عنه وعن غيره من الآثار حدّيثاً طويلاً لا محل له هنا. وهو مشرف على تيماء بين الحجاز وبادية الشام على رابية من تراب. قال في معجم البلدان: وفيه آثار أبنية من لبن لا تدل على ما يحكى عنه من العظمة والحصانة وهو خراب. أما الطبيب المذكور فقد أكد لنا فساد ما زعمه صاحب المعجم. والله أعلم. وإنما قيل له الأبلق لأنه كان في بنائه بياض وحمرة. وكان أول من بناه عادياء أبو السموأل.

(٢) أراد بالكندي امرأ القيس لأنه من بني كندة.

وفاة الأعشى ميمون:

كان (الأعشى) جاهلياً قديماً وقد أدرك الإسلام في آخر عمره. وسمع بالنبي ﷺ وما يأمر به من الأخلاق الفاضلة، والشُمائل الزاهرة وما ينهى عنه من المنكر والشرك، وغير ذلك من نقائص الأمور. فقال قصيدة يمدحه فيها ورحل إليه يريد لقاءه والإسلام على يديه. فبلغ قُرَيشاً خبره وما قد عزمه[1] (وكان إذ ذاك صلح الحُدَيبيّة[2] بين الرسول وبين مشركي مكة) فرصدوا الأعشى على طريقه (وكان فيهم أبو سُفيان بن حرب) وقالوا: «هذا صنَّاجة العرب، وما مدح أحداً قطّ إلا رفع قدره». فلما ورد عليهم قالوا: «أين أردتَ يا أبا بصير؟». قال: «أردتُ صاحبكم هذا (يعني النبيَّ عليه السلام) لأُسلم». قالوا: «ينهاك عن خِلال ويحرّمها عليك، وكلها لك موافق». قال: «وما هي؟» قالوا: «الزنا والقمار والرّبا والخمر» قال: «أما الزنا فلقد تركني، وما تركته، وأما القمار فلعلِّي إن لَقيته أن أصيب منه عِوَضاً من القمار، وأما الربا فما دِنتُ ولا أدَّنتُ، وأما الخمرُ - أوَّهْ -[3] فأرجع إلى صُبابةٍ قد بقيتْ في المِهراس[4] فأشربها». فقال (أبو سفيان) «هل لك في خيرٍ مما هممت به؟». فقال: «وما هو؟. قال: «نحن الآن وهو في هدنة، فتأخذ مئة

---

(١) يقال: عزم الأمر وعزم عليه. فهو يتعدى بنفسه وبالواسطة.

(٢) الحديبية: بئر بينها وبين مكة مرحلة وبينها وبين المدينة تسع مراحل. ومن الناس من يشدد ياءها المفتوحة ومنهم من يفتحها بلا تشديد. وقد رُوِي عن الشافعي أنه قال: الصواب تشديدها. وخطّأ من نص على تخفيفها. وقيل: كل صواب. وصلح الحديبية معروف في السيرة النبوية فلا حاجة إلى شرحه.

(٣) اوّهْ: كلمة تقال عند الشكاية. فهي مثل آه.

(٤) المهراس: الهاون. وأراد به وعاء كان فيه بقية خمرٍ له.

من الإبل وترجع إلى بلدك سَنتَكَ هذه، وتنظر ما يصير إليه أمرُنا: فإن ظهرنا عليه[1] كنتَ قد أخذتَ خلفاً، وإن ظهر علينا أتيته». فقال: «ما أكرهُ ذلك». فقال (أبو سفيان): «يا معشر قُرَيش، هذا الأعشى، والله لَئن أتى محمداً واتَّبعَه ليضرِمَنَّ عليكم نيران العرب بشعره، فأجمعوا له مئة من الإبل». ففعلوا. فأخذها (الأعشى) وانطلق إلى بلده فلما كان قريباً من بلده (منفوحة)[2] باليمامة رمى به بعيره فقتله.

وكان موته سنة (٦٢٩) لميلاد المسيح، وسنة (٧) لهجرة الرسول. صلوات الله عليهما.

* * * * * *

(١) أي غلبناه.

(٢) منفوحة قرية باليمامة مشهورة طيبة الهواء كان يسكنها الأعشى وفيها قبره بفناء منزله.

الكلام على شعره:

هو أحد الأعلام من شعراء الجاهلية وفحولهم. وقد تقدم على سائرهم. وليس ذلك بمجمَعٍ عليه لا فيه ولا في غيره. وقد سُئل (أبو يونُس النحوي): مَن أشعر الناس؟ فقال: «لا أُومىء إلى رجل بعينه»، ولكني أقول: «امرؤ القيس إذا غضب، والنابغة إذا رَهِب، وزهير إذا رَغِب والأعشى إذا طَرِب» قال (أبو عُبَيْدة): «مَن قدَّم الأعشى يحتجُّ بكثرة طواله الجياد وتصرفه في المديح والهجاء وسائر فنون الشعر، وليس ذلك لغيره». ويُقال: هو أول من سأل بشعره وانتجع به أقاصي البلاد.

وقدم على (كسرى) مرة فسمعه ينشد قوله:

أَرِقْتُ وَمَا هَذَا السُّهَادُ المُؤَرِّقُ؟، وَمَا بِيَ مِنْ سُقْمٍ، ومَا بِيَ مَعْشَقُ[1]

فقال: «ما يقول هذا العربي؟» ففسَّروا له قوله. فقال: إِذَن هو لِصٌّ».

وقد رُوِيَ عَنه أنه قال: «أتيتُ (النعمان) فأنشدته:

إِلَيْكَ ـ أَبَيْتَ اللَّعْنَ ـ كان كِلاَلُهَا، تَرُوحُ مَعَ اللَّيْلِ البَهِيمِ، وَتَغْتَدِي[2]

حتى أتيت على آخرها. فخرج إلى ظهر (النَّجَف) فرآه قد اعتمَّ بنباته من أصفر وأحمر وأخضر، وإذا فيه من هذه الشقائق ما لم يُرَ مثله. فقال: ما أحسنَ هذا. احْمُوه». فسمِّيَ بشقائق النعمان.

(١) ارقت: ذهب نومي (السهاد) فقد النوم.

(٢) كلالها: تعبها وإعياؤها (الليل البهيم) الشديد الظلمة.

وكان (أبو عمرو بن العلاء) يعظِّم محل الأعشى ويقول: شاعر مُجيد كثير الأعاريض والافتنان. وإذَا سُئل عنه وعن (لَبيد) قال: «لبيد رجل صالح، والأعشى رجل شاعر» ورُوي أن (عبد الملك) قال لمؤدِّب أولاده: «أدِّبهم بشعر الأعشى، فإنه ـ قاتله الله ـ ما كان أعذب بحره وأصلب صخره». وقال (المفضَّل): «من زعم أن أحداً أشعر من الأعشى فليس يشعر الشعر». وقال (أبو عُبيد): «الأعشى رابع الشعراء المتقدمين: امرىء القيس والنابغة وزهير». وقال (يحيى بن الجون العبدي) راوية (بشَّار) «نحن حاكة[1] الشعر في الجاهلية والإسلام. ونحن أعلم الناس به: أعشى بني قيس أستاذ الشعراء في الجاهلية، و(جرير الخطفي) أستاذهم في الإسلام».

ورُويَ عن (الشعبي) أنه قال: «الأعشى أغزل الناس في بيت، وأخنث الناس في بيت، وأشجع الناس في بيت. فأمَّا أغزل بيت فقوله:

غَرَّاءُ، فَرْعَاءُ، مَصْقُولٌ عَوَارِضُهَا ۝ تَمشي الهُوَيْنَا، كَمَا يَمْشي الوَجِي الوَحِلُ[2]

وأما أخنث بيت فقوله:

قَالَتْ هُرَيْرَةُ لَمَّا جِئْتُ زَائِرَها: ۝ وَيْلي عَلَيْكَ، وَوَيْلِي مِنْكَ، يا رَجُلُ

وأما أشجع بيت فقوله:

---

(١) حاكة: جمع حائك. فجعل الشعر ثوباً هم حاكوه فهم يعرفون كل ما اشتمل عليه.

(٢) سيأتي تفسير هذا البيت والبيتين بعده في معلقته.

قالُوا: الطِّرَادُ، فَقُلْنا: تِلْكَ عَادَتُنا، أَوْ تَنْــزِلُــونَ، فَــإِنَّــا مَعْشَــرٌ نُــزُلُ

حَـدَّثَ (يحيى بن مَتَّى) رواية الأعشى (وكـان نصرانيَّـاً عبَّاديـاً مُعَمَّراً) قال: كان (الأعشى) قَدرِياً[1]، وكان (لَبيد) مُثبتاً. قال لبيد:

مَنْ هَــدَاهُ سُبُــلَ الخَيْــرِ اهْتَــدَى نَــاعِمَ البَـالِ، ومَنْ شــاء أَضَــلّ

وقال الأعشى :-

إســتَــأْثَــرَ الــلهُ بِــالــوَفَــاءِ ـ وبِالعَدْلِ، ووَلَّى المَلاَمَةَ الرَّجُلاَ[2]

قال: وقد أخذ الأعشى مذهبه هذا من العبَّاديِّين نصارى الحيرة: كان يأتيهم يشتري منهم الخمر فلقَّنوه ذلك.

وكان (الأعشى) فحلاً من فحول الشعراء. وكان العرب لا تعدُّ الشاعر فحلاً حتى يأتي ببعض الحكمـة في شعره. فلم يعـدوا أمرأ القيس فحلاً حتى قال:

والله أَنْـجَـحُ مَـا طَـلَـبْتَ بِـهِ، والبِــرُّ خَيْــرُ حَقِيبَــةِ الــرَّحْــلِ[3]

وكانوا لا يعدُّون النابغة فحلاً حتى قال:

---

(١) القدرية قوم يقولون: إن كل إنسان خالق لفعله، ولا يرون الكفر والمعاصي بتقدير الله. والمثبتة ـ يعتقدون عكس ذلك. وفي أهل الإسلام من قال بالأول وفيهم من قال بالثاني. والحق بيّن واضح. وليس هنا مقام تقريره.

(٢) استأثر بالوفاء والعدل: خصَّ بهما نفسه. فهو يفي للعامل بجزاء عمله إن خيراً وإن شراً، وجعل المرء حراً بأعماله فإن أساء كانت الملامة عليه. هذا معنى البيت.

(٣) الحقيبة: ما يحمل من المتاع على الفرس خلف الراكب وخريطة يعلقها المسافر في الرحل للزاد (الرحل) للجمل كالسرج للفرس. والمعنى: إن البر هو خير زاد يدَّخره الإنسان.

نُبِّئْتُ أَنَّ أَبَـا قَـابُـوسَ أَوْعَـدَنِي   ولا قَـرَارَ عَـلَى زأْرٍ مِـنَ الأَسَـدِ[1]

وكانوا لا يعدُّون زُهَيراً فحلاً حتى قال:

وَمَهْمَـا تَكُنْ عِنْدَ امْـرِىءٍ مِنَ خَلِيقَةٍ
ـ وإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ ـ تُعْلَمِ[2]

وكانوا لا يعدُّون الأعشى فحلاً حتى قال:

قَلَّدْتُـكَ الشِّعْـرَ يَـا سَـلاَمَـةَ ذَا   فَـائِشَ والشَّيْءُ حَيْثُ مَـا جُعِـلاَ

ومن شعره قوله يهجو (علقمة بن علاثة) الذي تقدم ذكره:

عَـلْقَـمَ، مـا أَنْـتَ إِلَـى عَـامِـرٍ   النَّـاقِضِ الأَوْتَـارِ، والـوَاتِـرِ[3]
إِنْ تَسُـدِ الحُـوصَ فَلَمْ تَعْـدُهُـمْ   وعَـامِـرٌ سَـادَ بَـنِـي عَـامِـرِ[4]
سَـادَ وأَلْـفَـى قَـوْمَـهُ سَـادَةً   وكَـابِـراً سَـادُوكَ عَـنْ كَـابِـرِ[5]

---

(١) أبو قابوس: كنية النعمان بن المنذر اللخمي ملك العرب والقابوس في اللغة هو الرجل الجميل الوجه الحسن اللون (الزأر والزئير) صوت الأسد.
(٢) تقدم تفسيره في الصفحة (١٦٣).
(٣) الأوتار: الأحقاد. ومفردها وتر (الواتر) أراد الواتر قوسه، أي المعلق عليها وترها فهو بعد أن ترك الأحقاد تهيأ للشر دفاعاً عن شرفه لأنك لم تترك حقدك كما ترك هو حقده.
(٤) لم تعدهُم: لم تتجاوزهم.
(٥) رويَ أن النبي ﷺ كان ربما حدَّث أصحابه وربما تركهم يتحدثون ويصغي إليهم ويتبسم فبينما هم يوماً على ذلك يتذاكرون الشعر وأيام العرب إذ سمع حسَّان بن ثابت ينشد هجاء الأعشى لعلقمة بن علاثة. فقال الرسول عليه السلام: «كفَّ عن ذكره يا حسّان، فإن أبا سفيان لما شعَت مني عند هرقل ـ أي غض مني ـ ردَّ علقمة». فقال حسّان: بأبي أنت وأمي يا رسول الله. من نالتْك يده أي معروفه وجب علينا شكره». ـ وذكر قصة أبي سفيان مع هرقل مذكورة في البخاري الشريف في باب كيف كان بدء الوحي» فليرجع إليها من شاء فهي قصة جميلة.

ومن شعره قوله يفتخر بيوم ذي قار[1] (وكان يوماً للعرب على الفُرس):

لَـوْ أَنَّ كُـلَّ مَعَـدٍّ كَـانَ شَـارَكَنَـا فِي يَوْمِ ذِي قَارَ، مَا أَخْطَاهُمُ الشَّرَفُ
لَمَّـا أَمَـالُـوا إِلَى النُّشَّـابِ أَيْـدِيَهُمْ مِلْنَا بِبِيضٍ ، فَظَلَّ الهَـامُ تُقْتَطَفُ[2]
وخَيْـلُ بَكْـرٍ فَمَـا تَنْفَـكُّ تَـطْحَنُهُمْ حَتَّى تَـوَلَّـوْا، وكَـادَ اليَـوْمُ يَنْتَصِفُ

أما قصيدته التي مدح بها النبيّ ﷺ فمطلعها:

أَلَمْ تَغْتَمِضْ عَيْنَـاكَ لَـيْلَةَ أَرْمَـدَا؟ وبِتَّ كَمَـا بَـاتَ السَّلِيمُ مُسَهَّـدا[3]

---

(١) (يوم ذي قار ذو قار): اسم ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة. وسبب هذه الواقعة أن كسرى كان قد غضب على النعمان ففر وأَودع سلاحه وأهله عند هانىء بن قبيصة. ثم احتال كسرى على النعمان وأظهر له العفو عنه فجاء إليه فحبسه بساباط. فقيـل: إنه مات ـ بالطاعون. وقيل: بل طرحه بين أرجل الفيـلة فقتلته. ثم طلب كسرى من هاني وديعة النعمان فلم يُعطها له وقال: إنها أمانة يجب عليَّ حفظها. فجهّز كسر ى جيشاً كثيفاً من الفرس والعرب الموالين له. فعلمت بنو بكر بذلك فجمعوا الجمـوع وعبّأوا الجيش تعبئة الفرس. فلما التقى الجيشان قام حنظلة بن ثعلبة بن سيّار العجلي فقال: يا معشر بكر أن النشاب الذي مـع هؤلاء الأعاجم يفـرقكم، فعاجلوهم اللقـاء وأبدأوهم بالشدة. وقال هانيء بن مسعود: يا قومَ مَهْلَك معذور، خير من منجى مغرور. إن الجزع لا يردُّ القدر، وإن الصبر من أسباب الظفر. والمنية خير من الدنية. واستقبال الموت خير من استدباره. فالجد الجد، فما من الموت بد. ثم قام حنظلة بن ثعلبة فقطع حبـال الهوادج فسقط النساء إلى الأرض وقال: ليقاتل كل رجل منكم عن حليلته. ثم التحم القتال وتجالد القوم بالسيوف إلى أن دارت الدائرة على الفرس فولوا منهزمين. وقد قتل يزيد بن حارثة اليشكري الهامرز قائد عسكر كسرى مبارزة. ثم قُتل بعد ذلك.
وهذه الواقعة كانت بعد أن بُعث النبي عليه الصلاة والسلام. وكانت بعد منصرفه من وقعة بدر الكبرى. وقد أخبر بها أصحابه فقال: اليوم أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبي نُصروا. وقيل: بل كانت يوم ولادة الرسول عليه السلام. والله أعلم.

(٢) البيض: السيوف (الهام) الرؤوس. ومفردها هامة.

(٣) ليلة أرمد: أي ليلة رجل أرمد، وهو من أصاب عينيه رمـد (السليم) الملدوغ. سُمي سليماً تفاؤلاً بأن يسلم. (المسهد) من شرد عنه النوم.

ولَكِنْ، هُوَ الدَّهْرُ (الَّذِي هُوَ خَائِنٌ) إِذَا أَصْلَحَتْ كَفَّايَ عَادَ فَأَفْسَدَا

ومنها يقول في ناقته:

فَآلَيْتُ لَا أَرْثِي لَهَا مِنْ كَلَالَةٍ، وَلَا مِنْ حَفًى، حَتَّى تَزُورَ مُحَمَّدا[1]
مَتَى ما تُنَاخِي عِنْدَ بَابِ ابْنِ هَاشِمٍ تُرَاحِي، وتَلْقَيْ مِنْ فَوَاضِلِهِ يَدَا[2]
نَبِيٌّ يَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وذِكْرُهُ أَغار لَعَمْري فِي البِلَادِ، وأَنْجَدَا[3]
لَهُ صَدَقَاتٌ مَا تُغِبُّ، وَنَائِلٌ وليْسَ عَطَاءُ اليَوْمِ مَانِعَهُ غَدَا[4]
أَجِدَّكَ، لَمْ تَسْمَعْ وَصَاةَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الإِلَهِ، حِينَ أَوْصَى وأَشْهَدَا[5]:
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْحَلْ بِزَادٍ مِنَ التُّقَى، وَلَاقَيْتَ بَعْدَ المَوْتِ مَنْ قَدْ تَزَوَّدَا
نَدِمْتَ عَلَى أَنْ لَا تَكُونَ كَمِثْلِهِ، فَتُرْصِدَ لِلأَمْرِ الَّذِي كَانَ أَرْصَدَا[6]

وللأعشى أخبار كثيرة وشعر غزير. وقد اكتفينا من ذلك بما قدمناه ـ وسترى في معلقته من الشعر ما يدهش ويعجب.

---

(١) الكلالة: التعب (الحفى) أن يرقَّ حافر الفرس ونحوه وخفُّ البعير من كثرة المشي.

(٢) أناخ: ناقته: أبركها (تراحي) تجدي الراحة (الفواضل) النعم (يدا) نعمة وفضلاً. تقول: لفلان عندي يدٌ، أي معروف. فهي مجاز من إطلاق السبب وإرادة المسبب، لأن اليد سبب النعمة والمعروف.

(٣) أغار وأنجد: أتى الغور والنجد. والغور: المنخفض من الأرض، والنجد: المرتفع منها ـ والمعنى أن ذكره سار في أطراف الأرض. فكني بالغور والنجد عن ذلك ـ ولا يقال أغار بهذا المعنى وإنما يقال غار. وإنما قال: أغار لتشاكل أنجد.

(٤) ما تغب ما تتأخر، بل هي متواصلة.

(٥) أجدك: أي أبجدٍّ منك. وهو منصوب على نزع الخافض. وقيل المعنى اجدّاً منك. فهو حينئذ منصوب على أنه مفعول مطلق. وهذه الكلمة لا يتكلم بها إلا مضافة (الوصاة) الوصية.

(٦) ترصد: أي تترصد وتترقب.

معلقته وسبب نظمها:

معلقته قد جمعت رقَّة التشبيب، ورونق التشبيه، وروائع الفخر، وشديد الحماسة، في لفظ جَزْل، وأُسلوب رائع. وهي قصيدة غرّاء، تملك القلوب، وتسترق الأسماع، وتأسر الأفهام.

وذكروا في سبب نظمها أن رجلاً من (بني كعب بن سعد بن مالك) يقال له (ضُبَيع) قتل رجلاً من (بني هَمَّام) يقال له (زاهر بن سَيَّار) من (بني ذُهل بن شَيبان) فهمَّ قومه بقتل (ضُبَيع) فنهاهم (يَزيدُ ابن مُسهر). أن يقتلوه به (وكان ضُبيع مطروقاً[1] ضعيف العقل) وقال: اقتلوا به (سعيداً) من (بني سعد بن مالك) وحضَّ (بني سيَّار) على ذلك وأمرهم به. وبلغ (بني قيس) ـ وهم عشيرة سعيد ـ ما قاله (يزيد بن مُسهر). فقال (الأعشى) هذه القصيدة يأمره أن يدع (بني سيَّار) و(بني كعب)، ولا يُعين (بني سيَّار). فإنه إن أعانتهم أعانت بنو قيس بني كعب.

(١) المطروق: هو الذي به هَوجَ وحمق وخفة وجنون.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

نخبة من معلقته

وَدِّعْ هُـرَيْـرَةَ، إِنَّ الـرَّكْبَ مُـرْتَحِـلُ   وهَـلْ تُطِيقُ وداعـاً أَيُّهَا الـرَّجُلُ؟[١]
غَرَّاءُ، فَرْعَـاءُ؛ مَصْقُولٌ عَـوَارِضُهَا   تَمْشِي الهُوَيْنَا، كَمَا يَمْشِي الوَجِي الوَحِلُ[٢]
كَـأَنَّ مِشْيَتَهَـا مِنْ بَيْتِ جَـارَتِهَـا   مَـرُّ السَّحَابَـةِ: لَا رَيْثٌ وَلَا عَجَلُ[٣]
لَيْسَتْ كَمَنْ يَكْـرَهُ الجِيرَانُ طَلْعَتَهَـا   ولَا تَـرَاهَـا لِسِـرِّ الجَـارِ تَخْتَتِـلُ[٤]
يَكَـادُ يَصْـرَعُهَـا ـ لَـوْلَا تَشَـدُّدُهَـا،   إِذَا تَقُـومُ إِلَى جَارَاتِهَـا ـ الكَسَـلُ[٥]

---

(١) هريرة: اسم امرأة (الركب) أصحاب الإبل في السفر. ولا يقال لمن يسافر على غير الإبل ركب.

(٢) غراء: بيضاء حسنة (فرعاء) طويلة الفرع وهو الشعر التام (العوارض) جمع عارض. وهو صفحة العنق، وجانب الوجه. وأراد بالعوارض الأسنان التي بعد الثنايا والثنايا ليست من العارض. يريد أنها نقية الأسنان فكأنها مصقولة (تمشي الهوينا) تمشي على مهل (الوجي) الذي رق قدمه من المشي بلا نعلين. فهو بطيء المشي (الوحل) الذي وقع في الوحل، أو توحّلت رجلاه في الطين. فهو يمشي على مهل خشية أن تزلق رجلاه ـ يصفها بالتؤدة والتأني في مشيها فهي ليست بخرقاء.

(٣) لا ريث: لا بطء. أي هي تمشي مشياً فيه سكينة.

(٤) تختتل: تتسمع. يقال: اختتل الرجل، أي تسمع لسر القوم. فهو يرفع عنها عار التجسس.

(٥) يصرعها: يطرحها ويُسقطها (الكسل) أراد به الفتور..

إِذَا تَقُومُ يَضُوعُ المِسْكُ أَصْوِرَةً والزَّنْبَقُ الوَرْدُ مِنْ أَرْدَانِهَا شَمِلُ[1]
مَا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الحَزْنِ مُعْشِبَةٌ، خَضْرَاءُ، جَادَ عَلَيْهَا مُسْبِلٌ هَطِلُ[2]
يُضَاحِكُ الشَّمْسَ مِنْهَا كَوْكَبٌ شَرِقٌ، مُؤَزَّرٌ بِعَمِيمِ النَّبْتِ، مُكْتَهِلُ[3]؛
يَوْماً بِأَطْيَبَ مِنْهَا نَشْرَ رَائِحَةٍ، وَلَا بِأَحْسَنَ مِنْهَا إِذْ دَنَا الأُصُلُ[4]
قَالَتْ هُرَيْرَةُ لَمَّا جِئْتُ زَائِرَهَا: وَيْلِي عَلَيْكَ، وَوَيْلِي مِنْكَ يَا رَجُلُ
إِمَّا تَرَيْنَا حُفَاةً لَا نِعَالَ لَنَا، إِنَّا كَذَلِكَ مَا: نَحْفَى وَنَنْتَعِلُ[5]
وبَلْدَةٍ مِثْلِ ظَهْرِ التُّرْسِ، مُوحِشَةٍ، لِلْجِنِّ بِاللَّيْلِ فِي حَافَاتِهَا زَجَلُ[6]

---

(١) يضوع المسك: تفوح رائحته منتشرة (الأصورة) جمع صِوار وهو نافجة المسك أي وعاؤه. والمعنى: أنها إذا قامت تفوح منها رائحة المسك كما تفوح من أوعيته ونوافجه. وقد نصب «أصورة» على المفعولية المطلقة ليضوع (الورد) الأحمر وإنما ـ وصف الزنبق بذلك لأن أجوده ما كان يضرب إلى الحمرة (الأردان) أطراف الأكمام. ومفرده رُدْن (شمل) شامل أي أن رائحة الزنبق من أردانها عامة شاملة.

(٢) الحزن: ما غلظ من الأرض. ورياض الحَزْن أحسن الرياض (جاد عليها) أمطرها (مسبل) مطر مسبل سائل (هَطل) هاطل يروّي أرضها.

(٣) الكوكب: هو ما طال من النبات (شَرق) زاهٍ زاهر (مؤزر بعميم النبت) قد اتخذ ما يحيط به من النبات ازاراً له ولبوساً (مكتهل) قد تم طوله وظهرت أزهاره، فهو قد انتهى في التمام. يقال: إكتهل الرجل إذا صار كهلاً ولا يكون كذلك إلا بعد أن يتمَّ شبابه وتنتهي غلواءه، أي حدة شبابه.

(٤) النشر: الرائحة الطيبة (دنا) قرب (الأصل) جمع أصيل. وهو الوقت بعد العصر إلى المغرب.

(٥) أما ترينا: إن ترينا. وما المدغمة في إن زائدة (حفاة) جمع حافٍ (أنا كذلك): الأصل: فأنا كذلك. فالفاء مقدرة وتقديرها واجب لأن جواب الشرط جملة اسمية (ما) زائدة للتوكيد وليست بنافية لأن النفي لا معنى له هنا ـ والمعنى: أنا على هذه الحال نحفى تارة وننتعل ـ أي نلبس النعال ـ تارة أخرى. يريد أن الإنسان تارة يعتوره الفقر، وآونة يصيبه الغنى.

(٦) وبلدة: الواو واو رب فلذا جرَّت ما بعدها (مثل ظهر الترس) يريد إنها صلبة قوية ويصعب المرور فيها (حافاتها) نواحيها (زجل) صوت.

جَاوَزْتُهَا بِطَلِيحٍ ، جَسْرَةٍ، سُرُحٍ ، فِي مِرْفَقَيْهَا ـ إِذَا اسْتَعْرَضْتَها ـ فَتَلُ[1]
بَلْ هَلْ تَرَى عَارِضاً قَدْ بِتُّ أَرْمُقُـهُ ؛ كَـأَنَّمَا البَـرْقُ فِي حَافَـاتِـهِ شُعَـلُ[2]
لَـهُ رِدَافٌ، وَجَـوْزٌ مُفْـأَمٌ عَمِـلٌ ، مُنَـطَّقٌ بِسِجَـالِ المَـاءِ، مُتَّصِـلُ[3]
لِمْ يُلْهِنِي اللَّهْـوُ عَنْهُ ـ حِينَ أَرْقُبُـهُ ـ ولا اللَّذاذَةُ فِي كَـأْسٍ ، وَلَا شُغُلُ[4]
فَقُلْتُ لِلشَّرْبِ في دُرْنا ـ وَقَدْ ثَمِلُوا ـ: شِيموا وكَيْفَ يَشِيمُ الشَّارِبُ الثَّمِلُ[5]
أَبْلِغْ يَـزِيـدَ بَنِي شَيْبَـانَ مَـأْلُكَـةً: أَبَـا ثُبَيْتٍ، أَمَـا تَنْفَـكُّ تَـأْتَكِـلُ؟[6]

---

(١) جاوزتها: قطعتها (الطليح) الناقة الكالّة التعِبة من كثرة ما سارت (جسرة): طويلة عظيمة تجسر على الهول والمشقة (سُرُح) سهلة السير (استعرضتها) أتيتها من جانبها عَرضاً (الفتل) اندماج في مرفق الناقة. وقيل تباعد المرفقين عن الزور.
(٢) العارض: السحاب المعترض في الأفق (أرمقه) أنظر إليه (شعل) جمع شعلة.
(٣) له رادف: له توابع أي سحائب تردفه وتتبعه. والرادف جمع رديف وهو في الأصل: الراكب خلف الراكب (جوز) وسط. وجوز كل شيء وسطه (مفأم) ممتلىء. وأراد أنه ممتلىء من الماء (عمل) دائم البرق. يقال: عَمِل البرق، أي دام (منطق) بسجال الماء قد أحاطت به فصارت له كالنطاق الذي يشد به الوسط. و (السجال) جمع سَجْل وهو الدلو العظيمة. ولا يقال للدلو سجل إذا كانت فارغة (متصل) أي. أي متصل بعضه ببعض. ويريد أن هذا السحاب ليس بمتفرق.
(٤) أرقبه: أنظر إليه وأرصده. يريد أنه لم يُلهه عن النظر إلى هذا السحاب ـ الذي من صفته ما تقدم ـ شيء.
(٥) الشرب: القوم المجتمعون على الشراب، والمفرد شارب (درنا) إسم لمكان باليمامة (ثملوا) سكروا (شيموا) أنظروا إلى ضوء هذا البرق. والشيم: النظر إلى البرق خاصة (الثمل) السكران.
(٦) يزيد: أراد به يزيد بن مسهر الذي تقدم خبره في الكلام على سبب معلقة الأعشى (المألكة) بفتح اللام وضمها: الرسالة. ومثلها المألك والألوك والألوكة. وجمع الأولين مآلك، وجمع الآخرين ألائك (أبا ثبيت) منادى بحذف حرف النداء. و (أبو ثبيت) كنية يزيد بن مسهر المذكور (تأتكل) أي تأكل لحومنا بمعنى تغتابنا، أو ما تنفك يأكل بعضك بعضاً من الغيظ والحقد.

أَلَسْتَ مُنْتَهِيَـاً عَنْ نَحْتِ أَثْلَتِنَـا؟ وَلَسْتَ ضَائِرَهَـا مَا أَطَّتِ الإِبِـلُ[1]:

كَنَـاطِحٍ صَخْـرَةً يَـوْمـاً لِيُـوهِنَهَـا، فَلَمْ يَضِرْهَا، وَأَوْهى قَرْنَهُ الـوَعِلُ[1]

تُغْـرِي بِنَـا رَهْطَ مَسْعُـودٍ وإِخْـوَتِـهِ يَـوْمَ اللِّقَـاءِ، فَتُـرْدِي ثُمَّ تَعْتَـزِلُ[3]

لاَ تَقْعُـدَنَّ وَقَـدْ أَكَّلْتَهَـا حَـطَبـاً، تَعُـوذُ مِنْ شَرِّهَـا يَـوْمـاً، وتَبْتَهِـلُ[4]

سَـائِلْ بَنِي أَسَـدٍ عَنَّا؛ فَقَـدْ عَلِمـوا أَنْ سَوْفَ يَأْتِيـكَ مِنْ أَنْبَائِنَـا شَكَلُ[5]

وأَسْـأَلْ قُشَيْـراً وعَبْـدَ الله كُلَّهُـمُ واسْـأَلْ رَبِيعَةَ عنـا كَيْفَ نَفْتَعِـلُ؟[6]

إِنَّـا نُـقَـاتِلُهُـمْ؛ حَتَّـى نُقَـتِّـلَهُـمْ عِنْدَ اللِّقَاءِ،فَهُمْ جارُوا،وَهُمْ جَهِلُوا[7]

---

(١) عن نحت أثلتنا: أي عن ذمنا وتنقّصنا، يقال: نحت فلان أثلة فلان، إذا تنقصه وذمه. والأثلة هي الأصل، وواحدة الأثْل وهي شجرة الطرفاء. ونحت الأثلة كناية عمّا تقدم (ضائرها) ضاراً بها. يقال: ضاره الأمر يضيره، بمعنى أضر به (أطّت) حنّت. والأطيط والحنين: صوت الإبل. يريد أنك لا تضرُّ بنا أبداً مهمـا تنقّصتنا لأن النـاس يعرفـون حقيقتنا فلا يأبهون لذمك.

(٢) كناطح صخرة: أي أنك بعملك هذا كوعل ينطح صخرة ليوهنها، أي ليضعفها (أوهى) أضعف (الوعل) حُيوان شبيه بالغزال. ويقال: هو تيس الجبل. ويجوز فيه سكون العين وكسرها. ومؤنثه وعلة.

(٣) تغري بنا رهط مسعود: أي تحرشهم علينا وتدفعهم لمناوأتنا وقد تقدمت قصة ذلك في الكلام عن معلقته. و(الرهط) قوم الرجل وعشيرته. ويطلق أيضاً ـ في غير هذا المقام ـ على عدد يجمع من الثلاثة إلى العشرة وليس فيهم إمرأة (تردي) تهلك. أي تهلك الناس بسبب إغرائك ثم تعتزل وتبتعد كأنك لم تجن جناية ولم يكن لك يد في هذا الإفساد.

(٤) أكلتها: الضمير يعود إلى الحرب المعروفة من المقام. ومعنى أكلّتها: أشعلتها وأوقدتها (تبتهل) تدعو إلى الله أن يصرف شرها.

(٥) سائل: أسأل (الأنباء) الأخبار. مفردها نبأ (شكل) إختلاف، والمعنى: سيأتيك عنا أخبار وأنباء مشكلة يصعب عليك حلها.

(٦) إسأل قشيراً وعبد الله وربيعة: أي إسأل بني قشير وبني عبد الله وبني ربيعة (كيف نفتعل) كيف نفعل أفعالاً لم نُسبق إليها. ويقال: إفتعل الأمر. أي أبتدعه إبتداعاً غير مسبوق إلى مثله.

(٧) جاروا: ظلموا.

لَئِنْ قَتَلْتُمْ عَمِيـداً لَمْ يَكُنْ صَـدَداً		لَنَقْتُلَنْ مِثْلَهُ مِنْكُمْ، فَنَمْتَثِـلُ(١)
لَئِنْ مُنِيتَ بِنَـا عَنْ غِـبِّ مَعْـرَكَـةٍ		لاَ تُلْفِنَـا عَنْ دِمَـاءِ القَـوْمِ نَنْتَقِـلُ(٢)
لاَ تَنْتَهُـونَ (ولَنْ يَنْهَى ذَوِي شَـطَطٍ		كَالطَّعْنِ يَذْهَبُ فِيهِ الزَّيْتُ والفُتُلُ)(٣)
حَتَّى يَـظَلَّ عَمِيدُ القَـوْمِ مُـرْتَفِقـا،		يَـدْفَعُ بِـالرَّاحِ عَنْـهُ نِسْـوَةٌ عُجُـلُ(٤)
أَصَـابَـهُ هُنْـدُوانِيٌّ فَـأَقْصَـدَهُ،		أَوْ ذَابِـلٌ مِنْ رِمَاحِ الخَطِّ مُعْتَـدِلُ(٥)
كَـلاَّ، زَعَمْتُمْ بِـأَنَّـا لاَ نُقَـاتِلُكُمْ		إِنَّـا لأَمْثَالِكُمْ ـ يَـا قَـوْمَنـا ـ قُتُـلُ(٦)

---

(١) عميد القوم: سيدهم وسندهم الذي يعمدون إليه في حاجاتهم ويعتمدون عليه في أمورهم. وأراد به سعيداً من بني سعد بن مالك، وهو الذي حض يزيد بن مسهر القوم على قتله بزاهر بن سيّار كما تقدمت القصة في الكلام على معلقته (صدداً) مقارباً. وأراد مقارباً لجناية قتل صاحبكم (نمتثل) نقتل الأماثل منكم فنقتصَّ منها. والأماثل من الناس: خيارهم.

(٢) منيت: أبتليت (عن غب معركة) بعد عاقبتها ونهايتها. وغبّ كل شيء: عاقبته (لا تلفنا) لا تجدنا.

(٣) الشطط: الخروج عن منهج الصواب والعدل (كالطعن) الكاف هنا اسم بمعنى مثل مبنية على الفتح وهي مرفوعة المحل على أنها فاعل ينهى. أي لا ينهى ذوي الشطط عن شططهم مثل الطعن الواسع الذي تغيب في جرحه الفتيلة ويذهب الزيت. والفتل: جمع فتيلة. والبيت من شواهد النّحاة على اسمية الكاف.

(٤) مرتفقاً: متكئاً على مرفقه. يقال: ارتفق الرجل، أي طلب رفيقاً، واستعان، واتكأ على مرفق يده. ومنه قولهم: «على سؤددك ارتفق» أي استند. يقال لمن يتكل على غيره ولا يتكل على نفسه (الراح) الأكف. وهي جمع راحة بمعنى الكف (العجل) جمع عجول وهي المرأة الواله، والثكلى ـ والمعنى: لا تنتهون عن غيكم حتى نترك ساداتكم في ساحة الحرب تدفع عنهم النساء الولّه أو الثكالى لئلا يُداسول بعد القتل.

(٥) الهندواني: السيف من صنع الهند. «أقصده» قتله. يقال: أقصده السهم، أي أصابه فقتله مكانه. وأقصد السهمُ أي أصاب فقتل مكانه. فهو لازم متعدٍّ «الذابل» الرمح «الخط» مرفأ السفن بالبحرين وإليه تُنسب الرماح الخَطية لأنه مكان مبيعها لا مكان منبتها لأنها كانت تُجلب من الهند وتقوَّم في الخط وتُباع على العرب.

(٦) قُتُل: قاتلون. وهي جمع قتول. مبالغة من القتل: ويكون القُتُل ـ في غير هذا المقام ـ جمع قتيل أيضاً.

نَحْنُ الفَـوَارِسُ يَوْمَ الحِنْـوِ ضَاحِيَـةً جَنْبَيْ فُـطَيْمَةَ، لاَ مِيـلُ، وَلاَ عُزُلُ[1]

قَالُوا: الصِّرَادُ، فَقُلْنَا: تِلْكَ عَادَتُنَا، أَوْ تَنْـزِلُـونَ، فَـإِنَّـا مَعْشَــرٌ نُـزُلُ[2]

* * * * * *

(١) يوم الحنو: هو يوم ذي قار الذي تقدم خبره في الصفحة «٢٦٣». ويقال: إن الواقعة كانت في حنو ذي قار. والحنو يبعد ليلة عن ذي قار «ضاحية» علانية، أو بارزة «فطيمة» في الأصل تصغير فاطمة. وهو تصغير ترخيم بحذف الزوائد. وأراد به موضعاً بالبحرين مسمى بهذا الاسم كانت فيه وقعة بني شيبان وبني ضُبيعة وتغلب، ظفر فيها بنو تغلب على بني شيبان. فهو يقول: نحن الفوارس في هذين اليومين: يوم الحنو، ويوم فطيمة «الميل» جمع أميل، وهو الجبان الذي لا يثبت في الحرب، أو الذي يميل عن السرج ولا يثبت على الخيل «العزل» جمع أعزل، وهو من لا سلاح معه. وأصلها عُزْل بضم الغين وسكون الزاي. وضمت الزاي هنا اتباعاً للعين.

(٢) قالوا الطراد، ويروى قالوا الطعان. والمعنى: إن طاردتم بالرماح فتلك عادتنا. وإن نزلتم للمجادلة بالسيوف نزلنا. ويروى: «إن تركبوا فركوب الخيل عادتنا» «نزل» نازلون، وهو جمع نازل. وهو جمع عزيز نادر يحفظ ولا يُقاس عليه.



٩

النابغة الذبياني

توفي سنة (٦٠٤) م. وسنة (١٨) قبل الهجرة

هو (زِياد بن معاوية بن ضِباب) وينتهي نسبه إلى (سعد بن ذُبيان). ثم إلى (مُضَر بن نِزار بن مَعَدِّ بن عَدنان). وكنيته (أبو أُمامة) وإنما لُقب بالنابغة لنبوغه في الشعر وبلوغه منه مبلغ الفحول. وقيل: بل لغير ذلك وما ذكرناه هو أقرب إلى الحق.

وهو أحد الأشراف الذين غضَّ الشعر منهم[١]. وهو من الطبقة الأولى المقدَّمين على سائر الشعراء.

وكان يُضرب له قُبَّة من أدم[٢] بسوق عكاظ. فتأتيه الشعراء. فتعرض عليه أشعارها. فكان أول من أنشده في أحد المواسم (الأعشى) ثم (حسَّان بن ثابت) ثم أنشدته الشعراء. ثم أتته (الخنساء) أخت (صخر) فأنشدته قصيدة. منها قولها في أخيها صخر:

وإنَّ صَخراً لَتَأْتَمُّ الهُداةُ بِهِ، كَأَنَّهُ عَلَمٌ في رَأْسِهِ نارُ[٣]

---

(١) أي تنقّصهم ووضع من قدرهم.
(٢) الأدم الجلد.
(٣) تأتم: تقتدي «الهداة» جمع هادٍ «العلم» الجبل.

فقال: «والله لولا أن أبا بصير (يعني الأعشى) أنشدني آنفاً لَقُلتُ أنك أشعر الجن والإنس». فقام إليه حسان، فقال: «والله لأَنَا أشعر منك ومن أبيك» فقال له النابغة: «يـا ابن أخي، إنك لا تُحسن أن تقول:

فَإِنَّكَ كَـاللَّيْلِ الَّـذِي هُوَمُـدْرِكِي، وإنْ خِلْتُ أَنَّ الْمُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعُ[1]

فخنس حسَّان لقوله[2]:

ما جرى للنابغة مع النعمان بن المنذر:

كان (النابغة) كبيراً عند (النعمان بن المنذر). وكان من ندمائه وأهل أنسه. وكان مقدَّماً لديه على كل ما يتقرب منـه. فكثر مـاله، ووفرت نعمته لـذلك. حتى إنـه لم يكن يأكـل إلا في آنية الـذهب والفضة من عطاياه وعطايا أبيه وجده، ولا يستعمل غير ذلك.

غير أن الوشاية والحسد كالنار تصيب الخشب فتلتهمه التهاماً. فقد غضب النعمان على النابغة بوشاية (المنخَّل بن عبيد اليشكري).

وذلك: أن النابغة والمنخَّل كانا جـالسين عند النعمـان (وكان النعمان دميماً أبرش[3] قبيح المنظر. وكان المنخَّل من أجمل العرب وكان يُرمى بالمتجرّدة زوجة النعمان. فقال النعمان للنـابغة: «يـا أبا أمامة صفِ المتجرَّدة في شعرك». فقال قصيدتـه التي وصفها فيهـا. (وسيأتي ذكر نبذة منها) وقد وصف فيها كل أعضائها حتى ما يُستقبح

(١) المنتأى: الموضع النائي البعيد.
(٢) أي تنحّى وتأخر وانقبض.
(٣) الدميم، بالدال المهملة: القبيح المنظر «الأبرش» الأبرص.

ذكره. وكان المنخَّل فاسقاً. وكان النابغة عفيفاً تقياً. فلحقت المنخَّلَ من ذلك غيرة. فقال للنعمان: «ما يستطيع أَن يقول هذا الشعر إلَّا من جَرَّب». فوقر ذلك في نفس النعمان. فخافه النابغة فهرب إلى ملوك غسان بالشام.

فلما صار النابغة إلى غسان نزل على (عمرو بن الحارث الأصغر ابن الحارث الأعرج[1] بن الحارث الأكبر). فمدحه ومدح أخاه (النعمان) ولم يزل مقيماً مع (عمرو) حتى مات. وملك أخوه (النعمان) فصار معه.

وكان في أثناء ذلك يمدح النعمان بن المنذر ويعتذر إليه. ويتبرَّأ مما وشى به المنخل. فقال في ذلك قصائد هي قلائد العقيان، وكانت هي أشعر شعره.

ثم أتى إلى النعمان بعد هربه منه. وقد سُئل (عمرو بن العلاء) فقيل له: «أمن مخافته امتدحه وأتاه بعد هربه منه، أم لغير ذلك؟». فقال: «لَا لَعمرُ الله، لا لمخافته فعل. إن كان لآمِناً من أن يوجِّه إليه جيشاً. وما كانت عشيرته لِتُسلمه لأول وهلة. ولكنه رغب في عطاياه وعصافيره»[2].

وقد حدث (حسان بن ثابت) أنه قدم على النعمان بن المنذر وقد امتدحه. فأمر له بجائزة سنية. وبقي ببابه إلى أن قدم (النابغة) بعد

---

(١) أم الحارث الأعرج: مارية بنت ظالم. وهي ذات القرطين اللذين يُضرب بهما المثل. فيقال لما كان غالي الثمن: «هو أغلى من قرطي مارية».

(٢) العصافير: إبل نجائب كرائم كانت للنعمان بن المنذر. والجمل العصفوري هو ذو السنامين.

هربه من النعمان وهو في جوار رجلين من (فزارة) كان بينهما وبين النعمان خاصَّة فضرب عليهما قُبَّة أدم. ولم يشعر بأن النابغة معهما. وقد دسَّ النابغة قَيْنَةً[1] لتغَنِّي النعمان بشعره:

يـا دَارَ مَيَّـةَ بِـالعَلْيَـاءِ فَـالسَّنَـدِ أَقْوَتْ، وطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الأَبَـدِ[2]

فلما سمع الشعر قال: «أُقسم بالله إنه لَشعرُ النابغة». وسأل عنه فأخبر أنه مع الفزاريين. فخرج إليه فعارضه الفزاريان، وقالا له: «أبيت اللعن. لا تثريب[3]. قد أجرناه والعفو أجمل». فأمَّنه واستنشده أشعاره.

قال حسان: «فحسدته على ثلاث، لا أدري على أيتهنَّ كنت له أشدَّ حسداً: على إدناء النعمان له بعد المباعدة ومسامرته له وإصغائه إليه؟، أم على جودة شعره؟، أم على مئة بعير من عصافيره أمر له بها؟».

وقيل: إن السبب في رجوعه إلى النعمان أنه بلغه مرضه وأنه لا يُرجى فأقلقه ذلك. ولم يملك الصبر على البعد عنه مع عِلته. فصار إليه. وألفاه محموماً على سريره يُنقل ما بين الغَمر وقصور الحيرة[4]. فقال لحاجبه (عِصام بن شَهْبَرَة)[5]:

---

(١) قينة: مغنية.
(٢) سيأتي تفسيره في معلقته.
(٣) أي لا حرج ولا ملامة.
(٤) الغمر في الأصل: هو الماء الكثير المغرق.
(٥) عصام هذا هو الذي قال فيه الشاعر:
نفسُ عصام سوَّدت عصاماً وعلَّمته الكرَّ والإقداما
وفي المثل «كن عصامياً، ولا تكن عظامياً» أي أشرُف بنفسك كعصام، لا بآبائك الذين صاروا عظاماً.

أَلَـمْ أُقْسِـمْ عَلَيْـكَ، لِـتُخْبِـرَنِّي أَمَحْمُـولٌ عَلَى النَّعْشِ الهُمَـامُ؟[١]
فَـإِنِّي لاَ أَلُـومُـكَ فِي دُخُـولِـي ولَكِنْ، مَـا وَرَاءَكَ يَـا عِصَـامُ؟[٢]
فَـإِنْ يَهْلَكْ أَبُـو قَـابُـوسَ يَهْلِكْ رَبِيـعُ النَّـاسِ، والشَّهْـرُ الحَـرَامُ[٣]
ونُمْسِـكْ بَعْـدَهُ بِـذِنَـابِ عَيْشٍ أَجَبِّ الـظَّهْـرِ، لَيْسَ لَـهُ سَنَامُ[٤]

---

(١) النعش ـ كما أنه يطلق على سرير الميت ـ يُطلق على مركب شبه الهودج، وهو المراد هنا. قال أبو عبيدة: كانت ملوك العرب إذا مرض أحدهم حملته الرجال على أكتافها يتعاقبونه. فيكون كذلك على أكتاف الرجال. لأنه عندهم أوطأ له من الأرض» ومعنى أوطأ له من الأرض: أن ذلك يكون أسهل له وأكثر راحة مما لو وضع على الأرض (الهمام) الملك العظيم الهمة. ويُطلق أيضاً على السيد الشجاع السخي.

(٢) أي لا ألومك على عدم دخولي لأني محجوب عنه. ولكن أخبرني عما وراءك من حقيقة أمر الملك. وقوله: «ماوراءك يا عصام» جرى مثلاً في الاستخبار.

(١) أبو قابوس: كنية النعمان ابن المنذر. وقابوس ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة لأنه معرَّب كاووس. كذا قالوا. والذي نراه أنه عربي مأخوذ من القبس وهو الشعلة من النار. والقابوس لغةً، هو الرجل الجميل الوجه الحسن اللون. ونرى أن منعه من الصرف للعلمية وشبه العجمة (ربيع الناس) عيشهم المخصب، يريد أنه كالربيع في الخصب لمجتديه لكثرة فضله وعطائه (الشهر الحرام) يريد أنه موضع آمن فلا يوصل إلى من أجاره كما لا يوصل في الشهر الحرام إلى أحد.

(٢) الذناب: عقب كل شيء ومؤخره، وخيط يُشد به ذنب البعير لئلا يخطر بذنبه فيلطخ راكبه. وهذا المعنى هو المراد هنا، لأنه شبه العيش بجملٍ أجبِّ الظهر أي مقطوعه بمعنى أنه لا سنام له. فهو يقول: إنا بعده سنكون في ضيقٍ من العيش، كمن يمسك بذناب بعير لا سنام له. وذلك أن البعير إذا قُطع سنامه أو أكله الرحل لا ينمو. فكأنه كان لعيشهم بمنزلة السنام للبعير، فإذا ذهب سنامه لم يُرجَ منه خير.

موت النابغة:

قالوا: نبغ النابغة بالشعر بعد ما احتنك[1]. وهلك قبل أن يُهتر[2]. ولم أرَ من ذكر ما بلغ من العمر. غير أنهم قالوا: قد أسنَّ وكبر توفي في السنة التي قُتل فيها (النعمان بن المنذر) وكان وفاته سنة (٦٠٤) لميلاد المسيح عليه السلام. وسنة (١٨) قبل الهجرة.

الكلام على شعره:

هو أحد فحول شعراء الجاهلية، ومن أعيانهم المذكورين. ويقال: أنه كان أحسن الناس ديباجة شعر، وأكثرهم رونق كلام، وأجزلهم بيتاً. كان شعره كلاماً ليس فيه تكلُّف. وقد عده (الجمحي) في الطبقة الأولى بعد امرىء القيس. وكان لا ينسج كلامه إلَّا على منوال الفصاحة، ولا يخيطه إلَّا بخياط[3] البلاغة. فشعره متين السبك، جيد الحبك، صافي الديباجة، واضح المعاني. وقد شهد له عمر بن الخطاب وأبو الأسود الدُّؤلي وحمَّاد الراوية والأخطل وجميع صاغة الشعر[4]. ويكفيه أنه كانت تُضرب له القبة في سوق عكاظ لتعرض عليه الشعراء أشعارها.

روى (الشعبي) أن عمر بن الخطاب قال: من أشعر الناس؟. قالوا: أنت أعلم يا أمير المؤمنين. قال من الذي يقول:

---

(١) طعن في السن.
(٢) أي يفقد عقله.
(٣) الخياط: الإبرة التي يخاط بها.
(٤) صاغة: جمع صائغ.

أَلَّا سُلَيْمَـانَ، إذْ قَـالَ الإلَـهُ لَـهُ: قُمْ فِي البَرِيَّةِ، فَاحْدُدْهَا عَنِ الفَنَدِ[1]
وخَيِّسِ الجِنَّ، إنِّي قَـدْ أَذِنْتُ لَهُمْ يَـبْنُـونَ تَـدْمُـرَ بِـالصُّفَّـاحِ والعَمَـدِ

قالوا: هو النابغة. فقال: فمن الذي يقول:

حَلَفْتُ، فَلَمْ أَتْـرُكْ لِنَفْسِـكَ رِيبَـةً ولَـيْسَ وَرَاءَ الله لِلْمَـرْءِ مَـطْلَبُ[2]
وَلَـسْتَ بِـمُسْتَبِـقٍ أَخَـاً لَا تَـلُمُّـهُ عَلَى شَعَثٍ أَيُّ الرِّجَالِ المُهَـذَّبُ؟

قالوا: هو النابغة. قال: فمن الذي يقول:

أَتَيْتُـكَ عَـارِيـاً، خَلَقـاً ثِيَـابِي، عَلَى وَجَـلٍ، تُـظَنُّ بِيَ الـظُّنُـونُ[3]

قالوا: هو النابغة. قال: فهو أشعر العرب.

وقام رجل إلى (ابن عباس) فقال: أي الناس أشعر؟ فقال ابن عباس: أخبره يا أبا الأسود[4]. قال: الذي يقول:

فَإِنَّكَ كَـاللَّيْلِ الَّـذِي هُوَ مُـدْرِكِي، وإِنْ خِلْتُ أَنَّ المُنْتَـأَى عَنْكَ وَاسِـعُ

ورُوِيَ عن الأصمعي أنـه قال: «سـألت بشّاراً الأعمى[5]: مَن أشعر الناس؟. فقال: اختلف الناس في ذلك. فأجمع أهل البصـرة على امرىء القيس وطَرَفة بن العبد، وأجمع أهل الكوفة على بِشر بن

---

(١) سيأتي تفسير البيتين في معلقته.
(٢) سيأتي تفسيرها.
(٣) الخَلَق من الثياب: هو البالي (الوجل) الخوف.
(٤) هو أبو الأسود الدؤلي.
(٥) هو بشار بن بُرْد.

أبي حـازم والأعشى الهمداني، وأجمـع أهل الحجـاز على النابغـة وزُهير، وأجمع أهل الحجاز على جَرير والفرزدق والأخطل».

ورويَ عنه أيضاً أنه قال: «أول ما تكلم به النابغة من الشعر أنه حضر مع عمه عند رجل. وكان عمه يشاهد به النـاس، ويخاف أن يكون عييّاً. فوضع الرجل كأساً في يده، وقال:

تَـطِيبُ كُؤوسُنَـا، لَـوْلاَ قَـذَاهَـا، ويَحْتَمِـلُ الجَلِيسُ عَـلَى أَذَاهـا[1]

فقال النابغة وقد حميَ لذلك:

قَــذَاهَــا أَنَّ شَــارِبَـهَـا بَـخِـيـلٌ يُحَـاسِبُ نَفْسَـهُ؛ بِكَمْ اشْتَـرَاهَـا

قالوا: وكان النابغة يُقوي[2] في شعره. وكان مهيباً لا يستطيـع أحد أن يقول له: أقويت. فقدم المدينة فأنشد الناس قصيدة له كان قد أقوى فيها:

فما تجاسر أحد أن ينبهه إلى ذلك. فـأتوه بقَينـة فغنت بهذين البيتين منها أمامه:

سَقَطَ النَّصِيفُ، ولَمْ تُـرِدْ إِسْقَـاطَـهُ فَتَنَـاوَلَتْـهُ، واتَّقَـتْنَـا بِـالـيَـدِ[3]
بِمُخَضَّبٍ رَخْصٍ، كَـأَنَّ بَنَـانَـهُ عَنَمٌ، يَكَـادُ مِنَ اللَّطَافَـةِ يُعْـقَـدُ

فمدَّت القينة صوتها باليدِ فصـارت الكسرة يـاء، ومدَّت يعقـدُ فصارت الضمة واواً. فتنبه. ولم يعد إلى الإقواء. وغيَّر الشطر الأخير،

---

(١) القذى هو ما يسقط في الشراب فيؤذيه. ويقال أيضاً لما يصيب العين فيؤذيها قذى أيضاً.
(٢) الأقواء: هو مخالفة القوافي برفع القافية وجر أخرى كما سترى في البيتين.
(٣) سيأتي تفسير البيتين.

وجعله: «عَنَمٌ على أَغْصَانِهِ لم يُعْقَدِ». وقد قال: «دخلت (يَثرِب) وفي شعري بعض العاهة، فخرجتُ منها وأنا أشعر الناس».

ومن غرر شعره قصيدته التي يصف بها المتجرِّدة.

وقد تقدم خبر ذلك. ومطلعها:

أَمِـنْ آلِ مَيَّـةَ رَائِـحٌ أَوْ مُـغْـتَـدِ؟ ... عَجْـلاَنَ، ذَا زَادٍ، وَغَيْـرَ مُـزَوَّدِ(١)

زَعَـمَ البَـوَارِحُ أَنَّ رِحْـلَتَنَـا غَـداً ... وبِـذَاكَ تَنْعَـابُ الغُـرَابِ الأَسْـوَدِ(٢)

لَا مَـرْحَبـاً بِغَـدٍ، وَلا أَهْـلاً بِـهِ، ... إِنْ كَـانَ تَفْـرِيقُ الأَحِبَّـةِ فِي غَـدِ

أَزِفَ التَّـرَحُّـلُ، غَيْـرَ أَنَّ رِكَـابَنَـا ... لَمَّـا تَـزُلْ بِـرِحَـالِنَـا، وَكَـأَن قَـدِ(٣)

في إِثْـرِ غَـانِيَـةٍ رَمَتْـكَ بِسَهْمِهَـا، ... فَأَصَابَ قَلْبَـكَ غَيْرَ أَنْ لَمْ تُقْصَـدِ(٤)

---

(١) ميـة: إسم امرأة (رائح) ذاهب وقت الرواح وهـو العشي أو هو من الزوال إلى الليل (المغتدي) الذاهب وقت الغدوة وهي البكرة (عجلان) من العجلة وهي السرعة (ذا زاد) المراد بالزاد هنا ما كان من تسليم ورد تحية. قال الأصمعي يخاطب نفسه، يقـول: أأنت: رائح أو مغتد. أي أتروح اليوم أم تغتدي غداً.

(٢) البوارح: جمع بارح، والبارح ما مر من الطير والوحش من يمينك إلى يسارك. والعرب تتطير به. لأنه لا يمكنك أن ترميه حتى تنحرف. وعكسه السانح. وهم يتيمنون به لأنه أمكن للرمي والصيد ـ وكان من عادة العرب أنهم إذا أرادوا إبرام أمر أطلقوا الطير فإن مرت من ميامنهم تيمنّوا وإن مرَّت من مياسرهم تطيروا وتشاءموا (تنعاب الغراب) صياحه. ويروى الغداف بدل الغراب وهو بمعناه.

(٣) أزف، ويروى أفد، وكلاهما بمعنى: قرب ودنا (الركاب) الإبل التي يُسار عليها (تزل) تذهب (الرحال) جمع رَحْل وهو مركب يوضع على البعير (وكأن قد) وكأنها قد زالت. والمعنى قد قرب وقت ذهابها.

(٤) في إثر غانية: أي بعدها (الغانية) المرأة المستغنية بجمالها عن الزينة (رمتك بسهمها) أي بلحظها شبه لحظها بالسهم لأنهما كليهما فتّاكان (لم تقصد) لم تقتل. يقـال: رماه فأقصده، أي قتله مكانه.

كَمُضِيئَـةٍ صَـدَفِيَّـةٍ، غَـوَّاصُهَـا بَهِـجٌ، مَتَى يَنْـظُرْ إِلَيْهَـا يَسْجُـدِ(١)
لَـوْ أَنَّهَـا عَـرَضَتَ لأَشْمَطَ رَاهِبٍ، يَخْشَى الإِلَـهَ، صَـرُورَةٍ، مُتَعَبِّـدِ(٢)
لَـرَنَـا لِبَهْجَتِهَـا وحُسْنِ حَـدِيثِهَـا، ولَخَـالَهُ رُشْـداً، وإِنْ لَمْ يَرْشُـدِ(٣)
قَـامَتْ تَـرَاءَى ـ بَيْنَ سَجْفَيْ كِلَّةٍ ـ كَالشَّمْسِ، يَوْمَ طُلُوعِهَا بِالأَسْعَدِ(٤)
سَقَطَ النَّصِيفُ ـ ولَمْ تُرِدْ إِسْقَاطَـهُ ـ فَتَنَـاوَلَتْـهُ، واتَّقَـتْنَـا بِـالـيَـدِ(٥)
بِمُخَضَّبٍ رَخْصٍ، كَـأَنَّ بَنَـانَـهُ عَنَمٌ عَلَى أَغْصَـانِـهِ، لَمْ يُعْقَـدِ(٦)
وَبِفَـاحِمٍ رَجْـلٍ، أَثِيثٍ نَبْتُـهُ، كَالكَرْمِ، مَالَ عَلَى الدِّعَامِ المُسْنَدِ(٧)

---

(١) كمضيئة: أي كدرَّة مضيئة (صدفية) منسوبة إلى الصدف وهو وعاء الدر (غواصها) الذي يغوص عليها ليستخرجها من البحر (بهج) فرح ـ والمعنى إن من رأى هذه الغانية يسجد أمامها كما يغوص الغواص على الدرة متى رآها تلمع في قعر الماء.

(٢) الأشمط: ذو الشيب (الراهب) واحد الرهبان الذين ينزوون في الصوامع للعبادة. وهو مأخوذ من الرهبة أو الرهبانية بمعنى الخوف أو التعبد (الصرورة) الذي لم يتزوج ولم يأت النساء. وهو مأخوذ من الصر بمعنى الحبس والمنع.

(٣) رنا: أدام النظر (خاله) ظنه (الرشد) ضد الغي.

(٤) تراءى: أصلها تتراءى أي تتعرض لنا لنارها (السجف) الستر. وجمعه سجوف وأسجاف (الكله) غشاء رقيقٌ يتوَقى به من البعوض. ويعرف عندنا اليوم بالناموسية (الأسعد) هو يوم من أيام آخر الربيع قد سكنت فيه رياح الشتاء فأحسن ما تكون الشمس والقمر والنجوم في أيامها. وقيل الأسعد من برج الحمل. وأتم ما يكون ضياؤها فيه.

(٥) النصيف: الخمار (اتقتنا) تحفظت منا بيدها بمعنى أنها إستترت بها.

(٦) بمخضب: كف مخضب أي مزين بالخضاب. والجار متعلق بقوله تناولته أي ـ تناولت النصيف بكف مخضب. والمعنى أنها تناولت خمارها بيد وإستترت منا باليد الأخرى «رخص» ناعم لين البشرة رقيقها «البنان» الأصابع «العنم» شجر حجازي لين الأغصان له ثمر أحمر، ويشبّه البنان المخضوب.

(٧) وبفاحم: أي استترت منا باليد وبشعر فاحم أي أسود شديد السواد. بمعنى أنها أرسلت ذلك الشعر على وجهها كيلا يرى «رجل» بسكون الجيم وكسرها: أي ليس بسبط ولا جعد «أثيث» كثير مع التفاف «الكرم» العنب «الدعام» العماد «المسند» الذي نصب ليتكىء عليه العنب. أي أن شعرها كثير ملتف فكأنه عناقيد عنب موضوعة على عمادها.

نَظَرَتْ إِلَيْكَ بِحَاجَةٍ لَمْ تَقْضِهَا، نَظَرَ السَّقِيمِ إِلَى وُجُوهِ العُوَّدِ[1]
وتَخَالُهَا فِي البَيْتِ - إِذْ فَاجَأْتَهَا - قَدْ كَانَ مَحْجُوباً سِرَاجُ المَوْقِدِ

ومن شعره (يمدح عمرو بن الحارث الأعرج الغساني) قوله:

كِلِينِي لِهَمٍّ - يَا أُمَيْمَةَ - نَاصِبِ، ولَيْلٍ - أُقَاسِيهِ - بَطِيءِ الكَوَاكِبِ[2]
تَطَاوَلَ، حَتَّى قُلْتُ: لَيْسَ بِمُنْقَضٍ، ولَيْسَ الَّذِي يَهْدِي النُّجُومَ بِآيِبِ[3]
وَصَدْرٍ أَرَاحَ اللَّيْلُ عَازِبَ هَمِّهِ، تَضَاعَفَ فِيهِ الحُزْنُ مِنْ كُلِّ جَائِبِ[4]
عَلَيَّ لِعَمْرٍو نِعْمَةٌ - بَعْدَ نِعْمَةٍ لِوَالِدِهِ - لَيْسَتْ بِذَاتِ عَقَارِبِ[5]
لَهُمْ شِيمَةٌ لَمْ يُعْطِهَا اللهُ غَيْرَهُمْ مِنَ النَّاسِ والأَحْلَامُ غَيْرُ عَوَازِبِ[6]
مَجَلَّتُهُمْ ذَاتُ الإِلَهِ ودِينُهُمْ قَوِيمٌ فَمَا يَرْجُونَ غَيْرَ العَوَاقِبِ[7]

---

(١) العوَّد: جمع عائد وهو من يعود المريض أي يزوره.

(٢) كليني لِهَمّ: دعيني وهمي «يا أُميمة» قال في الأغاني: هكذا رُوِيَ مفتوح الهاء. قال الخليل: من عادة العرب أن تنادي المؤنث بالترخيم. فنقول: يا أُميمَ ويا عَزَّ ويا سلمَ. فلما لم يرخِّم لعدم حاجته إلى الترخيم أجراها على لفظها مرخمة وأتى بها بالفتح «ناصب» متعب أو بمعنى ذي نصب أي تعب كما قالوا لابنٌ وتامر «أقاسية» أكابده «بطيء الكواكب» كواكبه بطيئة في السير. أي أن كواكبه لا تجري ولا تغيب ولا تزول. وانقضاء الليل لا يكون إلا بزوالها.

(٣) تطاول: ويروى تقاعس. والمعنى واحد «الذي يهدي النجوم» هو أول النجوم الطالعة. وهادي كل شيء أوله والمتقدم عليه «آيب» راجع أو ليس بغائب. كما يقال آبت الشمس إذا غابت.

(٤) أراح: ردّ. من قولهم: أراح الإبل وأروحها أي ردَّها إلى المُراح أي المأوى «عازب همه» ماضيه.

(٥) أي علي لعمرو نعمة حديثة بعد نعمة قديمة لوالده عليَّ «ليست بذات عقارب» أي ليست بذات منّ ولا أذى. وشبه المنّ بالمعروف بالعقرب لأنه يلدغ لدغاً معنوياً.

(٦) شيمة: طبيعة وخُلُق «الأحلام» العقول «عوازب» غابة.

(٧) المجلة: الكتاب المتضمن للحكمة، أو كل كتاب. وأراد بالمجلة الإنجيل وهو كتاب الله لأن الممدوحين كانوا نصارى «ذات الآله» أي كلامه لأنه صادر عن الذات. ويروى =

إِذَا مَا غَزَوْا بِـالجَيْشِ حَلَّقَ فَوْقَهُمْ عَصَـائِبُ طَيْرٍ، تَهْتَـدِي بِعَصَائِبِ(١)
عَلَى عَـارِفَاتٍ لِلطِّعَـانِ، عَوَابِسٍ، بِـهِنَّ كُـلُومٌ، بَيْـنَ دَامٍ وَجَـالِبِ(٢)
إِذَا اسْتُنْـزِلُـوا لِلطَّعْنِ عَنْهُنَّ أَرْقَلُوا
إِلَى المَوْتِ، إِرْقَالَ الجِمَالِ المَصَاعِبِ(٣)
وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ، غَيْـرَ أَنَّ سُيُـوفَهُمْ بِهِنَّ فُلُولٌ؛ مِنْ قِـرَاعِ الكَتَـائِبِ(٤)
تُخُيِّـرْنَ مِنْ أَزْمَـانِ يَـوْمِ حَلِيمَـةٍ إِلَى اليَوْمِ قَدْ جُرِّبْنَ كُلَّ التَّجَارِبِ(٥)
تَجُذُّ السَّلُوقِيَّ المُضَاعَفَ نَسْجُـهُ، وَتُـوقِدُ بِـالصُّفَّاحِ نَـارَ الحُبَاحِبِ(٦)

= مجلتهم ذات الآله، بالحاء أي مسكنهم بيت المقدس وناحية الشام وهي منازل الأنبياء «يرجون» يخافون

(١) «العصائب»: أراد بها النسور والغربان لأنها تكون عندما تتأجج نيران القتل لتأكل لحوم القتلى. والعِصابة والعُصبة، هي عدد من الرجال والخيل والطير يكون بين العشرة إلى الأربعين «على عارفات» متعلق بغزوا. والمعنى على خيل عارفات للطعان أي صابرات عليه لأنها معودة عليه.

(٢) كلوم: جمع كلم وهو الجرح «دام» سائل الدم «جالب» جاف يابس عليه جُلبة وهي قشرة تكون على الجرح.

(٣) قال الأصمعي: إذا اشتدت الحرب ووقع الالتحام فربما ضاق الموضع على الدابة فينزل صاحبها «أرقلوا» أسرعوا «المصاعب» جمع مُصعَب وهو الفحل الذي لم يمسّه حبل قط وإنما يقتنى للفحلة.

(٤) الفلول: الثلوم (القراع) المجالدة والمقارعة (الكتائب) الجيوش. وهذا الاستثناء هو من باب تأكيد المدح بما يشبه الذم. وذلك من أساليبهم تنبيهاً للذهن على أن يبحث عما عد عيباً فيجده في نهاية المدح. وذلك أن فلول السيوف عيب لها ولكن عندما يعرف أن فلولها ناشئة عن المجالدة بها ومقارعة الكتائب يحكم أن فلولها بسبب المقارعة هو فخر وشرف.

(٥) تخيرن: الضمير للسيوف (حليمة) هي حليمة بنت الحارث بن أبي شمر الغساني. وقد مرّ يوم حليمة في ترجمة لبيد في الصفحة «١٦٤» - «١٦٥».

(٦) تجذ: ـ ويروى تقدّ ـ وكلاهما بمعنى نقطع (السلوقي) الدرع المنسوبة إلى سلوق وهي قرية باليمن تُنسب إليها الدروع والكلاب (المضاعف نسجه) الزائد نسجه على أصله =

رِقَــاقُ النِّعَــالِ ، طَيِّبٌ حُجُــزَاتُهُمْ　　　يُحَيَّوْنَ بِالـرَّيْحَانِ يَـوْمَ السَّبَاسِبِ[1]
وَلَا يَحْسَبُـونَ الخَيْـرَ لَا شَــرَّ بَعْـدَهُ　　　ولَا يَحْسَبُـونَ الشَّرَّ ضَـرْبَةَ لازِبِ[2]
حَبَـوْتُ بِهَا غَسَّـانَ ، إِذْ كُنْتَ لَاحِقاً　　　بِأَهْلِي ، وَإِذْ ضَاقَتْ عَلَيَّ مَذَاهِبِي[3]

وقد اشتهرت اعتذاريات النابغة (وهي القصائد التي اعتذر بها للنعمان بن المنذر) اشتهاراً عظيماً. فمنها قوله:

عَلَى حِينَ عَاتَبْتُ المَشِيبَ عَلَى الصِّبَا ،
وقُلْتُ: أَلَمَّا تَصْحُ؟ ، والشَّيْبُ وَازِعُ[4]

= حتى صار مثليه (توقد) تشعل (الصفاح) حجارة عراض غليظة صلبة، واحدتها صُفّاحة (نار الحباحب) هو ما اقتدح من شرر النار في الهواء من تصادم الحجارة. وقيل الحباحب ذباب يطير بالليل كأنه نار له شعاع كالسرج ـ يقول: هذه السيوف تقطع كل شيء حتى لو وضع شيء على الصفاح لقطعته ووصلت إلى الحجارة فتقدح شرراً كشرر الزناد أو كنور ذباب الحباحب.

(١) رقاق النعال: يريد أنهم ملوك ليسوا بأصحاب مشي حتى تكون نعالهم غليظة (طيب حجزاتهم) هو كناية عن كونهم أعفّاء الفروج بعداء عن الفجور. تقول: فلان طيب الحجزة، إذا كان عفيفاً نقياً من الدنس. وأصل معنى الحجزة، موضع التكة أو معقد السراويل والأزار (يوم السباسب) عيد من أعياد النصارى ويعرف بيوم السعانين ـ بالسين المهملة ـ ويلفظونه اليوم الشعانين ـ بالشين المعجمة. وأصل معنى السباسب: شجر تتخذ منه السهام. فكأنهم شبهوا الشموع التي يحملونها في هذا اليوم بأغصان هذا الشجر نظراً لطولها واستوائها. ثم سموا هذا اليوم بها.

(٢) ضربة لازب: ضربة شيء لازم ثابت غير مفارق يقول: أنهم قد عرفوا الدهر وسبروا غوره، وذاقوا حلوه ومره، وخبروا تصرفه في العباد، وتقلبه في الخير والشر. فعلموا أن للإنسان يومين: يوماً له ويوماً عليه. فلذا لا يحسبون أن الخير دائم لا شر بعده، وإن الشر لازم لا خير وراءه.

(٣) حبوت: أصل معنى الحباء: العطاء بلا جزاء (بها) بهذه القصيدة ـ يريد مدحت بهذه القصيدة بني غسان وأنا في قومي وهم أحق من يمدح فكانوا أحق بها من أهلي (أعيت علي مذاهبي) أي لم أهتد لوجه مرادي ـ يريد أنه كان هارباً من النعمان فضاقت عليه مذاهبه. والمعنى أنهم أهل لمدحه في حال خوفه وأمنه.

(٤) وازع: رادع مانع.

وقَـدْ حَـالَ هَمٌّ دُونَ ذَلِــكَ، والِـجٌ مَكَانَ الشُّغَافِ، تَبْتَغِيهِ الأَصَابِعُ[1]:
وعِيدُ أَبِي قَابُـوسَ - فِي غَيْرِ كُنْهِـهِ - أَتَانِي، ودُونِي رَاكِسٌ فَالضَّوَاجِعُ[2]
فَبِتُّ كَـأَنِّـي سَـاوَرَتْنِـي ضَـئِيْـلَةٌ مِنَ الرُّقْشِ، فِي أَنْيَابِهَا السُّمُّ نَاقِعُ[3]
أَتَـانِي - أَبَيْتَ اللَّعْنَ - أنَّـكَ لُمْتَنِي وتِلْكَ الَّتِي تَسْتَكُّ مِنْهَا المَسَـامِعُ[4]
أَتَـاكَ امْـرُؤٌ مُسْتَبْـطِنٌ لِيَ بِغْضَـةً، لَـهُ - مِنْ عَدُوٍّ مِثْـلَ ذَلِكَ - شَـافِعُ[5]
أَتَاكَ بِقَوْلٍ هَلْهَـلِ النَّسْجِ، كَـاذِباً وَلَمْ يَأْتِ بِالحَقِّ الَّـذِي هُوَ نَـاصِعُ[6]

---

(١) حال: اعترض ومنع (والج) داخل (الشغاف) داء يأخذ تحت الشراسيف من الشق الأيمن. والشراسيف: مَقَط رؤوس الأضلاع وهو الطرف المشرف على البطن (تبتغيه الأصابع) تطلبه أصابع الأطباء لتزيله. وإن كان الشغاف بكسر الشين فمعناه وعاء القلب.

(٢) أبو قابوس: كنية النعمان بن المنذر (الكنه) الحقيقة (دوني) تُطلق دون على فوق وتحت وأمام ووراء، وهي من الأضداد. والمراد بها هنا فيما يظهر معنى إمام (راكس) اسم واد (الضواجع) جمع ضاجعة وهي منحنى الوادي ومنعطفه. والمعنى أتاني وعيده وليس أمامي ما ألتجىء إليه إلا راكس وضواجعه أي منحنياته ومنعطفاته. والضواجع: أيضاً الهضاب ولعل المعنى على ذلك لمكان المقابلة بين الوادي والمرتفعات. وقال في المعجم: الضواجع في قول النابغة اسم لمكان. وليس ببعيد.

(٣) ساورتني: واثبتني (ضئيلة) أي حية ضئيلة أي دقيقة اللحم. ومتى كانت كذلك كانت قليلة الدم شديدة السم (الرقش) جمع رقشاء. وهي حية فيها نقط سود وبيض (ناقع) مجتمع ثابت.

(٤) تلك: إشارة إلى الملامة المفهومة من لمتني (تستك) تُصم وتضيق: والسكك: ضيق الصماخ (المسامع) جمع مِسمع وهي الأذن.

(٥) مستبطن: مخف ومضمر (شافع) يقال: شفع لي بالعداوة، أي أعان عليَّ. والمعنى له آخر يشفعه أي يعينه على عداوتي والوشاية بي. وأراد بالمرء المنخلّ اليشكري الذي سبقت قصته معه.

(٦) هلهل النسج: رقيقه وليس بالقوي. شبه الكلام الكاذب بالثوب غير المتين لأنه يعرف أنه باطل فيفضح صاحبه كما يفضح الثوب المهلهل لابسه (كاذباً) منصوب على الحال من قول: وهو بمعنى مكذوب من إطلاق الفاعل وإرادة المفعول. أو المعنى كاذب صاحبه (ناصع) أبيض واضح بيّن خالص عن كل شائبة.

حَلَفْتُ، فَلَمْ أَتْـرُكْ لِنَفْسِـكَ رِيبَـةً، وهَـلْ يَـأْثَمَنْ أُمَّــةٍ وهُـوَ طَــائِعُ(١)
فَإِنَّكَ كَـاللَّيْلِ الَّـذِي هُوَ مُـدْرِكِي، وإنْ خِلْتُ أَنَّ المُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعُ(٢)
وأَنْتَ رَبِيـعٌ يُنْعِشُ النَّـاسَ سَيْبُــهُ، وسَيْفٌ ـ أُعِيـرَتْهُ المَنِيَّـةُ ـ قَـاطِـعُ(٣)
أَبَــى الله إلاَّ عَــدْلَــهُ وَوَفَــاءَهُ
فَلاَ النُّكْرُ مَعْرُوفٌ، وَلاَ العُرْفُ ضَائِعُ(٤)

ومن اعتذارياته إليه قوله:

أَتَـــانِي ـ أَبَيْتَ اللَّعَنَ ـ أَنَّـكَ لُمْتَنِي وتِلْكَ الَّتِي أَهْتَمُّ مِنْهَــا وأَنْصَـبُ(٥)
حَلَفْتُ، فَلَمْ أَتْـرُكْ لِنَفْسِـكَ رِيبَــةً ولَـيْسَ وَرَاءَ الله لِلْمَــرْءِ مَــطْلَبُ(٦)
لَئِنْ كُنْتَ قَـدْ بُلِّغْتَ عَنِّي خِيَـانَــةً، لَمُبْلِغُـكَ الواشي أَغَشُّ وأَكْـذَبُ(٧)
ولَكِنَّنِي، كُـنْتُ امْــرأً لِـيَ جَــانِبٌ
مِنَ الأَرْضِ، فِيهِ مُسْتَرَادٌ وَمَذْهَبُ(٨):

(١) الريبة: الشك (يأثمن) يقع في الإثم وهو الذنب. والنون هي نون التوكيد الخفيفة (الأمة) تروى بضم الهمزة وكسرها. فمن ضمها جعلها يأثم من يدين لك ويخضع ويكون في طاعتك. ومن بمعنى الدين والخضوع ـ أي وهل كسرها جعلها بمعنى النعمة ـ أي وهل يأثم من هو طائع لك غارق في بحار نعمك.
(٢) المنتأى المكان البعيد.
(٣) أنت ربيع: أي كالربيع في الخصب والبركة على أوليائك (سيبه) عطاؤه (سيف) أي على أعدائك (المنية) الموت.
(٤) النكر: المنكر (العرف) المعروف.
(٥) أنصب: أتعب.
(٦) أي وليس بعد اليمين بالله مذهب من للمرء يذهب فيه ليثبت مدَّعاه.
(٧) الواشي: النمام.
(٨) مستراد الرجل: مكانه الذي يجول فيه ويشح به لنفاسته. وقد فسر المستراد والمذهب في البيت الآتي.

مُلُوكٌ وإِخْوَانٌ، إِذَا مَا لَقِيتُهُمْ أُحَكَّمُ فِي أَمْوَالِهِمْ، وأُقَرَّبُ
كَفِعْلِكَ فِي قَوْمٍ أَرَاكَ اصْطَفَيْتَهُمْ فَلَمْ تَرَهُمْ فِي مِثْلِ ذَلِكَ أَذْنَبُوا[1]
وَلَسْتَ بِمُسْتَبْقٍ أَخاً لَا تَلُمُّهُ عَلَى شَعَثٍ أَيُّ الرِّجَالِ المُهَذَّبُ؟[2]
فَإِنْ أَكُ مَظْلُوماً، فَعَبْدٌ ظَلَمْتَهُ وإِنْ تَكُ ذَا عُتْبى، فَمِثْلُكَ يُعْتِبُ[3]
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَعْطَاكَ سُورَةً؛ تَرَى كُلَّ مَلْكٍ دُونَهَا يَتَذَبْذَبُ[4]:
بِأَنَّكَ شَمْسٌ، وَالمُلُوكُ كَوَاكِبٌ: إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوْكَبُ[5]

وقال (يهجو زُرْعة بن عمرو، وقد بلغه أنه يتوعَّده):

نُبِّئْتُ زُرْعَةَ - والسَّفَاهَةُ كَاسمِهَا - يُهْدِي إِلَيَّ غَرَائِبَ الأَشْعَارِ[6]
فَحَلَفْتُ - يَا زُرْعَ بْنَ عَمْرٍو - أَنَّنِي مِمَّا يَشُقُّ عَلَى العَدُوِّ ضِرَارِي[7]
أَرَأَيْتَ يَوْمَ عُكَاظَ - حِينَ لَقِيتَنِي تَحْتَ العَجَاجِ - فَمَا شَقَقْتَ غُبَارِي[8]

---

(١) اصطفيتهم: اخترتهم. والمعنى: إني إن ذهبت إلى غيرك وتقربت منه فليس ذلك بذنب لي، كما أنك قد اخترت أناساً كانوا مع غيرك فصاروا إليك. فلم ترهم أذنبوا في ذلك.

(٢) ولست بمستبق أخاً. أي أنك لا تستبقي مودة أخ (لا تلمّه على شعث) أي لا تلم شعثه وتجمع متفرقه. والمعنى أنه لا يخلو أحد من شعث وما يؤخذ عليه في خلقه. فإن لم تصفح عما يبدو من الأصدقاء فلا يبقى لك صديق، إذ أي الناس لا زلّة لهم.

(٣) العتبى: الرضا (يُعتب) يرضى. يقال: اعتبه، أي أعطاه العتبى وهي الرضا وترك ما كان يغضب لأجله. والمعنى، وإن كنت ذا رضا على من غضبتَ عليه فمثلك من يفعل ذلك ويترك ما كان يغضب لأجله.

(٤) السورة: المنزلة والرفعة والشرف والفضيلة (يتذبذب) يضطرب ويتردد لينالها فلا يستطيع.

(٥) لم يبدُ: لم يظهر.

(٦) السفاهة كاسمها: أي إن فعل السفاهة قبيح كقبح اسمها.

(٧) شق عليه الأمر: صعب وتعذر.

(٨) العجاج: الغبار، وأراد به عجاج المفاخرة (فما شققت غباري) فما سبقتني وما غلبتني. والكلام على سبيل المجاز.

إِنَّـا أَقْتَسَمْنَـا خُـطَّتَيْنَـا بَيْنَـنَـا: فَحَمَلْتُ بَـرَّةَ، واحْتَمَلْتَ فَجَـارِ[1]

ومن شعره قوله:

مَنْ يَـطْلُبِ الدَّهْـرُ تُـدْرِكْ مَخَـالِبُـهُ والدَّهْرُ بِالوِتْرِ نَاجٍ، غَيْـرُ مَطْلُوبِ[2]
مَـا مِنْ أُنَاسٍ ذَوِي مَجْـدٍ وَمَكْـرُمَـةٍ إِلَّا يَشُـدُّ عَلَيْـهِمْ شِـدَّةَ الـذِّيـبِ
حَتَّى يُبِيـدَ - عَلَى عَمْـدٍ - سَـرَاتَهُمْ بِالنَّافِذَاتِ، مِنَ النَّبْلِ المَصَابِيبِ[3]
إِنِي رَأَيْتُ سِهَـامَ المَـوْتِ مُعْـرِضَـةً بِكُلِّ حَتْفٍ - مِنَ الآجَالِ - مَكْتُوبِ[4]

وقوله:

لَا خَـيْـرَ فِي عَـزْمٍ بِـغَيْـرِ رَوِيَّـةٍ والشَّطُّ وَهْنٌ، إِنْ أَرَدْتَ سِـرَاحَـا[5]

(١) الخطة: الأمر «برة» اسم للبر وهو معرفة بالعلمية الجنسية، ويمنع من الصرف للعلمية والتأنيث «فجار» اسم للفجور وهو معرفة أيضاً بالعلمية الجنسية وهو مبني على الكسر، كما هو الشأن في كل ما كان على وزن فعال من الأعلام المؤنثة أو الصفات المؤنثة. ويجوز أن تكون برة وفجار معدولتين عن المصدر. فبرة معدولة عن البر وفجار معدولة عن الفجور. ويجوز أن تكونا معدولتين عن صفتين. فتكون برة معدولة عن بارَّة وفجار معدولة عن فاجرة. وإن قلنا. بالعدل فالمقام هنا يناسب أن تكونا معدولتين عن صفتين. فكأنه قال. فحملت الخصلة البارة. وحملت الخصلة الفاجرة وعلى القول بالعدل تكون برة ممنوعة من الصرف للوصفية والعدل. وأما فجار فعلى كل حال هي مبنية على الكسر وإعرابها محلي.

(٢) الدهر: فاعل يطلب. والمعنى من يطلبه الدهر «المخالب» جمع مخلب. وهو من سباع الوحوش والطيور كالظفر للإنسان ومخالب الدهر نوائبه ومصائبه. فالكلام مجازي.

(٣) يبيد. يهلك «العمد» القصد «سراتهم» أشرافهم «النافذات» الخارقات. والنفوذ أن يخرق النافذ الشيء ويخرج من مكان آخر.

(٤) الحتف: الموت.

(٥) الشط: البعد (الوهن) الضعف (السراح) بكسر السين جمع سرحان وهو الذئب - والمعنى: إذا عزمت أمراً فتروَّ قبل الإقدام عليه، فإن البعد عن مكانك قاصداً أمراً خطيراً هو ضعف في الرأي إن لم تتخذ للأمر عدته. وقد ضرب لذلك مثلاً من يقدم على لقاء الذئاب قبل التروي والاستعداد.

واسْتَبْقِ وُدَّكَ لِلصَّـديقِ، وَلاَ تَكُـنْ قَتبـاً، يَعَضُّ بِغَـارِبٍ مِلْحَـاحَـا(١)
فَـالـرِّفْقُ يُمْنٌ، وَالأَنَـاةُ سَعَـادَةٌ فَـاسْتَـأْنِ فِي رِفْقٍ تُـلاَقِ نَجَـاحَـا(٢)
وَاليَـأْسُ مِمَّـا فَـاتَ يُعْقِبُ رَاحَـةً ولَـرُبَّ مَـطْعَمَـةٍ تَعُـودُ ذُبَـاحَـا(٣)

وقال (وفيما قال لبابُ الحكمة):

الـمَـرْءُ يَـأْمَـلُ أَنْ يَـعِـيشَ ـ وَطُـولُ عَـيْشٍ قَـدْ يَـضُـرُّهْ
تَـفْنَـى بَشَـاشَـتُـهُ ويَـبْـقَـى ـ بَـعْـدَ حُـلْوُ الـعَـيْشِ مُـرُّهْ
وَتَـصَـرَّمُ الأَيَّـامُ حَـتَّـى ـ لاَ يَـرَى شَـيْئـاً يَـسُـرُّهْ(٤)
كَـمْ شَـامِـتٍ بِـي إِنْ هَـلَكْـتُ ـ وَقَـائِـلٍ: لِـلّهِ دَرُّهْ

* * * * * *

(١) القتب: ما يوضع على البعير (الغارب) الكاهل أو ما بين سنام البعير إلى عنقه (الملحاح) القتب الذي يعض غارب البعير فيجرحه. وأصل معناه: الكثير الإلحاح ـ والمعنى: لا تكثر العتاب أو الإلحاح على الأصحاب فينفروا منك، بل فاستبق ودهم باللطف والتجاوز عن السيئات. وقد ضرب للمثقل على الأصدقاء بالعتاب ونحوه مثلاً وهو القتب الذي على سنام البعير ما يزال يذهبَ ويجيء حتى يعقره. وكذلك من أكثر على صديقه نفر منه.

(٢) الرفق: اللطف ولين الجانب وهو ضد العنف (اليمن) البركة والزيادة في الخير. واللطف ولين الجانب للاخوان مجلبة لمحبتهم وزيادة في ودهم (الأناة) الحلم والوقار (استأن) تمهّل ولا تتعجل.

(٣) المطعمة والمطعم: ما يؤكل من الطعام (الذباح) وجع في الحلق، ونبت كثير السموم. يقول: إن في التأني والتمهل سعادة للإنسان وراحة. وفي العجلة والتهور شقاء ونصباً. وقد ضرب لذلك مثلاً: من يأكل قبل أن يعرف ما يأكل عاد عليه الطعام وجعاً في حلقه أو سماً قاتلاً له.

(٤) تصرم: أصلها تتصرم، بمعنى تنقضي.

وللنابغة شعر كثير جيد. وقد اكتفينا منه بما ذكرناه، عملاً بما اختططناه في تنسيق هذا الكتاب.

معلقته وسبب نظمها:

معلقة النابغة من عيون شعره. وقد اشتملت على ضروب من الوصف والقصص والحكمة والاعتذار. وقد قالها يمدح فيها (النعمان بن المنذر) بعدما جفاه، ويعتذر إليه عما وقع، ويذكر له سابق أياديه عليه، وإدناء منزلته لديه. ويثبت له خيانة الواشين به عنده. كل ذلك بكلام جزل، ومعان تُؤثِر في النفس.

وقد ذكرنا قبل ذلك سبب غضب النعمان عليه.

* * * * * *

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

نخبة من معلقته

يَـا دَارَ مِيَّـةَ بِـالعَلْيَـاءِ فَـالسَّنَـدِ أَقْوَتْ، وطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الأَبَـدِ(١)
وَقَفْتُ فِيهَـا أُصَيـلاً كَيْ أُسَـائِلَهَـا عَيَّتْ جَوَاباً، وما بِالرَّبْعِ مِنْ أَحَدِ(٢)
أَضْحَتْ خَلاَءً، وأَضْحَى أَهْلُهَا احْتَمَلُوا
أَخْنَى عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَى لُبَدِ(٣)
فَعَـدِّ عَمَّا مَضَى، إِذْ لاَ ارْتِجَـاعَ لَـهُ وَانْمِ القُتُـودَ عَلَى عَيْـرَانَـةٍ أُجُـدِ(٤)

---

(١) مية: اسم امرأة (العلياء) المرتفع من الأرض (السند) ما قابلك من الجبل وعلا عن السفح. والظاهر أنه أراد بالعلياء والسند موضعين مسمّيين بذلك. ولم يذكرهما صاحب معجم البلدان (أقوت) خلت من أهلها (سالف الأبد) ماضي الدهر.

(٢) أصيلاً عشية: والأصيل الوقت بعد العصر إلى المغرب (عيت جواباً) لم تستطع أن تجيب (الربع) الدار.

(٣) خلاء: خالية(أخنى عليها) أفسدها، أو أبادها (لبد) آخر نسور لقمان. وذلك أن لقمان كان رجلاً مؤمناً بنبي الله داود عليهما السلام. قالوا، فلما أهلك الله عاداً خير لقمان بين أن يبقى بقاء سبع بَعرات سُمر، من أظب عُفر، في جبل وعر، لا يمسها القطر، وبين أن يبقى بقاء سبعة أنسُر. فاستحقر الأبعار، واختار النسور فكان يأخذ النسر فرخاً ويربيه إلى أن يموت. وكان آخر نسوره نسراً اسمه لُبد، وكان أطول نسوره عمراً. وعاش لبد مئتي سنة. فقال لقمان طال الأمد على لُبد. قالوا: ومات لقمان بموته.

(٤) عد عما مضى. تجاوزه إلى غيره (أنم) ارفع (القتود) خشبات الرحل وقيل: جميع أدواته. ومفردها قَتَدٌ (العيرانة) الناقة التي تشبه العَير وهو الحمار في صلابة خُفها وسرعتها (أُجُد) قوية.

كَـأَنَّ رَحْلِي ـ وقَـدْ زَالَ النَّهَـارُ بِنَـا بِذِي الجَلِيلِ ـ عَلَى مُسْتَأْنَسٍ وِحَدِ[١]
مِنْ وَحْشِ وَجْرَةَ، مَوْشِيٍّ أَكَارِعُهُ،
طَاوِي المَصِيرِ، كَسَيْفِ الصَّيْقَلِ الفَرِدِ[٢]
فَتِلْكَ تُبْلِغُنِي الـنُّعْـمَـانَ، إنَّ لَـهُ
فَضْلاً عَلَى النَّاسِ، فِي الأَدْنَى وفِي البُعُدِ[٣]
وَلَا أَرَى فَـاعِلاً فِي النَّـاسِ يُشْبِهُـهُ ولاَ أُحَاشِي مِنَ الأَقْوَامِ مِنْ أَحَـدِ[٤]
إلَّا سُلَيْمَـانَ، إذْ قَـالَ الإلَــهُ لَـهُ: قُمْ فِي البَرِيَّةِ، فَاحْدُدْهَا عَنِ الفَنَدِ[٥]

---

(١) زال النهار: انتصف وصار بنا في وقت الزوال (ذو الجليل) واد قرب مكة (على مستأنس) أي كأن رحلي موضوع على وحشيٍّ مستأنس أي ناظر يمنة ويسرة خوفاً من الصائد. والجار والمجرور خبر كأن. فهو يصف ناقته بالسير السريع حتى في وقت اشتداد الحر حين تتعب الإبل وتطلب الراحة. فهو يقول: إن هذه الناقة سريعة لا تشكو التعب حتى في وقت الظهيرة. فكأن رحلها لسرعتها لم يوضع عليها بل هو موضوع على وحشي منفرد خائف من القُنَّاص فهو يسرع خشية أن يدركوه.

(٢) وجرة: مكان تكثر فيه الوحوش وهو بين مكة والبصرة ومسافته أربعون ميلاً، وليس فيه منزل فهو مساكن للوحوش ـ يصف هذا الوحش الذي شبه به ناقته بأنه من وحش وجرة. وإنما وصفه بذلك لأنها أقل أنساً من غيرها «موشي» ملون. من وشى الثوب إذا لونه «أكارعه» قوائمه. وصفه بأن قوائمه منقطعة بالسواد والبياض «طاوي» ضامر «المصير» المعي. وجمعه أمصرة ومُصران. جمع المصران مصارين. وصفه بالضمور لأن الضامر أشد عدواً من اللحيم «الصيقل» من يصقل السيوف ويجلوها. وصف هذا الوحشي بأنه يلمع كما يلمع السيف «الفرد» الفريد المنقطع القرين الذي لا نظير له. ويجوز فيه كسر الراء وفتحها.

(٣) تلك: الإشارة إلى الناقة «تبلغني النعمان» توصلني إليه «البُعد» جمع بعيد.

(٤) فاعلاً: أي فاعلاً للخير والمعروف «لا أحاشي» لا استثني.

(٥) سليمان: أراد به نبيَّ الله سليمان بن داود عليهما السلام (البرية) المخلوقات (أحددها) أدفعها وأمنعها (الفند) الخطأ، والكذب، والظلم، وكفر النعمة.

وَخَيِّسِ الجِنَّ، إِنِّي قَـدْ أَذِنْتُ لَهُمْ يَبْنُـونَ تَدْمُـرَ بِالصُّفَّـاحِ وَالعَمَـدِ[1]
فَمَنْ أَطَـاعَـكَ فَـانْفَعْـهُ بِـطَاعَتِـهِ كَمَـا أَطَاعَـكَ، وَادْلُلْهُ عَلَى الرَّشَـدِ
وَمَنْ عَصَـاكَ فَعَـاقِبْـهُ مُعَـاقَبَـةً تَنْهَى الظَّلُومَ، وَلَا تَقْعُدْ عَلَى ضَمَدِ[2]
واحْكُمْ كَحُكْمِ فَتَاةِ الحَيِّ، إِذْ نَظَرَتْ إِلى حَمَـامٍ سِرَاعٍ، وارِدِ الثَّمَـدِ[3]

---

(١) خيس الجن: ذللهم.
تدمر: مدينة قديمة مشهورة في برية الشام بينها وبين حلب خمسة أيـام. وبينها وبين حمص ثلاثة أيام. وهي من أبنية العرب الأقدمين. وقيل سميت باسم **تدمر** بنت حسان ابن أذينَة بن السَّميدَع بن مزيد بن عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام. وفي القاموس أن تدمر هذه هي التي بنتها فسميت باسمها. وقيل: أن بانيها سليمان بن داود واستدل القائل بقـول النابغة وليس بشيء. وقال الثعالبي: «إن هذا من مذاهب العرب على سبيل المبالغة لا الحقيقة، كما يزعمون أن عبقر اسم بلد للجن فينسبون إليه كل شيء عجيب، فزعموا أن تـدمر من بنـاء الجن لما يـرون من قوّتها البـاهرة وصنعهـا العجيب». وهي من عجـائب الأبنية مـوضوعـة على العمد الـرخـام الأبيض والأشقـر والصفَّاح. قال في المعجم: وأهل تدمر يزعمون أن ذلك البناء قبل سليمان بأكثر مما بيننا وبين سليمان، ولكن الناس إذا رأوا بناء جهلوا بـانيه أضـافوه إلى سليمـان وإلى الجن. ثم استشهد بأمر جرى لمروان بن محمد آخر ملوك بني أمية يستدل منه على أن بانيها هي تدمر بنت حسان السالفة الذكر. وتدمر اليوم خراب يباب تنعق فيها البوم. غير أن آثارها الماثلة لم تزل تدل على ما كان لها من العظمة في سالف الدهر (الصفّاح) الحجارة العِراض. ومفردها صفيحة (العمد) جمع عمود.

(٢) الضمد: الذل والغيظ والحقد.

(٣) أحكم: كن حكيماً (الحكم) الحكمة. والمعنى كن حكيماً في أمري متثبتاً فيه ولا تقبل وشاية أحد بي ولا سعايته عندك (سراع) مسرعة (الثمد) الماء القليل، هذا أصل معناه. وأراد به هنا الماء مطلقاً ـ والفتاة هي زرقاء اليمامة. وهي التي يُضرب بها المثل في حدة البصر، فيقال: أبصر من زرقاء اليمـامة. قيـل: اسمها اليمـامة وبهـا سميت المدينـة المشهورة. وقيل: بل اسمها فاطمة بنت الخس. وقيل: اسمها عنز. وذكر الجاحظ أنها من بنات لقمان بن عاد. قالوا، وكانت تبصر الشيء من مسيرة ثلاثة أيام. وهذا ضرب من الأوهام. فإن كروية الأرض تحول دون ذلك ـ وكان من حديثها أنها رأت حماماً وارداً على الماء، وكان لها حمامة فقالت: =

يَحُفُّهُ جَانِبَا نِيقٍ، وتُتْبِعُهُ   مِثْلَ الزُّجَاجَةِ لَمْ تُكْحَلِ مِنَ الرَّمَدِ[1]
قَالَتْ، أَلَا لَيْتَمَا هَذَا الحَمَامُ لَنَا   إِلَى حَمَامَتِهَا ونِصْفُهُ فَقَدِ[2]
فَحَسَّبُوهُ، فَأَلْفَوْهُ كَمَا زَعَمَتْ،   تِسْعاً وتِسْعِينَ، لَمْ تَنْقُصْ، ولَمْ تَزِدِ[3]
فَكَمَّلَتْ مِئَةً فِيهَا حَمَامَتُهَا،   وأَسْرَعَتْ حِسْبَةً فِي ذَلِكَ العَدَدِ[4]
فَلَا لَعَمْرُ الذي مَسَّحْتُ كَعْبَتَهُ،   ومَا هُرِيقَ عَلَى الأَنْصَابِ مِنْ جَسَدِ[5]
والمُؤْمِنِ العَائِذَاتِ الطَّيْرَ، تَمْسَحُهَا   رُكْبَانُ مَكَّةَ، بَيْنَ الغِيلِ والسَّعَدِ[6]

ليتَ الحمام ليَهْ إلى حمامَتيهْ   ونصفه قَدِيهْ تمَّ الحمامِ مِيَهْ
فوقع في شبكة صائد فحسبوه فوجدوه ستاً وستين.

(١) يحفه: أي يحيط به. والضمير للحمام (جانبا نيق) ناحيتا جبل. والطير إذا مرت بين جبلين دنا بعضها من بعض (تتبعه مثل الزجاجة) أي ترسل نحوه عيناً مثل الزجاجة في صفائها (لم تكحل من الرمد) أي لم تصب بالرمد فتكتحل منه.

(٢) ليتما، ما: زائدة. والبيت من شواهد النحاة على أن ليت إذا لحقتها ما فالأكثر إهمالها وكان ما بعدها مبتدأ وخبراً على الأصل (فقد) أي حسب. والفاء زائدة وحسب في مثل هذا الاستعمال هي بمعنى لا غير.

(٣) ألفوه: وجدوه (تسعاً وتسعين) أي بعد أن ضُم إليه نصفه كان تسعاً وتسعين.

(٤) أسرعت حسبة: أي أسرعت في حساب ذلك العدد حتى تمكنت من عده.

(٥) مسحت كعبته: أي لمستها، والكعبة التي يُحجُّ إليها معروفة. وأراد بها الحجر الأسود منها لأنه هو الذي يُستلم. ففي ذكر الكعبة وإرادة الحجر الأسود المعروف مجاز مرسل من إطلاق الكل وإرادة البعض (هريق) صُبّ وأريق (الأنصاب) حجارة كان أهل الجاهلية ينصبونها ويذبحون عليها الذبائح التي تقدم لأصنامهم (الجسد) الدم. وقد أقسم النابغة بما تقدم لأنه كان جاهلياً على دين العرب.

(٦) والمؤمن: اسم فاعل من أمنت فلاناً بمعنى أمنته. وأراد به الله تعالى لأنه قد جعل طير الحرم آمناً فلا يُهاج ولا يصاد. (العائذات الطير) الأصل: الطير العائذات، أي التي عاذت بالحرم ولاذت به. وإعراب العائذات أنه مفعول به للمؤمن منصوبة بالكسرة لأنها جمع مؤنث سالم. والطير بدل منها أو عطف بيان (الغيل والسعد) أجمتان بين مكة ومنى كانتا مستنقعين.

مَــا إنْ أَتَيْتُ بِشَيْءٍ أَنْتَ تَكْــرَهُــهُ   إذاً، فلا رَفَعَتْ سَوْطِي إلَيَّ يَـدِي(١)
إذاً، فَـعَــاقَبَـنِي رَبِّـي مُـعَــاقَـبَــةً   قَرَّتْ بِهَا عَيْنُ مَنْ يَأْتِيكَ بِـالحَسَدِ(٢)
هَـذَا، لأَبْرَأُ مِنْ قَـوْلٍ قُـذِفْتُ بِـهِ،   طَـارَتْ نَوَافِـذُهُ حَرًّا عَلَى كَبِـدِي(٣)
أُنْبِئْتُ أَنَّ أَبَــا قَـابُــوسَ أَوْعَــدَنِي   وَلَا قَــرَارَ عَـلَى زَأْرٍ مِـنَ الأَسَــدِ(٤)
مَهْــلاً فِـدَاءٌ لَــكَ الأَقْـوَامُ كُلُّهُمُ،   ومَــا أُثَمِّـرُ مِنْ مَــالٍ وَمِنْ وَلَــدِ(٥)
فَمَــا الفُرَاتُ إِذَا هَبَّ الـرِّيَـاحُ لَـهُ؛   تَـرْمِي أَوَاذِيُّـهُ العِبْـرَيْنِ بِـالـزَّبَـدِ(٦)
يَـمُــدُّهُ كُــلُّ وَادٍ مُتْــرَعٍ لَـجِبٍ،   فِيـهِ رُكَامٌ مِنَ اليَنْبُـوتِ وَالخَضَـدِ(٧)
يَـظَلُّ مِنْ خَوْفِـهِ المَـلَّاحُ مُعْتَصِمـاً   بِـالخَيْزُرَانَـةِ، بَعْدَ الأَيْنِ وَالنَّجَـدِ(٨)

---

(١) ما أن أتيت: فإن زائدة للتوكيد؛ والكلام جواب القسم قبله (السوط) ما يُضرب به من جلد مضفور أو نحوه ـ يدعو على يده بالشلل إن كان قد فعل ما يكرهه النعمان. يشير إلى وشاية المنخّل به وما اتهمه به لدى النعمان كما تقدم تفصيل ذلـك في الصفحة (٢٧٣).
(٢) قرّت عين فلان: صارت مسرورة بنواله ما يشتهي.
(٣) هذا: أي أقسمت هذا القسم لأبرأ من عمل سوء رُميتُ به عندك (صارت نوافذه) أي طارت نوافذ هذا القول الباطل فكانت حراً وجحيماً تحرق بها كبدي. وأراد بنوافذ القول مبلغ تأثيراته المعنوية. وقد شبه نوافذ القول وتأثيراته بشرر النار يطير فيحرق ما يصيبه.
(٤) أنبئت: أخبرت (أبو قابوس) كنية النعمان بن المنذر (الزأر) صوت الأسد ومثله الزئير.
(٥) أثمر: أدخر وأنمي.
(٦) الفرات، نهر معروف مخرجه من أرمينية ومصبّ ما يفضل منه في دجلة (ترمي) الضمير للرياح (أواذيّة) أمواجه. ومفردها آذي بمعنى الموج (العبرين) مثنى عبر، بفتح العين وكسرها، وهو الشاطىء والناحية (الزبد) ما يظهر من الرغوة على وجه الماء وذلك عند اضطرابه.
(٧) يمده: يزيده مدداً، والضمير للفرات (مترع) ملآن. (لجب) كثير الصوت، وذلك لشدة مائه وتدفقه (الركام) الأشياء المتراكم بعضها فوق بعض (الينبوت) ضرب من الشجر ذو شوك (الخضد) المتكسر من الشجر ـ وصف النهر بأن فيه ركاماً من الأشجار المتكسرة دلالة على شدة جري مائه فهو يكسر الأشجار ويركم بعضها فوق بعض.
(٨) الملّاح: النوتيّ الذي يشتغل في السفن (معتصماً) متمسّكاً (الخيزرانة) سُكّان السفينة =

يَـوْمـاً بِـأَجْـوَدَ مِنْـهُ سَيْبَ نَـافِلَةٍ
وَلَا يَحُـولُ عَطَاءُ اليَـوْمِ دُونَ غَدِ[1]

هَـذَا الثَّنَـاءُ فَـإِنْ تَسْمَـعْ لِقَـائِلِهِ،
فَلَمْ أُعَرِّضْ - أَبَيْتَ اللَّعْنَ - بِالصَّفَدِ[2]

* * * * * *

وهو ذنبها الذي به تقوَّم كيلا تجور في جريها. وإنما يمسك بها خوف أن تجنح في سيرها فتغرق أو تلتطم بالشاطىء فتنكسر - يصف بذلك شدة اضطراب النهر (الأين) التعب والمشقة (النجد) العرق، أو هو من الكرب والشدة.

(١) السيب: العطاء (النافلة) العطية الفاضلة الزائدة عن الحد (يحول) يمنع، أي إن أعطي اليوم لا يمنعه ذلك عن الإعطاء غداً - والمعنى أن هذا النهر الذي صفته ما تقدم ليس بأجود منه حين يتفضل بالعطاء.

(٢) أبيت اللعن: كانت تحية الملوك في الجاهلية والمعنى أبيت أن تأتي من الأمور ما تُلعن عليه «الصفد» العطاء. قال الأصمعي: لا يكون الصفد ابتداء وإنما يكون بمنزلة المكافأة على شيء. والصفد في غير هذا المقام هو القيد الذي يُقيَّد به. وقد قالوا: الصفد صفد، أي العطاء قيد. وقال المتنبي «ومن وجد الإحسان قيداً تقيدا».


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



١٠

عبيد بن الأبرص

توفي سنة (٥٥٥) وقيل سنة (٦٠٥) للميلاد

هو (عَبِيد بن الأبرص الأسدي) وينتهي نسبه إلى دُودان بن أسَد بن خُزَيمة بن مُدركة بن إلياس بن مُضر بن نِزار بن مَعد بن عَدنان).

وهو شاعر فحل فصيح الألفاظ، من شعراء الجاهلية. وجعله ابن سلام في الطبقة الرابعة من فحول الجاهلية وحكمائها ودُهاتها، وقرنَ به طَرفة وعَلقمة بن عَبدة وعَديَّ بن زيد، وكان شاعر بن أسد غيرَ مُدَافَع، قديم الذكر، طائر الشهرة، شهماً، كريماً مع ضيق ذات يده.

شيء من أخباره:

كان معاصراً لامرىء القيس بن حُجرِ الكندي. وله معه مناظرات كثيرة.

وكان من حديثه أنه كان رجلاً محتاجاً. ولم يكن معه مال. فأقبل ذات يوم ومعه غُنَيمة[1] له. ومعه أخته ماوية، ليوردا غنمهما. فمنعه

(١) غنيمة: تصغير غَنم. والتصغير هنا للتقليل. وإنما لزمته التاء لأن المؤنث الثلاثي إذا صُغر لحقته تاء التأنيث. وغنم اسم جمع. واسماء الجموع إن كانت لغير الآدميين فالتأنيث لها لازم.

رجل من بني مالك بن ثَعلبة وجبهه. فانطلق حزيناً مهموماً للذي صنع به المالكي حتى أتى شجراتٍ، فاستظلَّ تحتها. فنام هو وأخته. فزعموا أن المالكي نظر إليه وإلى أخته إلى جنبه، فقال:

ذَاكَ عَبِيدٌ قَدْ أَصَابَ مَيَّا يَا لَيْتَهُ أَلْقَحَهَا صَبِيَّا

فَحَمَلَتْ، فَوَضَعَتْ ضَاوِيًّا[1]

فسمعه (عَبيد) فرفع يَديه، ثم ابتهل، فقال: اللهمَّ إن كان فلان ظلمني ورماني بالبهتان فأدِلْني منه[2]» ووضع رأسه ونام. ولم يكن قبل ذلك يقول الشعر. فذكر أنه أتاه آت في المنام بكبَّة من شِعْرٍ حتى ألقاها في فيه. ثم قال: قُم. فقام وهو شاعر، فهجا المالكي. ثم استمرَّ بعد ذلك يقول الشعر. فكان شاعر بني أسد.

ولما اجتمعت (بنو أسد) بعد (قتلهم حُجُرَ بن عَمرٍو) والد امرىء القيس إلى (امرىء القيس) على أن يعطوه ألف بعير دِيَةَ أبيه، أو يُقيدوه من أي رجل شاء من بني أسد، أو يُمهلهم حولاً ـ قال لهم امرؤ القيس: «أما الدِّية فما ظَننتُ أنكم تعرضونها على مثلي، وأما القَوَد فلو قِيدَ إليّ ألف من بني أسد ما رضيتهم، ولا رأيتهم كفؤاً لحُجُر، وأما النظرة فلكم. ثم ستعرفونني في فرسان قَحطان، أحكِّمُ فيكم ظُبا السيوف وشبا الأسنَّة، حتى أشفي نفسي، وأنال ثأري».

فلما سمع عبيد كلام امرىء القيس أنشد:

---

(١) الضاويّ: النحيف القليل الجسم خلقة.
(٢) أي اجعل لي منه دولة وانصرني عليه.

يَا ذَا المُخَوِّفُنَا بِقَتْلِ ـ   أَبِيهِ إِذْلَالاً وَحَيْنَا[١]
أَزَعَمْتَ أَنَّكَ فَاتِكٌ   بَسَرَاتِنَا، كَذِباً ومَيْناً[٤]
هَلاَّ عَلَى حُجُرِ ابْنِ أُمِّ ـ   قَطَامِ تَبْكِي لاَ عَلَيْنَا
إِنَّا إِذَا عَضَّ الثِّقَافُ ـ   بِرَأْسِ صَعْدَتِنَا لَوَيْنَا[٣]
نَحْمِي حَقِيقَتَنَا، وبَعْضُ ـ   القَوْمِ يَسْقُطُ بَيْنَ بَيْنَا
هَلاَّ سَأَلْتَ جُمُوعَ كِنْدَةَ ـ   يَوْمَ وَلَّوْا أَيْنَ أَيْنَا؟[٤]
أَيَّامَ نَضْرِبُ هَامَهُمْ   بِنَوَاتِرِ، حَتَّى انْحَنَيْنَا[٥]
نَحْنُ الأُلَى فَاجْمَعْ جُمُوعَكَ ـ   ثُمَّ وَجِّهْهُمْ إِلَيْنَا[٦]
لاَ يَبْلُغُ البَانِي ـ وَلَوْ   رَفَعَ الدَّعَائِمَ ـ مَا بَنَيْنَا
كَمْ مِنْ رَئِيسٍ قَدْ قَتَلْنَاهُ ـ   وَضَيْمٍ قَدْ أَبَيْنَا
إِنَّا لَعَمْرُكَ لاَ يُضَامُ ـ   حَلِيفُنَا أَبَداً لَدَيْنَا

ولما عصى بنو أسد حُجُراً أبا امرىء القيس وامتنعوا عن دفع الإتاوة وضربوا جابيه وأدموْه ـ جاءهُم حُجُر فقتل منهم وأسر سراتهم. وكان في الأسرى عبيد بن الأبرص. وقد أنشد قصيدة كانت سبب عفوه

---

(١) الحَين: الهلاك.

(٢) المين: الكذب.

(٣) الثقاف: آلة تُسوَّى بها الرماح (الصعدة) الرمح المستوي (لوينا) أي لويناه والضمير يعود إلى الرأس. وعض الثقاف كناية عن اشتداد الخطب. والمعنى: إذا اشتد علينا الأمر أملنا رؤوس رماحنا نحو الأعداء مدافعين عن حقيقتنا.

(٤) يشير إلى قتلهم حجراً أبا امرىء القيس وانتهابه وفرار ما حوله.

(٥) الهام: الرؤوس. ومفردها هامة (البواتر) السيوف القواطع.

(٦) نحن الألى: أي نحن الذين عُرفوا في البأس والشدة يوم المعمعة، فصلة الموصول محذوفة. وهي معلومة من المقام.

عنهم. ثم قتلوا حُجُراً، وشدُّوا على أمواله نهباً. وقد قدمنا تفصيل الخبر والقصيدة. فراجع ذلك في الصفحة (٦٧) - (٧٠).

موت عبيد:

عمَّر (عبيد) طويلاً. حتى قتله المنذر بن ماء السماء اللخْمِي. وقيل: قتله (النعمان بن المنذر) وذلك أنه قد وفد عليه وهو لا يعلم في أحد أيام بؤسه التي كان يقتل المنذر فيها كل من يراه[1]. فقال المنذر: «من هذا الشقي؟» فقيل له: عبيد بن الأبرص الشاعر. فقال بعض من حضر المنذر: «أبيتَ اللعن. أظنُّ أن عنده من حُسن القريض أفضل مما تُدرك من قتله. فاسمع منه. فإن سمعت حسناً استزدته. وإن لم

(١) ذلك أنه كان للمنذر رجلان ينادمانه من بني أسد. أحدهما خالد بن المضلل الفقعسي، والآخر عمرو بن مسعود. فأغضباه في بعض المنطق. فأمر أن يُحفر لكل واحد حفير في ظهر الحيرة، ثم يجعلا في تابوتين، ويدفنا في الحفرتين في قيد الحياة. ففعل بهما ذلك حتى إذا أصبحا سأل عنهما ـ وكان إذ فعل بهما ذلك في حال السكر، فأخبر بهلاكهما. فندم على ذلك وغمه الأمر. ثم ركب المنذر حتى نظر إليهما. فأمر ببناء الغَرَّيين عليهما ـ والغري هو البناء الجيد. وسُمّيا بالغريَّين لأن المنذر كان يُغرِّيهما بدم من يقتله إذا خرج في يوم بؤسه ـ فبُنيا عليهما. وجعل لنفسه يومين في السنة: يوم نعيم ويوم بؤس. فأول من يطلع عليه في يوم نعيمه يعطيه مئة من الإبل. وأول من يطلع عليه في يوم بأسه يعطيه رأس ظَرِبان أسود. ثم يأمر به فيذبح ويطلى بدمه الغرَّيان ـ والظربان: دُوَيبة كالهرة منتنة. وفي المثل: هما يتنازعان جلد الظَرِبان. أي يتسابَّان ـ فلبث على ذلك برهة من دهره. ثم أبطل هذه العادة السيئة يوم وفد عليه حنظلة بن أبي عفراء فأمر بذبحه. فطلب منه حنظلة أن يرجع إلى أهله ويراهم ثم يعود إليه بعد سنة. فقال: ومن يكفلك. فنظر إلى وجوه القوم فعرف منهم شريك بن عمرو فأنشده شعراً يطلب منه أن يكفله على أن يُقتل مكانه إن لم يرجع. فأجابه إلى ذلك. فلما كان العام القابل جلس المنذر في مجلسه ينتظر حنظلة أن يأتيه. فأبطأ عليه. فأمر بشريك فتقدم إلى القتل، فإذا براكب قد طلع عليهم فتأملوه، فإذا هو حنظلة متكفناً متحنّطاً معه نادبته تندبه. وقد قامت نادبة شريك تندبه. فلما رآه المنذر عجب من وفائهما وكرمهما. فأطلقهما وأبطل تلك العادة الشنعاء.

يُعجبك فما أقدرك على قتله». فقال المنذر: «هَلا كان الذبح لغيرك يا عَبيد». فقال: «أَتَتْكَ بحائنٍ رِجلاه»[1]. فأرسلها مثلاً. فقال: «ما ترى يا عبيد؟» قال: «المنايا على الحوايا»[2] فأرسلها مثلاً. فقال: أنشدني فقد كان يُعجبني شعرك» فقال: «حَال الجَريضُ دون القَريض»[3]. فأرسلها مثلاً. فقال: «أنشدني: أقفرَ من أهله ملحوب». فقال:

أَقْفَرَ مِنْ أَهْلِهِ عَبِيدُ: فَلَيْسَ يُبْدِي وَلاَ يُعِيدُ[4]
عَنَّتْ لَهُ خِطَّةٌ نَكُودُ، وحَانَ مِنْهَا لَهُ وُرُودُ[5]

فقال المنذر: «ما أشدَّ جَزَعك من الموت!» فقال: «لا يَرْحَلُ رَحْلَكَ من ليس معك»[6] فأرسلها مثلاً. فقال له النعمان «لا بدَّ من الموت. ولو أن النعمان (يعني أباه) عرض لي يوم بُؤسي لذبحته.

---

(١) الحائن: من حان أجله أي دنا وقرب. ورجلاه فاعل أتت. والمثل يضرب للرجل يسعى إلى المكروه حتى يقع فيه. ويُنسب هذا المثل أيضاً للحارث بن جبلة الغسّاني.

(٢) المنايا: جمع منية، وهي الموت (الحوايا) الهوادج وهي المراكب التي تحمل عليها النساء. ومفردها حويَّة. وأما الحوايا في القرآن الكريم فمعناها الإمعاء. وهذا المثل يضرب لمن قرب وقت هلاكه. وأصله أن قوماً قُتلوا وحُملوا على الحوايا.

(٣) الجريض: الغصص بالريق (القريض) الشعر: والمثل يُضرب للأمر يقدر عليه الإنسان حين لا ينفعه. وأصله أن رجلاً كان له ابن نبغ في الشعر فنهاه أبوه عن ذلك فجاش به صدره ومرض حتى أشرف على الهلاك. فأذن له أبوه في قوله. فقال: حال الجريض إلخ.

(٤) اقفر: خلا.

(٥) خطة: أمرٌ (نكود) ذات نكد. وأراد بالخطة النكود دنو أجله (حان) قرب ودنا.

(٦) المعنى: لا يعينك من لا يكون صفوه معك. والمثل يُضرب للمعتمد على من لا يوثق به. ويقال: رَحَلَ البعير؛ إذا شدَّ على ظهره الرحلَ.

فاختر: إن شئتَ الأكحل[1]، وإن شئت الأبْجَل[2]، وإن شئت الوريد»[3]. فقال عبيد: «ثَلاَثُ خِصَال كسحابات عاد، وارِدُها شرُّ وَرَّاد، وحاديها شر حاد، ومَعادها شر مَعاد، ولا خير فيه لِمرتاد. وإن كنتَ لا محالة قاتلي فاسقني الخمر، حتى إذا ماتت مفاصلي، وذهلت ذواهلي، فشأنك وما تريد». فأمر المنذر بحاجته من الخمر. حتى إذا أخذت منه وطابت نفسه، دعا به المنذر. ليقتله فلما مثل بين يديه أنشأ يقول:

أَلَا ابْلِغْ بَنِيَّ وأَعْمَامَهُمْ: بِأَنَّ المَنَايَا هِيَ الوَارِدَهْ
لَهَا مُدَّةٌ، فَنُفُوسُ العِبَادِ إِلَيْهَا - وإِنْ كَرِهَتْ - قَاصِدَهْ
فَلَا تَجْزَعُوا لِحِمَامٍ دَنَا، فَلِلْمَوْتِ مَا تَلِدُ الوَالِدَهْ

فأمر به المنذر فَفُصد. فلما مات غرى بدمه الغَرِيَّيْن.

وكان موته سنة (٥٥٥) أو (٦٠٥) لميلاد المسيح عليه الصلاة والسلام. وقالوا: أنه عاش فوق مئتي سنة. وذلك قوله:

حَتَّى يُقَالَ لِمَنْ تَعَرَّقَ دَهْرُهُ: يَا ذَا الزَّمَانَةِ، هَلْ رَأَيْتَ عَبِيدا[4]
مِئَتَيْ زَمَانٍ كَامِلٍ، أَوْبِضْعَةٍ عِشْرِينَ عِشْتَ مُعَمَّراً مَحْمُودا

(١) الأكحل: عرق في الذراع وقيل: هو عرق الحياة.
(٢) الأبجل: عرق للبعير والفرس بمنزلة الأكحل للإنسان. ولعله أراد به عرقاً في ساق الرجل.
(٣) الوريد: عرق في العنق. وقيل: هو الودج. ويقال له حبل الوريد. وهما وريدان. وجمع الوريد أوردة ووُرُود ووُرُد.
(٤) تعرق دهره: طال وامتدَّ. يقال: تعرَّقت الشجرة، إذا امتدت عروقها في الأرض (الزمانة) تعطيل القُوى. وأراد تعطيل القُوى بسبب الكبر وامتداد العمر.

مَــا تَبْتَغِي مِنْ بَعْــدِ هَــذَا عِيشَــةً   إلَّا الــخُـلُودَ ولَــنْ تَـنَــالَ خُــلُودَا
وَلَيَفْـنَيَـنْ هَــذَا وَذَاكَ كِــلاَهُمَــا،   إلَّا الإلَـهَ ووَجْـهَــهُ الـمَــعْـبُــودَا

الكلام على شعره:

كان عبيد من فحول الشعراء الجاهليين. وقد جعلوه في طبقة طرفة بن العبد وأمثاله. وله شعر جميل، وحكمة عالية. ولشعره رونق وبهجة.

وقد فُقِد أكثر شعره. ولكن في القليل الباقي منه ما يشير إلى بلاغته وسمو كعبه في القريض.

ومن ذلك قوله (وكان ممن ينادم حُجراً أبا امرىء القيس. ثم تغير حُجر عليه وتوعَّده. ثم استصلحه فقال عبيد يخاطبه):

طَالَ الخَيَالُ عَلَيْنَا لَيْلَةَ الوادي، ... مِنْ أُمِّ عَمْرِو، ولَمْ تُلْمِمْ لِمِيعَادِ[1]
إِنِّي اهْتَدَيْتُ لِرَكْبٍ طَالَ سَيْرُهُمُ ... فِي سَبْسَبٍ بَيْنَ دَكْدَاكٍ وأَعْقَادِ[2]
إِذْهَبْ، إِلَيْكَ فَإِنِّي مِنْ بَنِي أَسَدٍ ... أَهْلِ القِبَابِ وأَهْلِ الجُرْدِ والنَّادِي[3]
أَبْلِغْ أَبَا كُرَبٍ عَنِّي، وإِخْوَتَهُ، ... قَوْلاً سَيَذْهَبُ غَوْراً بَعْدَ أَنْجَادِ[4]:
لاَ أَعْرِفَنَّكَ يَوْماً أَنْتَ تَنْدُبُنِي، ... وفِي حَيَاتِيَ مَا زَوَّدْتَنِي زَادِي
إِنَّ أَمَامَكَ يَوْماً أَنْتَ مُدْرِكُهُ؛ ... لا حَاضِرٌ مُفْلِتٌ مِنْهُ وَلاَ بَادِ[5]

---

(١) ألمّ بالقوم: نزل بهم وزارهم زيارة خفيفة.

(٢) الركب: المسافرون على الإبل (السبسب) الأرض المخوفة (دكداك وأعقاد) الظاهر أنه أراد بهما موضعين. والدكداك في الأصل هي أرض فيها غِلَظ. والأعقاد: جمع عَقِد، وهو ما تعقّد من الرمل وتراكم.

(٣) إليك: اسم فعل أمر بمعنى تنحّ وأبعد (القباب) جمع قبة (الجرد) الخيل القصيرة الشعر وهي ممدوحة عندهم (النادي) مجلس القوم.

(٤) الغور: المنخفض من الأرض (الأنجاد) جمع نجد وهو المرتفع من الأرض والمعنى: سيسير هذا القول في أنحاء الأرض.

(٥) الحاضر: ساكن الحواضر وهي المدن (البادي) ساكن البادية.

فَـانْظُرْ إِلى ظِـلِّ مُلْكٍ أَنْتَ تَارِكُـهُ: هَـلْ تُـرْسِيَنَّ أَوَاخِيــهِ بِـأَوْتَـادِ؟[1]
الخَيْـرُ يَبْقَى، وإِنْ طَالَ الـزَّمَانُ بِـهِ والشَّـرُّ أَخْبَثُ مَـا أَوْعَيْـتَ مِنْ زَادِ

(١) ترسينّ: تتثبتن (الأواخي) جمع آخيَّة، وهي العروة التي تُربط إلى الوتد المدقوق في الأرض لتثبت الخيمة.

ومن شعره الجيد قوله :

إذَا أَنْتَ لَمْ تَعْبَأْ بِـرَأْيٍ ، وَلَمْ تُـطِعْ لِنُصْحٍ ، وَلَمْ تُصْغِ إِلَى قَوْلِ مُرْشِدِ
فَـلِمْ تَتَّقِي ذَمَّ الـعَشِيـرَةِ كُلِّهـا؟ وَتَـدْفَـعُ عَنْهَـا بِـاللِّسَـانِ وَبِـاليَـدِ
فَلَسْتَ ـ وَإِنْ عَلَّلْتَ نَفْسَكَ بِالمُنَى ـ بِـذِي سُؤْدَدٍ بَادٍ، وَلاَ كَـرْبَ سَيِّـدِ(١)
لَعَمْرُكَ مَا يَخْشَى الجَلِيسُ تَفَحُّشي عَلَيْـهِ، ولا أَنْـأَى عَنِ المُتَـوَدِّدِ(٢)
وَلاَ أَبْتَغِي وُدَّ امْـرِىءٍ قَـلَّ خَيْـرُهُ، وَلاَ أَنَا عَنْ وَصْلِ الصَّدِيقِ بِأَصْيَدِ(٤)
وإنِّي لأُطْفِي الحَرْبَ بَعْدَ شُبُـوبِهَا، وَقَدْ أُوقِدَتْ لِلْغَيِّ فِي كُـلِّ مَوْقِـدِ(٤)
وإنِّـي لَـذُو رَأْيٍ يُعَـاشُ بِـرَأْيِـهِ وَمَـا أَنَا مِنْ عِلْمِ الأُمُـورِ بِمُبْتَـدِي :
إِذَا أَنْتَ حَمَّـلْتَ الخَـؤُونَ أَمَـانَـةً فَـإِنَّـكَ قَـدْ أَسْنَـدْتَهَـا شَـرَّ مُسْنَـدِ
وَلاَ تُـظْهِرَنْ وُدَّ امْـرِىءٍ قَبْـلَ خُبْـرِهِ وبَعْدَ بَلاَءِ المَـرْءِ فَاذْمُمْ أَوْ احْمَـدِ(٥)
وَلاَ تَتْبَعَنَّ الـرَّأْيَ مِـنْـكَ تَقُـصُّـهُ ولَكِنْ بِرَأْيِ المَرْءِ ذِي اللبِّ فَاقْتَدِ(٦)
وإِنْ أَنْتَ فِي مَجْـدٍ أَصَبْتَ غَنِيمَـةً فَعُـدْ لِلَّذِي صَـادَفْتَ مِنْ ذَاكَ وَازْدَدِ
تَمَنَّى مُرَيْءُ القَيْسِ مَوْتِي ، وَإِنْ أَمُتْ فَتِلْكَ سَبِيـلٌ لَسْتُ فِيهَـا بِأَوْحَـدِ(٧)
لَعَـلَّ الَّـذِي يَـرْجُـو رداي وَمَـوْتَتِي سَفاهاً وجُبْناً، أَنْ يَكُونَ هُوَ الرَّدِي(٨)

---

(١) السؤدد الشرف (البادي) الظاهر (الكرب) القرب. والمعنى: لست من ذوي الشرف ولا قريباً من سيد يرفعك.
(٢) التفحش: التكلم بالفحش (أنأى) أبعد.
(٣) الأصيد: من يرفع رأسه تكبراً. والمعنى لا أتكبر عن مواصلة الصديق.
(٤) الغي : الضلال.
(٥) قبل خبره: قبل اختباره وامتحانه (وبعد بلاء المرء) أي وبعد اختباره وامتحانه.
(٦) تقصّه: تتبعه «اللب» العقل.
(٧) مُرىء القيس: الظاهر أنه أراد به أمرأ القيس بن حجر صاحب المعلقة. وذلك لما هدّدهم وجبههم حين جاؤوه طالبين الصلح ودفع دية أبيه كما تقدم.
(٨) رداي : هلاكي «الرّدِي» الهالك.

وَلِلْمَــرْءِ أَيَّــامٌ تُعَــدُّ وَقَــدْ رَعَــتْ حِبَــالُ المَنَايَـا لِلْفَتَى كُلَّ مَـرْصَـدِ[1]
فَمَنْ لَمْ يَمُـتْ اليَـوْمِ لاَ بُـدَّ أَنَّـهُ سَيَعْلَقُـهُ حَبْـلُ المَنِيَّـةِ فِي غَـدِ

ومما يُستجاد من شعره قوله:

يَـا أَيُّهَـا السَّـائِلُ عَنْ مَجْـدِنَـا، إِنَّـكَ عَـنْ مَسْعَـاتِنَـا غَـافِـلُ
إِنْ كُنْتَ لَـمْ تَسْـمَـعْ بِـآبَـائِنَـا فَسَـلْ تُنَبَّـأْ، أَيُّهَـا السَّـائِـلُ[2]
سَـائِـلْ بِنَـا حُجـراً غَـدَاةَ الـوَغَى، يَـوْمَ تَـوَلَّى جَمْعُـهُ الحَـافِـلُ[3]
قَـوْمِي بَنِـي دُودَانَ أَهْـلُ النَّـدَى يَـوْمـاً إِذَا أُلْـقِحَـتِ الحَـامِـلُ[4]
كَـمْ فِـيـهِـمُ مِـنْ سَيِّـدٍ أَيِّـدٍ، ذِي نفحـاتٍ، قـائِـلٌ، فَـاعِـلُ[5]
مَـنْ قَـوْلُـهُ قَـوْلٌ، وَمَـنْ فِـعْـلُهُ فِعْـلٌ، ومَـنْ نَـائِـلُهُ نَـائِـلُ[6]
الـقَـائِـلُ الـقَـوْلَ الَّـذِي مِـثْـلُهُ يُمْـرِعُ مِنْـهُ الـبَلَدُ الـمَـاحِـلُ[7]
لاَ يَـحْـرِمُ السَّـائِـلَ أَنْ جَـاءَهُ، ولا يُـعَـفِّـي سَـيْـبَـهُ الـعَـاذِلُ[8]
الـطَّاعِنُ الـطَّعْنَـةَ يَـوْمَ الـوَغَى يَـذْهَـلُ مِنْهَـا البَطَلُ البَـاسِـلُ[9]

---

(١) المعنى: أن أيام المرء في دنياه معدودة. وأن حبال المنايا منصوبة له في كل مرصد ومكان: فمتى حان أجله علقت به فأماتته. وقد شبه المنايا بالراعي فهي ترعاه حتى إذا دنا أجله حالت دونه ودون ما يريد.
(٢) سلْ تنبأ. إسأل تُخَبَّر.
(٣) اسأل عنّا. فالباء بمعنى عن «الوغى» الحرب.
(٤) الندى: الكرم «أُلقحت الحامل» حملت بعد اللقاح. وإنما وصفهم بالكرم عند ما تلقح الحوامل لأن ذلك أشد ما يكون من الكرم. فالخير واللبن يقلّان عند ذلك.
(٥) أيّد: قوي شديد (النفحات) العطايا.
(٦) النائل: العطاء.
(٧) يمرع: يخصب (الماحل) المجدب.
(٨) لا يعفي: لا يحجب ولا يمنع. هذا معناها هنا (السيب) العطاء (العاذل) اللائم.
(٩) يذهل: يدهش (الباسل) الشجاع الكريه على الأعداء عند اللقاء.

معلقته وسبب نظمها:

معلَّقة عَبيد بائيَّة من مجزوء البسيط، ووزنها: «مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مَفْعُولُنْ». وأكثرها جاءت على وزن مخلَّع هذا البحر، وذلك باستعمال «مَفْعُولُنْ» على وزن «فَعُولُنْ» وذلك مستملح في مجزوء البسيط. غير أن جملة من أبياتها جاءت فيه «مَفْعُولُنْ» على وزن «مُسْتَفْعِلُنْ». وذلك غير جائز في البسيط المجزوء الذي عروضه على وزن «مَفْعُولُنْ» وفيها كثير من الأبيات مختلَّة الوزن. وقد أشار (أبو العلاء المعري) إلى اختلال بائيَّة (عَبيد) بقوله:

وَقَدْ يُخْطِىءُ الرَّأْيَ امْرُؤٌ وَهُوَ حَازِمٌ، كَمَا اخْتَلَّ فِي وَزْنِ القَرِيضِ عَبِيدُ

نقول: «والغالب أن ذلك من سوء الرواية. وإلا فعبيد أجل من أن يقع في مثل ذلك.

ومعلقته هذه قد جمعت ضروباً من الحكمة والموعظة والوصف. وذلك أكثر ما فيها. وهي مسبوكة سبكاً جميلاً. وربما ضاع حُسنُ سبكها، وبليغ تركيبها، وجميل حكمتها بهذا البحر الذي اختاره لتسييرها فيه. لأنه بحر ضلَّ فيه كثير من خائضيه قديماً وحديثاً.

أما السبب الذي دعاه إلى نظمها على ما يظهر فليس إلا خواطر من الحكمة والعِظة جاشت في نفسه فظهرت على أسلة لسانه. والله أعلم.

* * * * * *

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

نخبة من معلقته

إقْفَرَ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبُ فَالقُطَّبِيَّاتُ، فَالذُّنُوبُ(١)
وبُدِّلَتْ مِنْهُمُ وُحُوشاً، وَغَيَّرَتْ حَالَهَا الخُطُوبُ(٢)
أَرْضٌ تَوَارَثَهَا الجُدُوبُ، فَكُلُّ مَنْ حَلَّهَا مَحْرُوبُ(٣):
إمَّا قَتِيلاً، وإمَّا هُلْكاً والشَّيْبُ شَيْنٌ لِمَنْ يَشِيبُ(٤)
عَيْنَاكَ دَمْعُهُمَا سَرُوبُ، كَأَنَّ شَأْنَيْهِمَا شَعِيبُ(٥)
وَاهِيَةٌ، أَوْ مَعِينٌ مَعْنٌ مِنْ هَضْبَةٍ دُونَهَا لُهُوب(٦)

---

(١) اقفر من أهله: خلا منهم (ملحوب) اسم ماء لبني أسد بن خُزيمة (القطّبيّات) اسم جبل (الذنوب) اسم موضع.

(٢) الخطوب: الأمور. وأراد بها الأحوال التي عرتها بعد مفارقة أهلها لها.

(٣) الجدوب: جمع جَدْب، وهو القحط والمحلْ. ويروى: توارثها شعوب. وشعوب اسم للمنية (محروب) مسلوب. يقال: حرب فلان فلاناً، أي سلبه ماله وتركه بلا شيء.

(٤) الشين: العيب - يقول أن ذلك المسلوب إما أن يقتل وإما أن يموت من غير قتل، وإن عُمِّر حتى شاب فإن شيبه يعيبه. وذلك أنهم كانوا يحبون أن يموت الرجل وفيه قوة حتى لا يكون كَلًّا على غيره.

(٥) سروب: جار (الشأن) عرق الدمع، وجمعه شؤون (الشعيب) المزادة وهي القربة.

(٦) واهية: صفة لشعيب. وصف هذه القربة بأنها واهية أي بالية فيها شقوق فالماء يسيل منها - شبه عينيه وهما يسيلان بالدمع بالقربة الواهية المتشققة التي يسيل منها الماء (المعين) الماء الجاري (المعن) الكثير، الماء الطاهر على وجه الأرض (من هضبة) أي أن هذا الماء منحدر من هضبة أي من مكان مرتفع (دونها) تحتها (اللهوب) المهاوي. =

تَصْبُــو، وأَنَّـى لَــكَ التَّصَــابِي؟ أَنَّى، وَقَــدْ رَاعَــكَ المَشِيـبُ؟[1]
فَــكُــلُّ ذِي نَـعْـمَــةٍ مَـخْـلُوسٌ وكُــلُّ ذي أَمَــلٍ مَــكْــذُوبُ[2]
وكُــلُّ ذِي إِبِــلٍ مَــوْرُوثٌ وكُــلُّ ذِي سَـلَبٍ مَـسْـلُوبُ[3]
وكُــلُّ ذِي غَـيْـبَــةٍ يَــؤُوبُ وغَــائِــبُ الـمَــوْتِ لاَ يَــؤُوبُ[4]
أَعَــاقِــرٌ مِــثْــلُ ذَاتِ رِحْــمٍ؟ أَوْغَــانِـمٌ مِثْــلُ مَـنْ يَـخِيـبُ؟[5]
مَــنْ يَسْــأَلِ الـنَّــاسَ يَـحْــرِمُــوهُ وَسَــائِــلُ اللهِ لاَ يَــخِــيــبُ
بِــاللهِ يُــدْرَكُ كُــلُّ خَــيْــرٍ والـقَــوْلُ فِي بَـعْضِــهِ تَـلْغِيـبُ[6]
وَاللهُ لَــيْسَ لَــهُ شَــرِيــكٌ، عَــلاَّمُ مَــا أَخْـفَـتِ الـقُـلُوبُ[7]
أَفْـلِحْ بِـمَــا شِئْـتَ قَــدْ يُـبْــلَغُ ـ بِـالضُّعْفِ، وَقَـدْ يُخْـدَعُ الأَرِيبُ[8]

= وهي جمع لِهْب، وهو المهوى بين جبلين. يقول: أن عينيك وهما تذرفان الدمع تشبهان القربة الواهية أو ماءً جارياً كثيراً من هضبة تحتها مهاو. وإنما وصفه بأنه يصب في المهاوي، لأنه إذ ذاك يكون أسرع انحداراً.

(١) تصبو: تميل إلى الصبوة، وهي جهلة الفتوة (أنى) بمعنى كيف (التصابي) الميل إلى الصبوة واللهو (راعك) أفزعك ـ أي كيف تصبو وتميل إلى العشق ونحوه من عمل الفتيان وأنت شيخ قد اشتعل رأسك شيباً.

(٢) مخلوس: (مكذوب) يريد أنه لا ينال ما يأمل.

(٣) أي كل ذي مال سيتركه لمن يرثه بعده، وكل من سلب شيئاً من غيره فسيسلبه غيره منه.

(٤) يؤوب: يرجع.

(٥) العاقر: هي التي لا تلد (الرحم) بكسر الراء وسكون الحاء. ويقال أيضاً الرَّحِم، بفتح أوله وكسر ثانيه: هو بيت منبت الولد ـ يقول: هل تستوي المرأة العاقر والمرأة الوَلود، أو هل يستوي من يخرج فيرجع غانماً ومن يخرج فيؤوب خائباً.

(٦) تلغيب: ضعف، أو أتعاب لقائله. وذلك أنه قد يقول قولاً بلا تدبُّر ولا ترو فيكون منه ما لا خير فيه.

(٧) علام ما أخفت القلوب: أي كثير العلم لما تخفيه الصدور بمعنى أنـه لا تخفى عليه خافية.

(٨) أفلح بما شئت: أي عش كيف شئت. يقال: أفلح بالشيء، أي عاش بـه (الأريب) =

لَا يَــعِظُ الـنَّــاسُ مَــنْ لَا يَــعِظْ ـ الــدَّهْــرُ ولا يَـنْفَــعُ الـتَّلْبِـيـبُ[1]
سَــاعِـدْ بِــأَرْضٍ تَكُــونُ فِيهَــا، وَلَا تَــقُــلْ: إِنَّــنِــي غَــرِيــبُ[2]
والمَــرْءُ مـا عَــاشَ فِي تَكْـذِيبٍ، طُــولُ الـحَيَــاةِ لَــهُ تَـعْــذِيـبُ[3]

تَمَّ الكتاب

والحمد لله أولاً وآخراً

= العاقل. يقول: عش كيف شئت ولا تتعب نفسك فقد ينال الضعيف بضعفه ما لا يناله القوي بقوته.

(١) أي لا ينفع وعظ الناس لمن لا يعظه الدهر بقوارعه ونوائبه (التلبيب) تكلّف اللب أي العقل من غير طباع ولا غريزة. والمعنى: لا ينفع الإنسان تكلفه أن يكون عاقلاً إذا لم يكن العقل فطرة قد فُطر عليها.

(٢) أي إن حللت في أرض فساعدْ أهلها على ما فيه صلاحها وعمرانها، ولا تمتنع عن مساعدتهم بدعوى أنك غريب عنها، لأن من انتفع من أمر وجب عليه محافظته والقيام بتجويده وتحسينه.

(٣) يقول: إن الحياة كذب فمهما عاش الإنسان فلا بدّ أنه يموت، وما طول حياته إلا تعذيب له لما يلاقي في الشيخوخة من آلام الحياة ما يلاقي.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

مضامين الكتاب

الموضوع	صفحة

الموضوع	صفحة
الكلام على شعره	٨٩
معلقته وسبب نظمها	٩٩
نخبة من معلقته	١٠٢
طرفة بن العبد	١٠٩
غضب عمرو بن هند عليه	١١٢
قتل طرفة وموته	١١٦
الكلام على شعره	١٢٠
معلقته وسبب نظمها	١٢٦
نخبة من معلقته	١٢٨
زهير بن أبي سلمى	١٣٤
موته	١٣٨
الكلام على شعره	١٣٩
استطراد لفائدة جلّى تتضمن التحقيق عن ذي القرنين والاسكندر المقدوني	١٥٢
معلقته وسبب نظمها	١٥٧
حرب داحس والغبراء	١٥٧
نخبة من معلقته	١٥٩
لبيد بن ربيعة	١٦٤
حاله قبل الاسلام	١٦٤
قدومه على المنذر بن النعمان	١٦٥
حاله بعد الإسلام	١٦٩
وفاته	١٧٢
الكلام على شعره	١٧٦
معلقته وسبب نظمها	١٨٢
نخبة من معلقته	١٨٤

الموضوع	صفحة


رَفْعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com